
السيد
عبد الحسين دستغيب
القلب السليم
دار البلاغة
ترجمة
الشيخ حسين كوراني
الجزء الأول


القلب السليم



السيّد عبد الحسين دستغيب

ترجمة

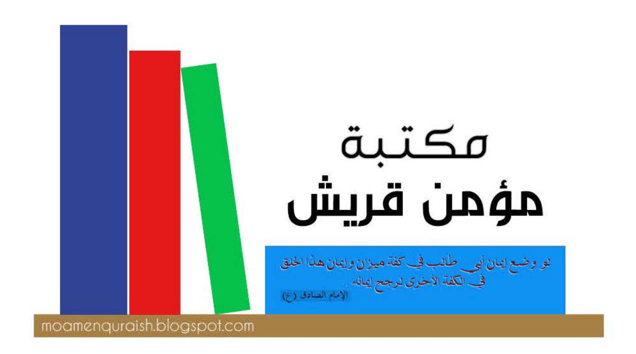
الشيخ حسين كوراني

الجزء الأوّل

في العقائد

دار البلاغة

الطبعة الثانية: "١٤١٠هـ - ١٩٩٠م"



دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥ / ٨٣٤٢٦٥ - تلكس: ٢٠٣٩١-٢٢٦٧١ - سهام
حارة حريك - مقابل البنك اللبناني الفرنسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

حب الله

قال الله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخـوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ . التوبة ٢٤ .

من الواضح أن حب الله تعالى يحتل موقعاً مميزاً في الإسلام وقد تكفلت النصوص الاسلامية ببيان حجم هذا الحب ومداه . .

ولا بد لكل منا أن يطول وقوفه في ظلال هذه الآية المباركة التي تبين أن حب الله تعالى يجب أن يكون أكبـر من حب الإنسان لهـذه القائمـة الطويلة والعزيزة :

الآباء ، الأبناء ، الإخوان ، الزوجـة ، العشيرة ، الأمـوال ، التجارة ، البيت ، وإذا رجعنا إلى الروايات نستوضحها بعض أبعاد هذه الآية المباركة نجد

أنفسنا أمام نتيجة واضحة هي أن المؤمن لا يحب إلا الله تعالى أو ما رضي الله بحبه أو أمر به . .

فالمحبوب في الأساس وذاتاً ، واحد لا محبوب غيره ، وهو الله تعالى ، ومن حبه يتفرع حب المصطفى وآل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وسائر مظاهر الحب المشروع المستمد مشروعيته من رضوان الله تعالى .

عن الإمام الصادق عليه السلام : القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله[١] .

درجات المحبين :

سأل أعرابي أمير المؤمنين عليه السلام عن درجات المحبين ما هي؟ قال : أدنى درجاتهم من استصغر طاعته واستعظم ذنبه وهو يظن أن ليس في الدارين مأخوذ غيره فغشي على الأعرابي فلما أفاق قال : هل درجة أعلى منها قال : نعم ، سبعون درجة[٢] .

إن عالم حب الله إذن رحب مترامي الأطراف ، ومن الخطأ أن نحدد له سقفاً هو عبارة عن مناجاة هادئة أو دعاء خاشع .

إن حب بعض المفردات التي تضمنتها الآية الشريفة التي تقدم ذكرها ، قد يصل بصاحبه إلى حد لا يقر له معه قرار ، بل قد يصل به الأمر إلى ورود المهالك في سبيل هذا الحب . . فكيف بحب الله تعالى الذي يجب أن يكون الحب الأوحد في القلب المخلوق لاحتضان هذا الحبيب فقط . . على نحو الأصالة والإستقلال بطبيعة الحال .

---

(١) ميزان الحكمة ج٢/٢١٣ نقلا عن البحار .

(٢) المصدر السابق عن المستدرك .

وهكذا يمكننا أن نفهم من بعيد بعض ما ورد عن رسول الله المصطفى وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين مما يكشف عن حب عارم لا يبارى ، وهذه بعض النماذج :

١ - « وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أحبك »[٣] .

٢ - « فهبني يا إلٓهي وسيدي ومولاي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك ، وهبني يا إلٓهي صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك »[٤] .

٣ - « عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا »(. . . .) .

« ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك »[٥] .

٤ - « سيدي أنا من حبك جائع لا أشبع ، أنا من حبك ظمآن لا أروى ، واشوقاه إلى من يراني ولا أراه »[٦] .

وعندما نضع أمامنا « المفهوم النظري » لحب الله تعالى كما ورد في القرآن الكريم إلى جانب « التطبيق العملي » له في سيرة المصطفى وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام ، يمكننا أن ندرك بعدنا عن هذا المفهوم الأساس وضرورة العمل الجاد في هذا المجال .

صحيح أن البشر عموماً عاجزون عن الوصول إلى مرتبة المصطفى سيد

---

(٣) المناجاة الشعبانية لأئمة آل البيت عليهم السلام .

(٤) من دعاء كميل لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام .

(٥) من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام .

(٦) عن الإمام الصادق عليه السلام ، ميزان الحكمة .

الخلق وأفضل الرسل ومراتب آل بيته المعصومين . . إلا أننا جميعاً مأمورون بالحصول على القلب السليم وهو القلب العامر بحب الله .

القلب السليم :

ورد عنهم ـ عليهم صلوات الرحمان ـ ما يوضح لنا حقيقة القلب السليم الذي لا ينفع غيره يوم القيامة، عن الإمام الصادق عليه السلام :

« القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفْرغ قلوبهم للآخرة »[7] .

وإذا أراد أحدنا أن يعرف منزلته عند الله تعالى فلينظر إلى منزلة الله في قلبه التي تكشف بدورها عن نسبة السلامة في هذا القلب .

عن أمير المؤمنين عليه السلام :

من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن كل من خيِّر له أمران أمر الدنيا وأمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحب الله ومن اختار أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده[8] .

وإذا لم تكف هذه العلامة ، فإن هناك علامتين مميزتين يستطيع أحدنا أن يعرف بهما منزلة الله عنده :

١ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« علامة حب الله تعالى حب ذكر الله وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عزّ وجلّ »[9] .

---

(٧) أصول الكافي ـ باب الإخلاص ـ.

(٨) ميزان الحكمة ـ حب الله ـ ج٢ .

(٩) المصدر السابق .

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام :

القلب المحب لله يحب كثيراً النَّصَب (التعب) لله ، والقلب اللاهي عن الله يحب الراحة ، فلا تظن يا ابن آدم أنك تدرك رفعة البر بغير مشقة ، فإن الحق ثقيل مر[١٠] .

الطريق إلى حب الله أو القلب السليم :

يبدأ الطريق إلى حب الله في نفس النقطة التي يبدأ فيها ترك حب الدنيا .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

« حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب أبداً » .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

« كيف يدعي حب الله من سكن قلبه حب الدنيا » .

وهكذا نستنتج ـ والله العالم ـ أن الحب التام المكتمل لله تعالى لا يجتمع مع حب الدنيا في قلب أبداً ، وبمقدار ما يتحرر الإنسان من أسر حب الدنيا يفوز بنعمة حب الله تعالى ، أما إذا سكن حب الدنيا قلبه واستقر فيه فإنه لن يتذوق حلاوة حب الله تعالى على الإطلاق ، ولعل الحديث التالي عن أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد ذلك :

يقول عليه السلام : « كما أن الشمس والليل لا يجتمعان ، كذلك حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان » ومن الواضح أن زوال الليل تدريجي ، وكذلك طلوع الشمس وغلبة ضوئها . . كذلك حب الله وحب الدنيا . .

وعنه عليه السلام : « من أحب لقاء الله سلا عن الدنيا » .

---

(١٠) نفس المصدر وكذلك الروايات الآتية .

ولفظة « سلا » التي لا يتحقق مضمونها إلّا تدريجياً بالإضافة إلى ما يكتنفه من معاناة تشير إلى هذا التدرج الطبيعي . .

وإذا بلغ السلو عن الدنيا درجة « بغض الدنيا » و« الإكثار من ذكر الموت » ترتب عليه حب الله للإنسان ، وهو أسمى من حب الإنسان لله .

عن رسول الله (ص) : « من أكثر ذكر الموت أحبه الله » .

عن عيسى عليه السلام : « ابغضوا الدنيا يحببكم الله » .

ومن الطبيعي أن الدنيا التي نؤمر ببغضها هي الدنيا الحرام التي تجتمع مع المعاصي ـ أما الدنيا الحلال التي هي طريق إلى رضوان الله تعالى فنحن مأمورون بالحرص عليها « تمن الحياة لتطيع لا لتعصي » .

ومن الواضح أن الطريق إلى حب الله أو القلب السليم ، طويل ، مليء بالكبد محفوف بالمخاطر ، ولذا اعتبر « الجهاد الأكبر » .

ويتوقف « سلوكه » على : ـ

١ ـ معرفة الواقع .

٢ ـ « وتطهير القلب » .

أما الأول فلأن الواقع غيب أكثر من كونه شهادة ، فعالم الشهادة إذا قيس بعالم الغيب لا يكاد يذكر ، والواقعي الوحيد في هذا الوجود هو الذي يدرك هذه الحقيقة فيعطي الدنيا كل ما تستحق ، ويعطي الآخرة كل ما يستطيع ، فيزهد في الدنيا ويكتفي بأخذ « نصيبه » منها . . وهذا يعني أنه يرصد كل « ما آتاه الله » للآخرة أي يبذله في سبيل الله تعالى فيعمل على إعمار الدنيا كما أراد سبحانه يقارع الظلم وينتصر للمستضعفين والمحرومين باعتبار ذلك جزءً من العبادة التي أمر بها الحق عزّ وجلّ .

هذا هو الواقعي الوحيد . . ومن عداه واهمون ورجعيون ، متخلفون .

وأما الثاني ـ تطهير القلب ـ فلأن عدم تطهيره وتزكيته هو سبب الإنزلاق والإنحدار في دركات حب الدنيا والرضا بها والإطمئنان إليها .

والزبير ، وخالد بن معمر[١١] ، وشبث بن ربعي وأضرابهم من أوضح المصاديق المؤكدة لهذه الحقيقة ، اللهم ارزقنا حسن العاقبة . .

ولا يسقط المسلم في هوة سوء العاقبة فجأة وبلا مقدمات . . بل ثمة عوامل تتفاعل في قلبه ونفسه حتى يواجه هذا المصير الكارثة . . وهذه العوامل هي الأمراض القلبية في مجالي المعتقد والأخلاق . . وما لم يحظ قلب كلٍ منا بالرعاية الدائمة في هذين المجالين فإنه مهدد بسوء العاقبة دون شك .

﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله ﴾ . الروم ١٠ .

آثار حب الله :

حين نحاول استعراض آثار حب الله أو القلب السليم ونتائجها نجد أن ذلك يتجلى في كل الميادين :

١ ـ في إعمار الكون ، فمن الواضح أن الكون لا يعمر إلا بالعدل وهو لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تم بناء الانسان بناءً سليماً يؤمن العدالة في كيانه ويؤهله لبسطها وتحقيقها في بيئته . ولا سبيل إلى ذلك إلا بالإسلام .

ستظل البشرية ترزح تحت نير الجور والظلم ، ما لم تدرك هذه الحقيقة ،

---

(١١) كان من المجاهدين الاشداء في صفين ، وأشرف على قتل معاوية ، فأرسل إليه معاوية أن يكف هو وقومه من ربيعة عن الحرب وله ولاية خراسان ففعل . . ولما ولاه معاوية خراسان مات قبل أن يصلها . وقعة صفين لنصر بن مزاحم ـ ٣٠٦ .

وبهذا أخبرنا ربنا عزّ وجلّ : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ . طه ١٢٤ .

٢ ـ في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع . . قد لا يتاح للفرد أو للمجتمع أن يعيشا في عالم يعمره العدل فهل من طريق إلى السعادة آنذاك . . نعم . . ولكنه يتوقف على أن يستعمل الفرد فيما خلق له وينشغل بما هو غدا مسؤول عنه . . ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا عن طريق حب الله والقلب السليم . . بذلك تحقق السعادة لنفسك . . وهو السبيل إلى تخفيف أعباء معاناة المحرومين وإقامة التكافل الاجتماعي لكسر حدة الحاجة وإغاثة الملهوفين وتأمين سعادتهم بالنسبة الممكنة .

٣ ـ في مواجهة الظلم ومقارعة الطواغيت :

المحب لله تعالى لا يرى في الكون خطراً لغير الله . . . صاحب القلب السليم لا يجد الخوف من الطواغيت إلى قلبه سبيلا . . من هنا كان حب الله تعالى المصنع الوحيد للمجاهدين الأشداء على الكفار الرحماء بينهم الذين تزول الجبال ولا يزولون لأنهم « أهل البصائر » المتشوقون إلى لقاء الله ، الباحثون عن سبل الوصول إليه ولو كانت بين مشتبك القنا وبارقة السيوف وأزيز الرصاص ودوي المدافع .

وفي تجربة ثورة الإسلام في إيران وامتداداتها في لبنان وفلسطين وأفغانستان ما يغني عن الإستدلال على ذلك .

٤ ـ في الحصول على السعادة الأبدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وفي الجنة التي أعدت للمتقين ، والفوز برضوان من الله . وذلك هو الفوز العظيم .

حذار من الإسلام المحرف :

مهما قيل عن تحريف الإسلام على يد الطواغيت والمستشرقين وأضرابهم ، فإن أخطر أنواع التحريف على الإطلاق نوعان :

الأول : فصل الاسلام عن السياسة.

الثاني : فصله عن الأخلاق .

ولا شك في أن دور الأصدقاء الجهلة ـ على حد تعبير الإمام القائد رضوان الله تعالى عليه ـ في ذلك أشد فتكاً من دور الأعداء . .

إن فصل الدين عن السياسة وطرحه كمشروع لبناء الفرد المتقوقع على ذاته الذي لا يحمل هم المسلمين ولا يفكر بأمورهم ، منصرفاً إلى ما يتصور أنه يضمن له وحده الجنة ، هو من أخطر أنواع التحريف التي يجب الحذر منها .

وربما كان الأخطر منه فهم الإسلام نظاماً للدنيا مع الغفلة عن أن هذا النظام للدنيا هدفه انسجام الدنيا مع الآخرة . . ومن هنا فإن من الخطأ الفادح صرف الإهتمام كله إلى نظام الدنيا بمعزل عن الآخرة ، واهمال البعد الأخلاقي أو إعطائه هامشاً عادياً . . .

وهل يمكن إقامة نظام الإسلام للدنيا بمعزل عن الأخلاق يا ترى . .

إن الهدف من بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو تتميم مكارم الأخلاق ، فإهمال الأخلاق إذن يعني إهمال رسالة المصطفى والتنكر لأهدافها .

وقد أدى الغزو الكافر لديار المسلمين إلى انبعاث هذين الخطين التحريفيين الأشد خطراً من كل ما عداهما . . . فإذا بنا بين منزوٍ مشلول ، أو عالمٍ للإسلام لا يتعهد قلبه بالرعاية ونفسه بالتطهير والتزكية إلا من عصم الله .

وقد أفرز حوالي نصف قرن من العمل الإسلامي بمعزلٍ عن الآخرة وبناء النفس ـ أو مع اهتمام بهما لا يكاد يذكر ـ أفرز نهجاً هجيناً في فهم الإسلام والعمل له عنوانه العام هو « الفصل العملي وشبه التام بين عالم الغيب والشهادة ، والتركيز على عالم الشهادة فقط » وأهم ملامحه الآتي :

١ ـ انتقاء كل ما ينسجم مع روح العصر من نصوص الاسلام . . وإهمال ما عداه .

٢ ـ التنكر للزهد والعرفان السليم أو ابقاؤهما في قعر الذاكرة نظرياً فقط .

٣ ـ الفهم الخاطىء للعقل وإعطاء الأهمية لهذا « العقل » بمعزل عن الروح والقلب والعقل السليم الذي هو ما عرف به الرحمان واكتسبت به الجنان .

٤ ـ بناء الشخصية التي تحب « الإسلام » ولكنها لا تحب الله ، أو فقل تجيدالحديث عن الإسلام ولكنها لا تعنى برعاية القلب وتطهيره ليصبح حرماً لله لا يسكنه غير الله .

وكانت ثورة الإسلام :

ومن الله تعالى بانتصار الثورة الإسلامية في إيران ، وكان قائدها زاهداً عالماً بالله والإسلام وليس بالإسلام فقط ، وكان قد أعد صفوة طاهرة من تلامذته الذين وفقه الله تعالى لرعايتهم . . وبدأ الإهتمام بالبعد الأخلاقي للإسلام يعود إلى الواجهة .

وفي قناعتي ان أعظم إنجاز حققته ثورة الإسلام المظفرة هو هذا الإنجاز بالذات لأن الأمة تواصلت عبره مع عقيدتها السليمة وتاريخها المضيء وسيرة نبيها المصطفى وسنته صلى الله عليه وآله .

وهنا تكمن خطورة خط الامام الخميني رضوان الله عليه على إبليس وكل

شياطين الأرض وطواغيتها ولذلك أصبح هاجسهم وما يزال .

وآية الله الشهيد دستغيب من أبرز تلامذة هذه المدرسة الخمينية المباركة ، تدل على ذلك كلماته المبثوثة في كتبه المختلفة حول التفاني في الإمام . . كما تدل على ذلك أشلاؤه المتشظية على طريق المحراب بأيدي المنافقين « مجاهدين خلق » .

ومهما قيل عن منهج الشهيد دستغيب فإنه يبقى ذلك المنهج القرآني ، منهج القلب المتجول الملتقط من كل زهرة في رياض الإسلام شذى متضوعاً ليحوله إلى شراب طهور فيه شفاء لما في الصدور .

وما ضرَّ هذا المنهج أن لا يكون « أكاديمياً » يخضع لأصول البحث العلمي على الطريقة السائدة ما دام أن الفائدة التي تحصل منه لا تحصل من غيره . .

ومن قال إنه يجوز للمنهج من وجهة نظر الإسلام أن يكون على حساب الفائدة .

هذا الكتاب :

كتب الشهيد دستغيب على قسمين : قسم كتبه وقسم درَّسهُ فجمع كما دُرِّس .

من القسم الأول : الذنوب الكبيرة ، المعاد ، القلب السليم ، ويصرح ابنه في المقدمة الآتية أنه كان يعهد إليه بتدوين المصادر والعناوين الجانبية فليلاحظ ذلك .

وتتجلى في كتب الشهيد سعة اطلاعه على المصادر وكثرة مطالعاته ، ورجوعه إلى المصادر غير الإسلامية ليأخذ ما يؤيد به رأي الإسلام . . والسبب في ذلك حرصه على إقناع القارىء بأية طريقة ممكنة وهذا الأمر بالخصوص ـ الحرص على القارىء ـ يتجلى في هذا الكتاب بشكل واضح . . . كما تلمس

فيه علمه بزوايا النفس وتعقيداتها ، وطرحه الأفكار المعمقة بالبيان الواضح والسهل .

إن واجب كل مسلم أن يتعهد قلبه بالرعاية في مجالي العقيدة والأخلاق ، وكتاب القلب السليم منهج عملي لهذه الرعاية الواجبة ، ومن هنا كان على قسمين :

الأول في العقائد ، والثاني في الأخلاق .

ولا يفوتني هنا أن أسجل أن هذا الكتاب القيم قد أكمل إقامة الحجة علي بعد أن أقامها علي في البداية « الجهاد الأكبر » للإمام رضوان الله عليه . وبين إقامة الحجة والإلتزام بون شاسع .

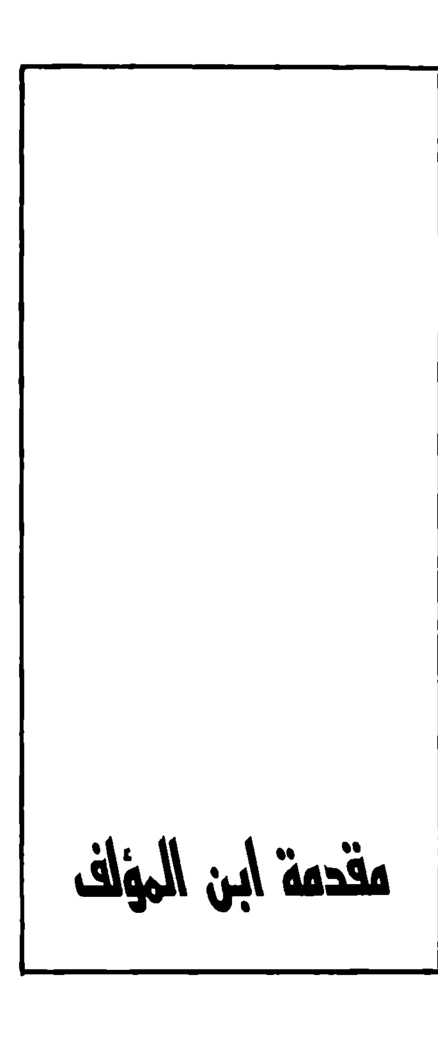
وكانت تجربتي مع القلب السليم قبل حوالي خمس سنوات حين ترجمت أنذاك أكثر القسم الأول الذي يقدم الآن للطبع على أمل أن أوفق لتقديم القسم الثاني قريباً بحوله تعالى .

رحم الله شهيد الاسلام آية الله السيد دستغيب وأثابه على صدقاته الجارية الفضل من عنده ، ورزقنا شفاعته بالنبي وآله صلوات الله وسلام عليهم أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

حسين كوراني

بيروت٦ ذ . ح ١٤٠٩



مقدمة ابن المؤلف

منهج الأنبياء :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ﴾ . الجمعة ٢ .

يستفاد من صريح آيات القرآن المجيد وأخبار أهل البيت عليهم السلام أن خالق العالم جعل الهدف الأساسي والمنهج التبليغي الرسمي لمبعوثيه أمرين مهمين هما عبارة عن التعليم والتزكية .

وهذان الهدفان معاً يقعان ـ في الحقيقة ـ في طريق ومسير هدف أكثر أساسية وهو الكمال الإنساني ، والتعليم والتزكية لازم وملزوم ومتلاصقان بحيث أنهما لا ينفصلان عن بعضهما بوجه من الوجوه أبداً ، ولا يوجد طريق للوصول إلى « الكمال الإنساني » غير هذين الأمرين ، ولولا ذلك لما جعلهما الخالق العطوف في منهج أنبيائه وخطة عملهم .

التعليم والتزكية أم العلم والعمل :

١ ـ التعليم أساس في منهج الأنبياء كما يستفاد من نص القرآن المجيد ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ والمراد بالتعليم أمران علم القرآن وسر الخلقة وهما في الحقيقة أمر واحد : علم الكتاب التشريعي والتكويني ، فمن أراد الكمال والسعادة يجب أن يتعلم القرآن يقرأه ويعمل به .

بالآيات التي هي حول توحيد الله وأسمائه وصفاته وأفعاله يقوي أصول اعتقاده . .

ويطبق أحكامه العملية وينفذها فيعمل بالواجبات ويترك المحرمات .

وبآيات المعاد يقوي في نفسه الشوق إلى الجنة والخوف من النار فيحمله ذلك على الأعمال الحسنة ، ويبعده عن القبائح والرذائل .

ومن آيات الحكمة في القرآن يدرك ما يخفى على الحس ليعرف بوضوح من أين أتى ، وإلى أين يذهب؟ هو وسائر المخلوقات لماذا جاؤوا؟ ولماذا يذهبون؟ وما هو الهدف من هذه المسيرة الطويلة وما هو الهدف من انتقال الموجودات من حال إلى حال . . وهذا ما وردت الإجابة عليه في جميع أنحاء القرآن الكريم .

إذا لم تعمل بعلمك فأنت غصن بلا ورق:

٢ ـ التزكية : المرحلة الثانية في المنهج التبليغي للأنبياء ومهمتهم هي تطهير الناس من الرذائل الأخلاقية وقبائح النفس وبعبارة أخرى : إعداد الأرضية الصالحة ليثمر العمل والإعتقاد . . من البديهي أنه لو أودع أفضل أنواع البذور ـ مع تعهد دائم بالري ـ في تربة غير صالحة . . فإنه ليس فقط لن ينتج . . بل إن البذر يذهب هدراً . . .

من هنا قلنا إن منهج الأنبياء هو شيء آخر بـالإضافـة إلى التعليم وهو التزكية اي استعداد النفس وجاهزيتها لإثمار الإعتقاد والعمل ، ويجب أن يقترن التعليم بالتزكية ليتحقق الهدف الأصلي .

إذا لم يتم التخلص من المرض الباطني فإن ما هـو سبب للهدايـة من الناحية التعليمية يعطي نتيجة عكسية كما يستفاد من نص القرآن المجيد قال تعالى : (حول المنافقين) .

﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ . البقرة ١٠ .

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ بني اسرائيل ٨٢ .

تزكية العقل والقلب :

يعلم مما تقدم أن لتعليم الآيات ارتباطاً بأمرين :

الأول : الحكمة وهي سر الخلقة والأمور المرتبطة بـالإعتقاد بـالمبـدأ والمعاد وبعبارة أخرى « معرفة الحق » .

الثاني : بيان الأحكام التي هي عبارة عن الحلال والحرام .

ولأجل تهيئة الأرضية المناسبة لبلوغ الإعتقاد والعمل مرحلة الثمرة فإن « للتزكية » أيضاً ارتباطاً بأمرين : الخارج والداخل . . أي أنه لا بد للوصول إلى هدف تطهير النفس وتنمية الإعتقاد والعمل ليصبحا مثمرين ـ لا بد ـ من إزالة الموانع أي الأشواك والتراكمات التي تكون سبباً لزوال أثر هذا الإعتقاد والعمل وهذا مرتبط بالأعضاء (الخارج) والقلب (الداخل) .

الذنوب البدنية والقلبية :

التزكية في الأفعال هي ترك « الكبائر » وما دام الشخص لم يجتنب جميع الكبائر فلا ينبغي أن يتوقع أن تكون أعماله مفيدة قال تعالى في القرآن المجيد : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ . المائدة ٢٧ .

واعتبر سبحانه تزكية النفس وتطهير الباطن شرط الهداية والسعادة فقال :

﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ . الأنعام ٨٢ .

كلما تجاوز الإنسان حد الإعتدال والصراط المستقيم فقد ظلم ، وعليه فما دام في داخل الشخص شيء مما يعتبره الشرع والعقل رذيلة أخلاقية فإن إيمانه لن ينفعه حتى إذا كان مؤمناً لأنه « ألبس إيمانه بظلم » .

وفي مكان آخر يقول تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾. الحشر ٩.

نفهم أنه إذا كان شخص بخيلاً ـ لا سمح الله ـ فهو بعيد عن الفلاح مهما كان مؤمناً وقد ورد في الروايات ما مضمونه : « المؤمن البخيل أقرب الى النار من الكافر السخي » .

وبناءً على هذا يعلم جيداً أنه ما لم يتم التخلص من الرذائل الأخلاقية فلا مجال للتحلي بنصيب من الكمال الإنساني والنجاة الحقيقية .

منهج علماء الدين :

منهج الأنبياء في التعليم والتزكية يجب أن يستمر بتنفيذه خلفاؤهم ، وفي زماننا الحاضر الذي هو زمن غيبة الإمام فإن هذا المنهج الخطير على عاتق

المجتهدين والفقهاء العدول يستفاد ذلك من آية النفر[1] والروايات الواردة[2] فهي بمجموعها تدل على أن الفقاهة والعدالة مصدر منهج تعليم الناس وتزكيتهم .

وبناءً عليه يجب أن يكون خليفة الإمام هو الشخص الذي بلغ في علم أصول العقائد حد اليقين والكمال حتى يجعل الناس أصحاب يقين بالمعارف ، ويجب أن يكون عالماً تمام العلم بالأحكام الإلٓهية يُعَرِّف الناس واجباتهم ووظائفهم الدينية ، وأيضاً يجب أن يكون من حيث تهذيب النفس والتخلص من الرذائل الأخلاقية منزهاً متحرراً من جميع القيود بحد أنه يصبح أصل وجوده منشأً لتهذيب الآخرين ليستفيد الخلق من قوله وفعله كما ينبغي وعلى أحسن وجه .

تأليف « الذنوب الكبيرة » خطوة أساسية :

واجب العلماء إذن تعريف الناس بالحلال والحرام أولاً . . ومع أن هذا هدف أساسي واضح فإنه لم ير إلى الآن كتاب بالفارسية جامع ومنهجي يجمع الذنوب الكبيرة كلها مع ما يتفرع عنها ويضعه في متناول الناس ، وقد كان هذا التوفيق الكبير والموهبة الإلٓهية من نصيب حضرة آية الله دستغيب في السنوات الأخيرة فقد بذل جهداً كبيراً خلال عدة سنوات على جمع وتأليف هذا الكتاب الذي حظي باهتمام الناس المتعطشين للحق وإقبالهم الكبير عليه .

القلب السليم تتمة الذنوب الكبيرة :

لحسن الحظ فإن المؤلف المحترم الذي جعل هدفه الأساسي إرشاد

---

(١) ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** ﴾ . التوبة ـ ١٢٢ .

(٢) من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظا لدينه مخالفاً لهواه والروايات الأخرى .

الناس إلى التزكية وتهذيب النفس واصل جهده في المرحلة الثانية أي الرذائل الأخلاقية والذنوب القلبية واشتغل في السنوات الأخيرة بتأليف وتدوين الكتاب الحاضر الذي هو في الحقيقة متمم لكتاب الذنوب الكبيرة وقد أوكل إلي أمر استنساخ وتصحيح وتنظيم المطالب وتدوين العناوين ـ على غرار الذنوب الكبيرة ـ والشكر لله تعالى أن هذا الكتاب أصبح بين يدي طالبي الحقيقة ومحبي الهداية في أفضل حلة من حيث الورق والطبع والتجليد .

واجب القارىء العزيز :

أرى من واجبي أن أذكر القراء الأعزاء الذين يحبون هذه المضامين أن واجب كل منهم في حدود استطاعته أن ينشر بين أصدقائه ومعارفه وجود هذا الكتاب ونظائره ويحثهم على اقتنائه والعمل بمضامينه ليكونوا بذلك قد عملوا بواجبهم الديني والوجداني لأن هذا في حد ذاته أمر بالمعروف متضمن للنهي عن المنكر . . .

والأمر الآخر الذي ينبغي للقراء الاهتمام به هو تقديم الشكر ـ في حدود المستطاع ـ للأشخاص الذين يبذلون الجهد في تأليف هذه الكتب ونشرها حتى يكون ذلك حافزاً للكتاب والناشرين على مواصلة الخدمة .

محمد هاشم دستغيب

أول ذي القعدة ١٣٩٢هـ .

القلب السليم

ذنب القلب :

لا يخفى على أي عاقل أن الانسان له بدن ونفس ، ظاهر وباطن ، أعماله الحسنة والقبيحة أيضاً على قسمين :

الأول : أعماله التي يؤديها بواسطة البدن كالصلاة والصوم والحج والانفاق ، ومثل شرب الخمر ولعب القمار والزنا .

والثاني : ما يكسبه الإنسان بقلبه ويعطيه مكاناً فيه كالايمان والحب والخوف والرجاء ، والكفر والنفاق والبغض والكبر والرياء .

وكما أن الاعمال السيئة التي تؤدى بواسطة البدن والتي هي مورد لنهي الله يجب على كل فرد معرفتها والاجتناب عنها . . فكذلك الاشياء التي تكسب بالقلب وهي مورد نهي الخالق عز وجل أيضاً يجب معرفتها والاجتناب عنها . ويجب أن يسعى الانسان كي لا يقبل قلبه بها .

القرآن والذنوب القلبية :

لقد حذر الله المسلمين من الذنوب القلبية في عدة مواضع من القرآن

الكريم ، من جملة ذلك يقول تعالى : ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ البقرة ٢٢٥ ، وفي هذه السورة يرد التعبير عمّن كتم الشهادة باثم القلب[1] .

ويقول تعالى : ﴿ **وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ البقرة ٢٨٤ . وهذه اشارة لمثل الكفر والنفاق والرياء .

ويقول تعالى : ﴿ **ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾ الاسراء ٣٦ .

وفي سورة النور يقول سبحانه : ﴿ **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم** ﴾ ففي هذه الآية نجد أن حب شيوع الفاحشة وهو أمر قلبي اعتبر اثماً يستتبع العذاب .

وفي سورة الانعام : ﴿ **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** ﴾ الانعام ١٢٠ . يقول بعض المفسرين أي ذروا الذنوب التي محلها البدن . . والذنوب التي محلها القلب ، وسنذكر سائر الآيات والروايات الواردة عند تعداد الذنوب القلبية .

اثم القلب أم مرض القلب :

اعتبر اثم القلب في عدة مواضع من القرآن الكريم مرضاً للقلب ، ومن جملة ذلك قوله تعالى في سورة البقرة عن المنافقين: ﴿ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** ﴾ .

عندما يكون القلب مطهراً من أنواع العذاب والامراض فهو القلب السليم . . وسبب السعادة . . وفي سورة الشعراء يقول تعالى : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ . أي أن الامور الاعتبارية الدنيوية كالمال تنفع للحياة الدنيوية فقط ، أما الحياة بعد الموت فلا ينفع فيها الا القلب

---

(١) إشارة الى قوله تعالى : ﴿ **فانه آثم قلبه** ﴾ البقرة ٢٨٣ .

السالم . . فهو وحده الذي ينفع الإنسان . . ثم إن أحد أسماء الجنة هو « دار السلام » أي دار الاشخاص الذين يكونون سالمين من كل مرض وتلوث . . وعليه فالاشخاص الملوثون بالذنوب يجب أن يبقوا في مستشفى جهنم حتى ينقوا ويطهروا من تلك الاوساخ ويصحوا عندها يمكنهم الدخول الى الجنة . . اللهم الا إذا كانت ذنوبهم من النوع الذي لا ينفع معه علاج كالكفر والنفاق . . بغض الله وأحباء الله . . هذه الأمراض تسبب بقاءهم في ذلك السجن أبدا . . .

ما هو مرض القلب :

كما أن لبدن الانسان سلامة ومرضا . . فكذلك قلب الانسان له سلامة ومرض . سلامة الجسم أن تكون تمام أجزائه صحيحة تؤدي دورها وتترتب عليها آثارها التي خلقت من أجلها . . ومرضه في نقص عضو منه وذهاب خاصيته . . ونتيجة ذلك الألم وصعوبة الحياة .

سلامة القلب في أن تظهر منه وتترتب عليه جميع خصائص الانسانية وآثارها بأن يكون القلب يملك اليقين والاطمئنان بالنسبة للمعارف والحقائق والعقائد . وأن يكون مطهراً من جميع الامور القبيحة والحيوانية .

ومرض القلب في الريب والانكار والشك والحيرة والصداقة والعداوة في غير محلهما والخوف والامل في غير محلهما أيضاً والحقد والحسد والبخل وغيره . بالتفصيل الذي يأتي في هذا الكتاب وجميع هذه الامراض خلاف فطرة الانسان الأولية .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «ان للجسم ستة أحوال الصحة والمرض والموت والحياة والنوم واليقظة ، وكذلك الروح فحياتها علمها وموتها جهلها ومرضها شكّها وصحتها يقينها ونومها غفلتها ويقظتها حفظها»[٢] .

---

(٢) بحار الأنوار: ج١٤/٣٩٨ .

ويقول عليه السلام أيضاً : «ألا وان من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من مرض البدن مرض القلب . ألا وان من النِّعم سعة الحال وأفضل من سعة الحال صحة البدن وأفضل من صحة البدن تقوى القلب» .

أي الطهارة من أنواع الاوساخ والذنوب .

خطورة مرض القلب :

كما أنه عندما يمرض عضو من البدن فإن الإنسان يعيش حالة من الألم والضيق وتصبح الحياة صعبة عليه . . فكذلك عندما يبتلى الانسان بواحد من أمراض القلب فانه اضافة الى الابتلاءات التي تواجهه بعد الموت كما أخبر بذلك الشرع فانه في هذه الدنيا يعيش الألم والضيق . . وتضغط عليه الآلام النفسية الى حد أنه يرجح الموت على الحياة ويصبح مستعداً للانتحار .

مثلاً : كما أن ألم الاسنان ينسى الانسان المفرحات ويحرم القلب والنفس من كل لذة وينغص الحياة . . فكذلك ألم الجهل ، الكبر ، الحسد ، العجب ، وسائر الأمراض النفسانية . . لها هذه الآثار .

الشخص الحسود مثلا يتألم . . ويطير النوم من عينيه وينطوي على نفسه لأن شخصاً آخر حصل على نعمة أو وصل الى مقام أو مرتبة . . ويظل يحترق في هذه النار . . منتظراً زوال تلك النعمة عن صاحبها . . وغالباً ما لا يصل الى هدفه وقد يموت من نار هذه الحسرة .

ومن الثابت بالتجربة والعلم أن الأمراض النفسية تؤدي الى ألم البدن ومرض الجسم لأن الآلام الداخلية تؤثر على الاعصاب والاجهزة الاساسية للبدن . . مما يسبب أن لا تؤدي أجزاء مجمل الجسم وظائفها بشكل صحيح وهذا سبب كل مرض .

اثم القلب من مرض القلب :

لأن القلب سلطان الجسد وأقوال اللسان وجميع الافعال الاختيارية مرتبطة بارادة القلب . . فمن الواضح أنه كلما كان القلب مريضاً فان الاقوال والافعال تكون كذلك أيضاً .

من هنا يصبح قول الانسان نشازا . . وفعله قبيحاً . . وكل ذلك سيكون خلاف الفطرة الانسانية وضد الصراط المستقيم للدين .

وباختصار كل ذنب يصدر من شخص فهو ناتج عن مرضه القلبي . . اذن يجب على كل شخص عقلا وشرعاً أن يسعى في معالجة مرض قلبه وأن يهتم بسلامة قلبه أكثر مما يهتم بسلامة بدنه .

الجسم سيء لأن القلب فاسد . . ظلم الجيش دليل على ضعف الملك[٣] .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل المعرفة : «يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم ، وهم أشد اعظاماً لموت قلوب أحيائهم»[٤] .

وما ذلك الاّ لأنهم يعلمون أن موت البدن حرمان من ملذات بضعة أيام من الدنيا وأي ملذّات يا ترى . . . انها الملوثة بـألاف الآلام . . ولكن موت القلب حرمان من السعادات الدائمة واللذائذ الخالصة الابدية وعدم الحصول على الحياة الانسانية الطاهرة في الدنيا والآخرة .

بناءاً عليه لا يمكن اعتبار مرض النفس سهلا . . ولا يصح أن يعتبر التسامح في علاجه مبرراً . . عينا كما أن التسامح في علاج مرض البدن ليس

---

(٣) مضمون بيت شعر فارسي .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٥٩ .

مبرّرا عقلا لأنه يؤدي الى الموت . والتسامح في مرض القلب ينبغي اجتنابه بطريق أولى لأنه يؤدي الى الشقاء الابدي .

شقاء المجتمع من مرض القلب :

بعد التدقيق في معرفة منشأ أنواع فساد المجتمع البشري المتزايدة يوماً بعد يوم يعلم أن كل فتنة وفساد وخيانة وجناية ترى من أي شخص سببها نوع من أنواع مرض النفس وهو الذي حمله على هذا التصرف غير الانساني .

انواع الظلم ، إراقة الدماء ، التنكر للقيم ، الانحرافات الجنسية ، التلوث ، انواع الفحشاء ، الادمان على الكحول والمواد المخدّرة ، انحلال عرى الأسر ، كثرة حالات الطلاق ، القسوة ، الغلظة ، الانتحارات وغيرها . . كله ناتج عن عدم سلامة النفس ونقص « الانسانية » ومن الواجب على من بيدهم أزمة الأمور أن يبذلوا الجهود النافعة في مجال الصحة النفسية للبشرية وأن يهتموا بذلك أكثر من الاهتمام بصحة البدن .

وفي حين أننا نجدهم ـ ومن أجل حفظ الصحة البدنية ـ قد أقاموا المؤسسات الكبيرة وبنوا المستشفيات والمستوصفات ، والكليات الطبية ، ومعامل صناعة الادوية . . فأي مؤسسات يا ترى تعمل لكشف الادوية التي تخلص الانسان من ألمه النفسي .

إن كل هذه المؤسسات لصحة البدن ضرورية وجيدة . . ولكن لماذا لا يخطون خطوة واحدة لأجل الحيلولة دون موت الانسانية . بل أنهم يعملون عمداً أو عن غير عمد عبر الوسائل الاعلامية التي يمتلكونها للقضاء على سلامة النفوس والقضاء على الاخلاق الانسانية وخنق المجتمع البشري في أسر الشهوات والاهواء والتحلل .

الحسد نموذج لمرض القلب :

ذكر في الصحف أن أطباء سويسرا شكّلوا فريقاً للبحث في علاج الحسد . . هذا يدل أن الأطباء يعتبرون الحسد في عداد الأمراض التي تهدد سلامة البشر . . وكما يعملون على معالجة السل والسرطان تصدوا لعلاج مرض الحسد .

نحن لا نعلم كيف وبأي وسيلة سيبدأ هؤلاء الاطباء عملهم وهل سيحالفهم التوفيق أم لا . .

على كل حال ان أصل هذا التفكير المقدس يبعث على الأمل . . جاء في المقال : لقد عرف البشر مرض الحسد منذ وقت بعيد . . ولكنهم لم يجدوا طريق علاجه . . ولا يعرفون بأي دواء يمكن القضاء على هذا المرض الذي لا يبقي ولا يذر . . ولم تنفع في هذا المجال حتى تعاليم الشرائع والأديان وتوصياتها وكذلك التعاليم الأخلاقية ، وظلت البشرية تعاني من هذه النار التي تلتهب في وجود الحاسدين وضمائرهم . .

في اعتقادنا ان الحسد أخطر من السرطان ، لأن السرطان يهلك في السنة مئات الاشخاص بينما الحسد يستطيع أن يقضي في لحظة على ملايين الاشخاص . أكثر الحوادث التاريخية التي صنعها الحرب والصراعات هي وليدة الحسد . . الاسكندر المقدوني كان من أولئك الذين لهم طبع النمر . . وكان ينظر باستمرار الى الدول التي كانت في عصره بمنظار الحسد ، وكان الحسد أحد أسباب هجومه على ايران . يقال أنه عندما أحرق تخت جمشيد وكانت ألسنة النار تتصاعد من أبواب القصر وجدرانه كان الاسكندر في حالة سكر من الشراب . . . وكان يضحك وقد امتزج فرحه بالغضب ، وقد اعتبر هذا الغضب الممزوج بالبسمات السكرى أشعة من نار الحسد التي كانت مشتعلة في قلبه

باستمرار .

وقد كتبوا عن هتلر الذي ارتكب في الحرب العالمية الثانية تلك الفجائع والمجازر أنه كان رجلاً حسوداً جداً حتى أنه لم يكن يستطيع تحمل لون ثياب الآخرين إذا أعجبه هذا اللون . . وكان يقضي على ذلك اللباس الذي انصبّ حسده عليه بأية طريقة ممكنة .

وقد قال في أحد تصريحاته : أنا لا أستطيع أن أرى أني كبرت وشبت وجاء الشباب ليحتلوا موقعي .

ويعتقد أحد الكتّاب الاخصائيين في مادة التاريخ أن سبب ارتكاب هتلر لهذه المجازر هو الحسد . . وأنه كان يريد أن يطفىء نار حسده عن طريق الافراط في التشدد في الطرق التي اعتمدها[5]

نظرة على هذه المقالة :

١ ـ انه لمن المؤنس أن يتنبّه جمع من علماء سويسرا لواحد من أمراض البشر النفسية . لكن يجب أن يعلموا أن علاجه القطعي وعلاج سائر الأمراض التي لم يعرفوها بعد خارج عن قدرة البشر وانما علاجها بيد الله الذي يعلم السر والعلن .

إن علاج هذه الأمراض هو بالرجوع الى الطبيب الروحاني والوصفة الطبية للكتاب السماوي أي القرآن المجيد الذي يوجد فيه دواء كل مرض نفسي .

٢ ـ ذكر في المقال ـ كما مرّ ـ أن تعاليم الشرائع والأديان لم تؤثر عملياً في علاج الحسد . . فإذا كان المراد أن الناس لم يعملوا بهذه التعاليم حتى

(٥) جريدة «پارس» العدد ٣٣٦٣ بتاريخ : ١٣٤٨/١٠/٨ هجري شمسي .

يشفوا . . فهو صحيح . . وإلا فانه لا نقص ولا قصور في تعاليم القرآن المجيد . . وهل وجدنا أحداً من المسلمين أراد معرفة علوم القرآن والعمل بتمام تعاليمه ثم لم يشف من جميع أمراضه النفسية .

كلما يرى بين المسلمين من أمراض نفسية سببه الخروج على أوامر القرآن المجيد وتعاليمه .

كلما هو موجود سببه قامتنا وغير المتناسقة . . وإلا فان تشريفك غير خاف على احد[٦] .

سلامة الجسد والروح :

من أجل سلامة الجسد تجب مراعاة أمور منها استئصال الزوائد التي تكون مع الجنين في الرحم وترافقه وتنحصر فائدتها بالمدة التي يكون فيها الجنين في الرحم وبعد خروجه يصبح بقاؤها ضررا . . مثل ذلك : (السَلى) أي الجلد الرقيق الذي يغلف جسد الجنين والصّره والزائدة اللحمية التي يجب استئصالها بالختان فان عدم استئصال هذه الاجزاء يهدد سلامة الجسم .

كذلك النفس الانسانية أول تكوينها وتعلقها بالجسد . . ترافقها بعض الصفات لبعض الحكم . . أو تعطى للانسان بعض الصفات لاستعمالها في موارد خاصة تعود على الانسان بالنفع أي تلك الموارد التي يحددها العقل والشرع ومثل ذلك الجهل ، الحرص البخل ، الظلم ، العجلة ، المجادلة ، وأمثال هذه ، وقد أشير في القرآن الكريم الى كل هذه الصفات التي رافقت الانسان من الأول :

قال تعالى : ﴿ **انه كان ظلوماً جهولا** ﴾ الأحزاب ٧٢ .

---

(٦) مضمون بيت شعر فارسي .

وقال تعالى :﴿ ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ الحشر٩ .

وقال تعالى :﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ الأنبياء٣٧

وقال تعالى :﴿ وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ الكهف ٥٤ .

وقد وصف الانسان في القرآن الكريم بأوصاف رذيلة مثل: كفور ، جزوع ، عجول ، وأوضح القرآن الكريم أن الكافر أصم أعمى أخرس وأسوأ من الحيوانات الى غير ذلك من أنواع الامراض الروحية التي ذكرت في القرآن الكريم ، وتأتي طرق معالجتها في هذا الكتاب بالتفصيل .

ويجب أن نعلم اجمالاً أن كل واحدة من هذه الصفات يجب الاقتصار في الاستفادة منها على الموارد التي أباحها العقل والشرع بالكمية المحددة من قبلهما وفيما عدا ذلك تجب مجاهدة النفس والامتناع عنها مثلا صفة البخل بالنسبة للمال . . من الموارد التي نهى الشرع المقدس عن صرف المال فيها يجب أن يكون الإنسان بخيلاً به بحيث لا يسمح بصرف ولو درهم واحد من ماله في الحرام وفي غير محله .

وبالنسبة للوقت يجب أن يكون الانسان بخيلاً في وقته بحيث لا يصرف آن واحد منه في الحرام حتى يصل الى حيث لا يصرف آناً واحد ولحظة واحدة من وقته هدراً .

إذن صفة البخل موجودة في قرارة نفس الانسان حتى لا يصرف ماله ووقته في غير مرضاة الله ويبخل بهما عن الموارد التي تسخطه سبحانه . . ويسخو بهما ويصرفهما في طريق مرضاته عزّ اسمه .

أعطوك الفأس لكي تحتطب ولم يعطوك الفأس لتضرب به هام الناس[٧]

(٧) ترجمة بيت شعر فارسي .

حفظ البدن من الاوساخ :

من الأمور التي لا بد من رعايتها لسلامة البدن ازالة أدران الجسم وما زاد من الاظافر والشعر . . توضيح ذلك أن الغذاء الذي يتناوله الانسان يتحول القسم المفيد منه الى جزء من البدن والزائد منه يدفعه الجسم بصورة فضلات أو عرق أو زيادة أظافر وشعر وأدران تعلق بالجسم وتغطي الجلد وتؤثر على طريق تنفس الجسد . . ويجب أن يتخلص الانسان من هذه الزوائد مرة في الاسبوع على الاقل بالدخول الى الحمام واستئصال الزوائد المذكورة وإلا فان سلامة جسده مهددة بالخطر .

كذلك يجب لسلامة الجسد الحفاظ على نظافة الثوب والمسكن والهواء والغذاء من انواع التلوثات .

النفس أيضاً يجب حفظها من الأوساخ :

من أجل حفظ سلامة النفس يجب أيضاً اجتناب الاشياء التي تسبب المرض النفسي مثل مرض الغفلة والقسوة . . وللحيلولة دون حدوث هذه الامراض يجب التداوي بالأدوية التي ذكّر بها القرآن المجيد .

مثلاً : الاشخاص الذين يبتلون بتدبير البدن وتأمين وسائل الراحة له فيضطرون اثر ذلك للانشغال بالامور المادية . . ويغفلون نتيجة لذلك شاؤوا أم أبوا عن ذكر الله والآخرة يعني حياتهم الأبدية ، اللهم إلا ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة** ﴾ النور ٣٧ .

طبعاً هؤلاء قلة وأكثر الناس يبتلون بمرض الغفلة والقساوة من جراء مثل هذه الانشغالات الدنيوية . . هؤلاء لا علاج لمرضهم الا الادوية التي ذكّر بها القرآن والتي أهمها الصلوات الخمس . قال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾ طه ١٤

تعاليم القرآن علاج للامراض :

يجب أن يسعى الانسان حتى لا تكون الاشياء التي يراها بعينه أو يسمعها بأذنه وهكذا سائر الاعضاء مضرة له وتحديد كون هذا الشيء أو ذاك مضراً هو من اختصاص العقل السليم والشرع المقدس .

وبشكل عام فان كل الاشياء التي جاء بيانها في شرع الاسلام من التعاليم التي يجب العمل بها أو تلك التي يجب الاجتناب عنها . كلها تهدف الى تقدم النفس في الكمالات الانسانية .

وباختصار ان الدين الالهي جاء لاصلاح الانفس وسلامة القلوب وبذلك تتحقق سعادة الانسان المادية والروحية ويصل الى السعادة المطلقة في العالمين .

معالجة النفس ليست من اختصاص الانسان المادي :

أمراض الجسد يستطيع الإنسان ادراكها وفهمها بحواسه ويستطيع عن طريق السعي والتجربة فهم أدويتها التي أودعها الله سبحانه في عالم المادة .

أما الأمراض النفسية فلأن أصل النفس هي من عالم الغيب وما وراء الطبيعة والمادة . . ولأن أمراضها ليست مادية أيضاً فلا يستطيع البشر العادي فهمها أو اكتشاف أدويتها . . والاحاطة التامة بالمؤسسة النفسانية المعقدة ليست في وسع البشر . . ولا يستطيع الاحاطة بها إلا صانعها وهو الله العالم بالظاهر والباطن . . وأما الناس فلا علم لهم بهذا أبداً . .

ولقد اختار الله سبحانه جمعاً من أفراد البشر وأطلعهم على هذه الأسرار وجعلهم أطباء روحيين لارشاد الناس وجعل سيدهم خاتم الانبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنّ على البشر ببعثته . قال تعالى : ﴿ **لقد**

مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ﴾ آل عمران ١٦٤ .

إن المراد من التزكية طهارة القلوب من أنواع الأدران النفسية التي ستذكر في هذا الكتاب . . ويعلم جيداً من هذه الآية الشريفة أن الهدف من بعثه الانبياء إضاءة القلوب بنور العلم والتطهير من أنواع الأوساخ واكتساب الملكات الانسانية الفاضلة كما ذكر هو (ص) : «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» .

القرآن يهب الحياة :

وقد أرسل الله سبحانه مع هذا النبي العظيم كتاباً تعاليمه الطبية الروحية تهب الحياة للنفوس وتحيي القلوب .

يقول تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾** الانفال ٢٤ .

ويقول أيضاً : **﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه ﴾** الانعام ١٢٢ .

ويقول سبحانه : **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ﴾** النحل ٩٧ .

والخلاصة أن القلوب التي تموت بسبب الكفر والنفاق فانها بواسطة البراهين القاطعة والأدلة الواضحة التي يتضمنها القرآن الكريم تحصل على الايمان الذي هو الحياة الحقيقية . . فالقرآن اذن شفاء للأمراض الداخلية . **﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾** يونس ٥٧ .

كما يقول تعالى : **﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾** فصلت ٤٤ .

ويقول سبحانه : **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾** الإسراء٨٢ .

القرآن شفاء لأنه يعالج أمراض أتباعه النفسية وهو رحمة لأنه يهب قلوب أتباعه الصحة والاستقامة لينصرفوا لكسب الاخلاق الفاضلة ، وينعموا بمقومات الانسانية في الحياة .

جواب شبهه :

يتصور البعض نتيجة قلة العلم أن الذنوب القلبية أمور غير اختيارية ، ويقولون أن الحيلولة دونها ليست في وسع البشر وبناء عليه فهي ليست مورداً للتكليف والعقاب الالهي . . وقال البعض أن هذه أمور أخلاقية . . وحرمتها الشرعية غير معلومة .

يتصور قائل هذا الكلام أن الذنوب القلبية هي تلك الخواطر النشاز التي تخطر على قلب الانسان دونما اختيار منه . . ولا يستطيع منعها . . ولا شك أن هذه الخواطر لن تكون مورداً للتكليف والعقاب .

والحال أن الذنوب القلبية هي غير الخواطر . . بل هي الأمور الثابتة التي مكانها القلب ويستطيع الشخص أن لا يدعها تستقر في قلبه . . أو إذا كانت مستقرة يستطيع اخراجها منه .

مثلاً : أنت ترى شخصاً مسلماً واقفاً في دكان بيع الخمر . . يخطر في قلبك أن هذا الشخص شارب خمر ويريد شراء الخمر . . هذه الخاطرة قهرية وبدون ارادتك ولكن بعد خطورها تستطيع أن تفسح لها مجالاً في قلبك . . وتسيء الظن بذلك الشخص وتعتبره فاسقاً فتكون قد ابتليت بذنب قلبي هو ظن السوء بالمسلم . . وتستطيع أيضاً أن تعتبر ـ فوراً ـ هذه الخاطرة من الشيطان وتحمل فعل المسلم على الصحة . .كأن تقول لعل له عملاً آخر . . لعله يريد أن يرى أحداً هناك وأمثال ذلك . . ولا تدع شيئاً يستقر في قلبك .

أو مثلاً : ترى نعمة جديدة على شخص . . فيمر بخاطرك حسداً : بم

استحق هذا نعمة كهذه . . إذا اعتبرت فوراً أن هذه الخاطرة من الشيطان وأبعدتها عنك بنور الايمان والعلم وقلت لنفسك ، هذه النعمة أعطاها له الله ، رأى سبحانه المصلحة في ذلك والإعتراض على فعل الله كفر وهو سبحانه قادر أن يهبني مثلها أو أحسن منها . . فلا شيء عليك هنا . . وتغفر لك هذه الخاطرة . . أما إذا جعلت تلك الخاطرة تستقر في قلبك واحتفظت معها في قلبك بأمنية أخذ هذه النعمة من ذلك المسكين . . فهنا قد ابتليت بذنب قلبي هو الحسد .

أو مثلاً : إذا استأت من قول شخص أو فعله تشعر بأذى . . هنا تستطيع إما أن تعرض عن هذا الأذى وكأن شيئاً لم يكن أو أن تقتص بالمثل . . فإذا سمحت لعداوته بالاستقرار في قلبك وتصديت للانتقام منه بأكثر مما نالك منه فهنا تبتلى بالذنب القلبي الذي هو الحقد وبغض المسلم .

كما ترى في كل واحدة من هذه الأمثلة فإن الأمثلة الثلاثة سوء الظن ، الحسد والحقد أشياء ثابتة في القلب ، وهي تقع تحت الاختيار حدوثاً وبقاءاً ، أي أن الشخص يستطيع أن لا يدعها تستقر في قلبه ، وبعد الحدوث يستطيع أن يتخلص منها ، أما الخاطرة الابتدائية ـ لأول وهلة ـ فحتى إذا كانت ممعنة في السوء الى حد الكفر فلأنها ليست اختيارية فلا إثم عليها .

الخوف من الوسوسة ايمان :

جاء في أصول الكافي أنه في زمن رسول الله (ص) وسوس الشيطان لرجل وقال له : من خلقك ؟ قال الله ، قال الشيطان : من خلق الله ؟ فتألم هذا الرجل من هذه الوسوسة وهذه الخاطرة النشاز وذهب الى رسول الله (ص) وقال : هلكت ، فقال له الرسول (ص) : «ذاك والله محض الايمان»[٨] . أي أن

(٨) أصول الكافي : ج٢ /باب الوسوسة وحديث النفس /٤٢٥ .

هذا الخوف من الهلاك لأجل هذه الخاطرة هو دليل الايمان .

وبناء عليه اتضح أن الذنوب القلبية هي تلك الامور الثابتة التي هي في اختيار الانسان لا الخواطر القهرية ، وسيذكر الدليل الفقهي على الحرمة الشرعية لكل منها في مكانه من هذا الكتاب .

لا مناص من تحصيل القلب السليم :

معالجة الأمراض النفسية وتحصيل القلب السليم ليس بالشيء الذي يستسهله العاقل . . أو يصرف النظر عنه . ولا يصح رفع اليد عنه بدليل أن تحصيله يستلزم التعب وجهاد النفس والإعراض عن بعض الملذات . . بل يجب الالتفات الى الفوائد الكبيرة والمراتب العالية للحياة الانسانية الطاهرة وللوصول الى هذه الدرجات . . فان الآلام سهلة . . والصعاب راحة .

اعتبر الألم راحة عندما يسمو المقصد غبار القطيع يثلج صدر الذئب[٩]

صاحب القلب السليم ما دام في الدنيا فهو يعيش في تمام الأمن والسعادة من خالقه . . وآلام عالم المادة يجبرها باللذائذ الروحانية ، وعندما يغادر الدنيا يصل الى حياة ملؤها الفرح والسرور والنعم التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولا خطرت على قلب بشر . . ويصل الى سلطنة حقيقية . . بحيث أن كل شيء يريده وفي أي وقت يتحقق له . قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً** ﴾ الدهر ٢٠ .

ما أعجب غفلة الانسان :

كم هو عجيب أن الانسان يبذل جهوداً من أجل سلامة البدن والتخلص

---

(٩) ترجمة بيت شعر فارسي .

من أمراضه ولا يدخر وسعا في صرف ثروته واستعمال الادوية المرّة والخضوع للجراحة وغير ذلك . . ولكنه لا يتحرك من أجل سلامة القلب وشفاء أمراض نفسه التي هي أخطر بآلاف المرات ، ويعرض عن أخبار الله والرسول كأنه لم يرها ولم يسمع بها ، وينسجم من الآلام التي تسببها له تلك الامراض في الدنيا . . ويرى العذاب الذي أعد له في الاخرة يحسبه بعيداً عنه أو لا يصدق به . . فهل يا ترى أن كلام الله والرسول لا يوجد احتمال الضرر له بمقدار كلام طبيب ما . . أي لماذا لا يقول الانسان لعل هذه الأمراض المهلكة التي يتحدث عنها صحيحة . . ويعمل قبل فوات الأوان على معالجتها . . لأن دفع الضرر الكبير واجب عقلاً حتى ولو كان محتملاً .

يقول لك الله لا تشرب الخمر ، ويقول لك الطبيب أحياناً لا تأكل الحلوى فتترك الحلال حفظاً لبدنك، ولا تترك الحرام حفظاً لدينك[١٠] .

ويلاه من ساعة الموت حين يرفع ستار الغفلة ويجد المرء نفسه وذنوبه ويرى طريق الخلاص مسدوداً . . عندها مهما ناح واشتكى وتندم . . على ما فعل في محضر الله فلن ينفعه ذلك شيئاً .

الوصفة فقط لا تصبح علاجاً :

بعض المسلمين يكتفي فقط بقول الشهادتين والاقرار بأن القرآن كتاب سماوي وديني ويحتفظ به في بيته دون أن يقرأه بتدبر وينفذ تعاليمه السامية . . في حين أنه لو كان يفعل هذا بالنسبة لمرضه الجسمي أي يأخذ الوصفة من الطبيب ويضعها في جيبه أو زاوية بيته دون أن يتناول الدواء المكتوب فيها . .

(١٠) ترجمة بيتين من الشعر الفارسي .

لكـان قلبه حينئـذ يحدثـه ذهبت الى الطبيب وأخـذت الوصفـة ولم أستعمـل الدواء . . ويقيناً أن هذا العمل المجانب للعقل كان يستتبع التأنيب من العقلاء ومن وجدانه .

المرض القلبي ليس هو الكفر فقط :

وبعض آخر من المسلمين يعملون ببعض تعاليم القرآن الكريم الأخرى بـالاضافـة الى ما ذكـر مثل الصـلاة والصوم ويقنعـون بها بـدون محتوى . . ويعرضون عن سائر تعاليم القرآن وبالرغم من ذلك يعتبرون أنفسهم أصحاب القلب السليم ظـانين أن العذاب والعقـوبة على الأمـراض النفسيـة خـاصـان بالكفار . . وهكذا يسيطر عليهم الغرور . . ويخيم عليهم الجهل المركّب .

سبب هذا التفكير الخاطىء أنهم يتصورون أن مرض القلب هو الكفـر فقط . . في حين أن الكفر هو واحد من الامراض الروحية وثمة غيره أمراض أخرى القرآن الكريم مملوء بتعاليم معالجتها .

، يتضح أن مرض القلب يجتمع مع الايمان أي من الممكن أن لا يكون الشخص كافراً ولكن يكون مبتلى بالأمراض النفسية الأخرى يكفي الالتفات الى هاتين الآيتين الشريفتين :

١ ـ ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ﴾ الاحزاب ٦٠ .

٢ ـ ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافـرون ماذا أراد الله بهـذا مثلاً ﴾ المدثر ٣١ .

حيث نرى في هاتين الآيتين أن المسلمين الذين في قلوبهم مرض ذكروا منفصلين عن الكافرين والمنافقين .

وأي مسلم يا ترى تطّهر من مـرض (التلون) وعدم الثبـات في طريق العبودية والميل للباطل واتباع هوى النفس في حين أن هذا المرض واحد من أنواع الشرك كما يقول تعالى :

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون ﴾ يوسف ١٠٦ .

وقد روي عن الإمام الباقر (ع) «أن المراد بالشرك في هذه الآية الشرك في الطاعة . . » أي مع أنهم يعبدون الله بالوحدانية فهم يـطيعون الشيـطان أيضاً ويتبعون أوامره في ارتكاب الذنوب .

وعن الصادق عليه السلام : «أن اهل هذه الآية اكثر من ثلثي الناس»[١١]

من هو يا ترى المتطهر من أمراض الحسد ، البخل ، الحقد ، الكبر ، الحرص وغير ذلك . .

فيجب على كل مسلم إذن أن يعرف الأمراض النفسية التي ذكرت في القرآن المجيد ويعمل بتعاليمه التي وردت مشروطة في بيانات أهل البيت عليهم السلام أو يعمل بتوضيحات علماء الاسلام المأخوذة من الاثنين القرآن والسنة قبل أن تفوت فرصة التدارك .

عدم الايمان أم الجهل الحقيقي والحيرة :

يبتلي القلب الذي يكون خاليا من نور الايمان بأمراض، يعبر عنها القرآن الكريم بالعمى والصمم والبكم ، أي ان هؤلاء قلوبهم صماء عن سماع الحق ، وألسنتهم بكم عن قول الحق وأعينهم عمياء عن رؤية الحق .

ويقول تعالى أيضاً : **﴿ومن كان في هذه أعمى ﴾** (عين قلبه عمياء) **﴿فهو**

---

(١١) الكافي .

في الاخرة أعمى﴾ بني اسرائيل ٧٢.

ويستفاد من هذه الآية والآيات الأخرى أن الظواهر في الآخرة تكون على طبق البواطن كما ينص على ذلك القرآن الكريم بصراحة.

إذن الشخص الذي لا يرى في الدنيا آيات الله بعين القلب ولم يصدق بالحق ولم يعقد قلبه عليه.. فهو في الآخرة سوف لن يرى الله.. أي لا عين له ليرى.. والشخص الذي لم يسمع في الدنيا كلام الحق باذن قلبه فسوف لن يسمع غداً النغمة المحببة للجنة وأهل الجنة.

وأيضاً فإن مثل هذه القلوب الخالية من الايمان وصفها الله سبحانه بالمرض(١٢)، والمختومة(١٣) والمغلقة(١٤) وأن عليها الرين وقد اعتبرها الله رديفة الحيوانات(١٦) وشر الدواب(١٧).

الكافر أسوأ من الحيوان:

لقد فضل الله الانسان على الحيوانات باعطائه القدرة والقابلية اللتين يستطيع بهما أن يرى الحق ويسمعه ويتقبله والشخص الذي يهدر هذه القدرة محروم من الانسانية.. ويبقى في حد البهيمية.

في أول دعاء من الصحيفة السجادية يقول عليه السلام: «ولو كانوا كذلك

---

(١٢) ﴿في قلوبهم مرض﴾ البقرة ١٠.
(١٣) ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ البقرة ٧.
(١٤) ﴿فطبع على قلوبهم﴾ المنافقون٣، ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ محمد ٢٤.
(١٥) ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ المطففين١٤.
(١٦) ﴿إن هم إلّا كالانعام بل هم أضل سبيلا﴾ الفرقان ٤٤.
(١٧) ﴿ان شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ الانفال ٥٥.

(أي لم يعرفوا الله) لخرجوا من حدود الانسانية الى حد البهيمية فكانوا كما وصف في محكم كتابه : ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾» .

الأموات الحقيقيون :

وقد عبر القرآن أيضاً عن الذين لا ايمان لهم بالأموات : ﴿ **انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين** ﴾ النمل ٨٠ .

ويجب أن نعلم أن الايمان بالنسبة للنفس بمنزلة الغذاء المناسب للبدن فكما أنه اذا لم يتناول الانسان الغذاء المناسب تضعف جميع قواه النباتية والحيوانية وتتعطل ويؤدي ذلك في النتيجة الى الموت . . كذلك النفس التي لا إيمان فيها تبتلى بالأمراض النفسية ونتيجة لذلك تضعف انسانيتها وتصبح محرومة من الحياة الطاهرة والروحانية . . وهكذا حتى تخرج من عالم الانسانية وتبتلى بالهلاك الدائم والموت الابدي .

موت النفس بداية العذاب :

هناك فرق كبير بين موت الجسد وموت النفس : موت الجسد نهاية الابتلاءات والآلام الجسدية التي تصيب الانسان كالطائر الذي يطير من قفصه ولكن موت النفس بداية المعاناة من الآلام الموجودة فيها . . وبداية الابتلاء بالطبائع القبيحة التي كسبتها كما يقول تعالى : ﴿ **ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ الأعلى١٣ . . أي لا يموت هناك ويفنى حتى يتخلص من الآلام . . ولا يحيى الحياة الانسانية ليتمتع بخصائصها .

ويقول أيضاً : ﴿ **أومن كان ميتا** ـ بسبب عدم الايمان ـ **فأحييناه وجعلنا له نورا** ـ أي العلم المتولد من الايمان ـ **يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات** ـ الجهل وعدم الايمان ـ **ليس بخارج منها** ﴾ الانعام ١٢٢ .

ويقول سبحانه : **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ﴾** النحل ٩٧ .

يعلم جيداً من هذه الآيات الشريفة ونظائرها أن هناك غير الحياة الحيوانية حياة أخرى طاهرة على الانسان أن يسعى للحصول عليها وقد عبر عن ذلك في الروايات بـ (روح الايمان) وصاحبها يكون في أمن وسلامة دائمين غير مشوبين بالخوف والاضطراب . . ويكون أيضاً في سعادة وسرور دائمين لا حد لهما .

نعم . . ولماذا لا يكون غارقاً في بحر من السرور والفرح بفضل قناعاته المشرقة مع أنه يرى ويسمع أشياء يعجز عن رؤيتها وسماعها الآخرون . . صاحب الحياة الانسانية يكون في الدنيا والآخرة في بحر محبة الله راضياً بالقرب منه سبحانه .

أقبح من القرد والخنزير :

كما مرّ معنا يطبع الباطن يوم القيامة على الظاهر ويحشر كل شخص على صورته الملكوتية الخاصة به فالاشخاص الذين كانوا في الدنيا مملوئين بالصفات الحيوانية فاقدين لروح الايمان والحياة الطاهرة . . يحرمون يوم القيامة من الجمال الحقيقي ويقلبون على أقبح الصور كما ورد في رواية : «يحشر الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير » [١٨] .

عذاب الكافر في الدارين :

قد يطرح هذا السؤال : أنتم تقولون أن لأهل الايمان حياة طيبة في الدارين والمؤمن يظل دائماً في النعمة والهناء والسعادة والسرور وما عداه يكون

---

(١٨) عين اليقين للفيض الكاشاني رحمه الله .

دائماً في الألم والبلاء أسير هوى نفسه وحبيس التعاسة والغم .. في حين أنا نرى كثيراً من أهل الايمان في الدنيا يبتلون بأنواع الآلام والصعوبات .. وعلى العكس نرى الكثير من الذين لا ايمان لهم يتنعمون سعداء مرحين .

الجواب : غم عالم الطبيعة وألمه لا يجد طريقه أبداً الى حديقة قلب المؤمن وكل ما يـراه المؤمن من الصعوبـات والآلام فلا يصيب إلا جسـده ، وروحه في مأمن من كل آفة كما يقول في القرآن الكريم : ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ الانعام ٨٢.

المؤمن في الدنيا ليس له « أمن » غير رضا خالقه .. ولذا فهو لا يبتلى بخيبة الأمل وعـدم تحقق مراده .. ولأن المؤمن يعلم أن الله معبـوده ومعبود الآخرين ويعرف فيه القدرة والحكمة والعطف .. ويعتبر نفسه عبداً له وهو مولاه فلذلك لا يمكن أن يضطرب قلب المؤمن في الحوادث المؤلمة والله سبحانه يفيض عليه السكون بسبب إيمانه[١٩] .

المؤمن ثابت عند الابتلاء :

المؤمن يثبت دائماً في مقابل الابتلاءات ولا ينهار لأنه علم أن هذا البلاء حكمة هي بالتالي لمصلحته .. وله بربّه أمل أن يرفعها عنه أو يجعلها مقابل شيء من عذاب الآخرة ، ذلك العذاب الذي يعتبر هـذا البلاء بـالنسبة إليـه صفراً .

يقول تعالى في سورة النساء : ﴿ **إن تكونوا تألمون فانهم** ـ من لا إيمان لهم ـ **يـألمون كمـا تألمـون** ـ مع فـارق ـ **وترجـون من الله ما لا يـرجـون** ﴾ النساء ١٠٤.

---

(١٩) ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** ﴾ الفتح ٤ .

انتم ترجون من الله النجاة من البلاء والمغفرة والجزاء وأولئك لا أمل لهم ويبقون في ظلمة اليأس والحيرة معذبين .

قلب الكافر خربة مرعبة :

كما أن الابتلاءات والصعوبات لا تجد طريقها الى قلب المؤمن ويقتصر تأثيرها على جسده وظاهره فقط فكذلك المفرحات التي نراها في من لا ايمان لهم . . انها تجمل ظاهرهم ولكن قلبهم مكان موحش وخربة لا تعمر بهذه الاشياء ومكان مظلم سوف لن تنيره الشهوات ويظل في خفقان واضطراب ولا يمكن أبداً أن يطمئن بهذه المفرحات .

في الحقيقة ان هذه الشهوات غطاء على القلب المملوء من وحشتها وصاحب هذه الشهوات يحاول أن يتسلى بها لينسى آلامه الداخلية . . والعجيب أن هذه الشهوات تزيد في ظلمة قلوب ـ أصحاب الشهوات ـ ووحشتها وخرابها ولكنهم لا يفهمون .

والطامّة الكبرى حينما تزول هذه المسليات ويقفون على حقيقة قلبهم الخرب الموحش .

يقول تعالى في القرآن المجيد : ﴿ **لقد كنت في غفلة عن هذا** ـ في الدنيا ـ **فكشفنا عنك غطاءك** ـ حتى يبدو لك ما كان خافياً عليك ـ **فبصرك اليوم حديد** ـ في رؤية ما لم تكن تراه ـ ﴾ ق ٢٢ .

ألم الكافر لا نهاية له :

عندما يعجز من لا ايمان له في هذه الدنيا عن الوصول الى المسلّيات ويصبح هدفاً لسهام البلاء وتضيق في وجهه الدنيا من الفاقة والمرض وملاحقة الأعداء ، ومن شدة ظلام اليأس وعدم الايمان وعدم الاعتماد على الله يمل

نفسه والحياة المرّة . . حتى يصبح يتمنى الموت وينتحر ظناً أن هذا يخلصه من الألم . . مع أنه مخطىء فبالموت لا يفنى . . بل سيظل يواجه مصير قلبه الموحش هذا باستمرار ولا نجاة له ، ذلك أنه ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ طه ١٢٤ .

لذائذ الدنيا مشوبة بالمنغصات :

الشخص الذي لا ايمان له مهما كان سعيداً في الدينا بحسب الظاهر فان باطنه في ضغط واضطراب لأنه :

أولاً : لا يحقق جميع أمنياته . . وأمنيات البشر لا حدّ لها ولا حصر ، بل أنه لا يحقق واحداً بالمئة من رغباته وأمنياته بسبب المنغصات ولذا فهو دائماً يحترق في نار محاربة المنغصات ومحاولات التخلص منها .

وثانياً : انه يخاف من زوال ما تحقق له من أمنيات ولأن ممتلكاته المادية معرضة للفناء فبموت الشخص أو فناء تلك الأمور المادية يفترق الشخص وممتلكاته عن بعضهما . ان الايمان بالله ويوم الجزاء فقط هو الذي يسعد القلب بما يمتلك . . ويجعله لا يشعر بالخوف من فناء دنياه لأنه يعلم أن ما بعد الدنيا أفضل من الدنيا . . وايمانه يبقى له لذا يظل فرحاً في الآخرة بفضل الله وكرمه[٢٠] .

فلنضيء قلوبنا بنور الإيمان :

يعلم مما تقدم جيداً أن كمال سعادة الانسان في الدنيا والآخرة في سلامة نفسه من مرض عدم الايمان . . تماماً كما أن كمال شقاء الانسان في الدارين

---

(٢٠) ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** ﴾ يونس ٥٨ .

يكمن في مرض عدم الايمان . . وعليه فيجب علينا أن نبذل أكبر الجهد في مجال كسب الايمان وزيادته فباشراقة القلب بنور الايمـان نشفى من كثير من الأمراض . . فلنشف قلبنا من مرض اللا ايمان المهلك الذي هو بدوره سبب وجود كثير من الأمراض النفسية الاخرى أو زيادتها .

ورد في تفسير الصافي عن الإمام الصادق عليه السلام ضمن تفسير آية الكرسي ، وهذه الفقرة منها بالخصوص : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور** ﴾ ، قال الإمام (ع) : « أي من ظلمة الذنوب الى نور التوبة والمغفرة » .

إذن أساس كل شيء هو الايمان . . وببركته تزول الأدران .

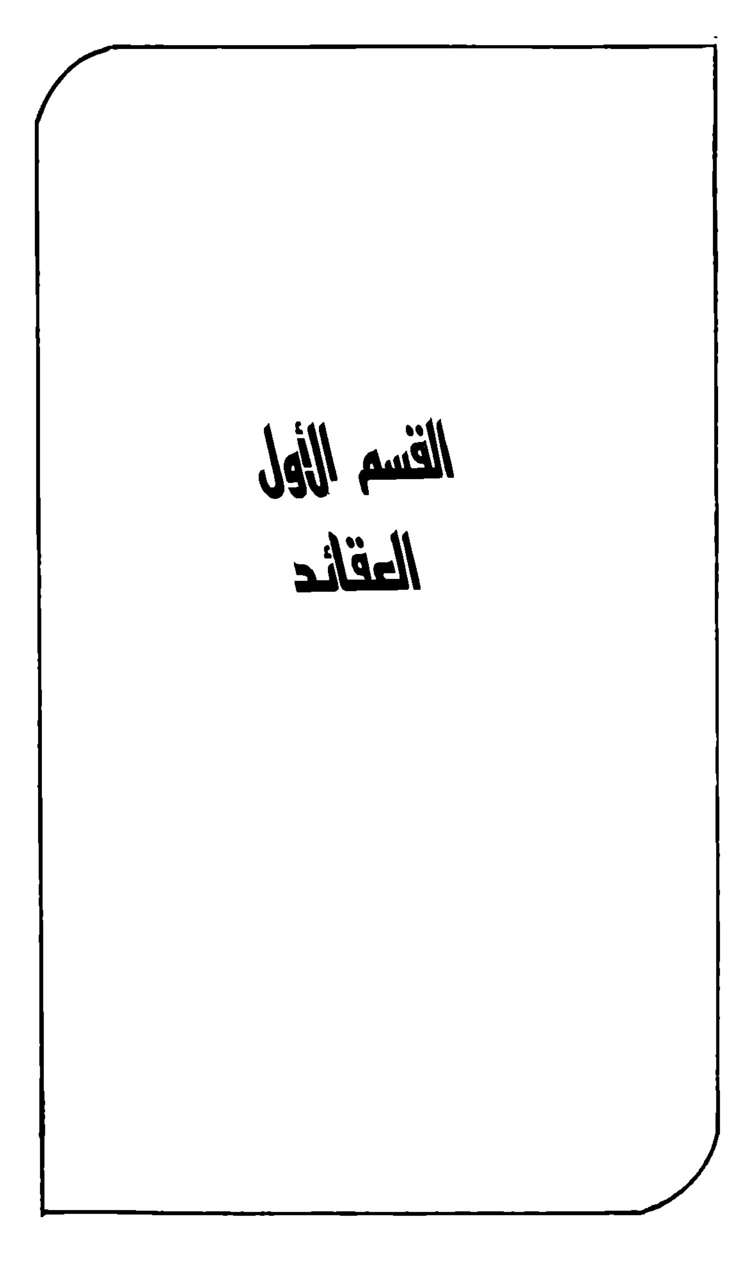
المقصود من الايمان مرتبة اليقين :

علينا أن نسجل هنا أن المراد بالايمان الذي هو سبب التطهير من أمراض القلب انما هو اليقين بمراتب التوحيـد والمعاد . . فمن رأى بنـور اليقين أنه مخلوق لله تعالى وعبد له وأدرك أن كل ما في يده مهما كان انما هو مستعار وعلم أن رجوع الجميع ومصيرهم الى عالم الجزاء . . شخص من هذا القبيل لا يبقى عنده مجال للبخل والحسد والحرص والعداوة . . ذلك أنه باشراق نور اليقين يتبدد ظلام هذه الامراض وإذا كان منها أثر في أحد فلأن اليقين غير موجود . . أو أنه ضعيف .

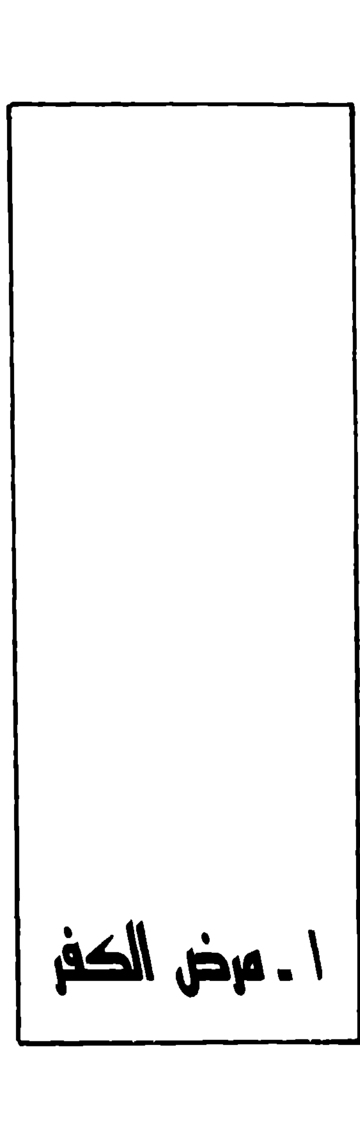
نتيجة البحث والمقدمة :

إذن يجب على طالب القلب السليم ومريـد سعادة الـدنيا والآخـرة أن يحصل على اليقين الذي هو أساس الاعتقادات وعلاج كثير من الامراض . . ويجب أن يكون هذا المراد مقدماً على كل مراد آخر . . وقصدنا من ذكر هذه

المقدمة إطلاع القارىء العزيز على أهمية اليقين ولذلك تقدم قسم العقائد الذي يعتبر اليقين أساسه على قسم الاخلاق وها نحن بعون الله نذكر أمراض عدم الايمان أي الكفر .. النفاق .. الشرك .. الشك .. وعلاج ذلك وطريق تحصيل اليقين .. ثم في القسم الثاني نبحث في الاخلاق .



القسم الأول
العقائد



١ ـ مرض الكفر

الكفر بمعنى عدم التصديق وعدم قبول الشيء الذي تراه الفطرة الأولى والعقل الصريح حقاً . مما يعتبر قبوله واجباً وذلك هو الايمان بالله والانبياء ويوم الجزاء لأن كل عاقل يعلم أن له ولسائر الموجودات موجداً عالماً وقادراً وبعد التدبر في كلمة الخالق يتيقن أنه اذا كانت الحياة هذه فقط وبالموت يحصل الفناء . . فان الخلق عبث لا فائدة فيه . . اذن لأن الله حكيم فلا بد من وجود حياة أخرى يتميز فيها السعداء ويلاقي كل شخص جزاء أعماله .

ويتيقن أيضاً أن الله الحكيم لم يترك البشر هملا وقد أرسل لهم مرشدين من جنسهم لبيان طريق صلاحهم . . وباختصار فإن الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والمعاد فطري للانسان وهو كذلك حكم بداهة العقل .

الشخص الذي ينكر هذه الأمور الثلاثة البديهية هو مبتلى بأسوأ الأمراض النفسية . . بحيث أنه إذا ظل كذلك فانه في النتيجة يسقط من مرتبة الانسانية ويبقى في هلاك دائم .

مرض الكفر للنفس تماماً مثل مرض فساد الجهاز الهضمي في البدن بحيث أن الماء الزلال والغذاء لا يتعدى حلقوم الانسان أو اذا تعداه فان المعدة

ترفضه ، وهذا المرض إذا لم يعالج فان جميع قوى البدن تتعطل ويموت الشخص .

كذلك إذا أقام الشخص على مرض الكفر . . ولم يترك العناد والجحود فان الله سبحانه جزاء لكفره يزيد في مرضه[1] وفي الحقيقة يعطيه الله الشيء الذي أقدم هو على طلبه . . ويسلك به الطريق الذي اختاره هو بنفسه[2] .

وكذلك لو أن انساناً اختار الايمان وطلب الهداية فان الله سبحانه يزيد في هدايته ويزيد في نور ايمانه[3] ، حتى يعرف كل حق ويتمسك به ويجتنب كل أنواع الباطل .

عمى القلب المطلق :

كما أن نهاية الكفر العمى المطلق للقلب ، بحيث لا يميز الحق من الباطل والصحيح من السقيم ويسقط الكافر من مرتبة حقيقية الانسانية التي هي العلم وفهم حقائق الاشياء ويصبح في عداد الحيوانات . . ولا يبقى موضعاً لأي أمل ولا يرجى منه أي خير وتزداد سائر أمراضه الباطنية النفسية . . لأنه بعدها لا يشعر بألم حتى يتصدى لعلاجه ولا يعرف شراً حتى يجتنبه . . تسلب منه قوة التمييز . . فلا يعترف بعد بمرض قلبي حتى يبحث عن علاجه .

الكفر مع الجهل :

الكفر على قسمين كفر مع الجهل ، وكفر مع العلم ، الكافر الجاهل هو الذي لا يريد أن يفهم الحق وينكر ما لم يعرف ولا يقبله . . ككثير من الدهريين

---

(١) ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ البقرة ١٠

(٢) ﴿ نوله ما تولى ﴾ النساء ١١٥ .

(٣) ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ محمد ١٧ .

(الماديين) الذين ينكرون المبدأ والمعاد ويقولون لا وجود لله ولا وجود لعالم الآخرة . . الانسان مثل سائر الحيوانات يعمّر قليلاً ، ويفنى بالموت فناءاً أبدياً ولا جزاء لأعماله ولا عقاب عليها . والقرآن الكريم وصف هؤلاء بأنهم أتباع الظن[٤] .

ومثل هؤلاء الاشخاص الذين ولدوا وعاشوا في محيط كافر واتبعوا آباءهم . . أو الاشخاص الذين يعتبرونهم علماء . . ولذا أنكروا الحق عن غير علم . . ويقول الله سبحانه على لسانهم . ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ الزخرف ٢٣ .

الكفر مع العلم :

الكفر مع العلم هو أن يكون الشخص يعرف الحق لكنه لا يتقبله لأنه خلاف ميوله ورغبته النفسية ، أو يرفضه لأنه مبتلى بالكبر أو الحسد فيعمل على إظهار الحق بمظهر الباطل رغم معرفته به ويحمله هوى النفس أو الكبر أو الحسد على أن يختلق المبررات ليتخلص بها من تحمل مسؤولية الحق تماماً كالشخص الذي يوجه إليه ناصح مشفق نصيحة ويعلم أنه لا يريد بهذا إلا خيره واصلاحه . . ولكن لأن هذه النصيحة لا توافق هواه فانه يرفضها ويجادل مدافعاً عن رأيه .

من لا دين لهم . . ينكرون وهم يعلمون :

من هذا القسم كفر كثير ممن لا دين لهم . . فمع أن وجدانهم يقبل كون الاعتقاد بالله ويوم الجزاء حقا . (وكيف لا يقبل وجدانهم أن مصدر الخلق العظيم هو خالق عالم وقادر وسامع ، هل يا ترى يقبل وجدان الانسان أنه يفنى

---

(٤) ﴿ **إن يتبعون إلا الظن** ﴾ يونس ٦٦ .

بالموت ، وأن حياته تنتهي بهذه الأيام المعدودة في الدنيا التي هي ملعبه ليس إلا ؟) .

نعم . . إن هؤلاء يرون أنهم إذا قبلوا الحق فهم ملزمون بحكم الدين والخوف من الله ويوم الجزاء أن يقلعوا عن أعمالهم التي لا تخضع لميزان معقول . . وملزمون أن يخضعوا أقوالهم وأعمالهم للمقاييس الدينية ولذلك يحاولون أن يصوروا الباطل حقاً عبر التشبث بالشبهات الواهية والتسويلات الشيطانية ليقنعوا أنفسهم ويرضوها . .

يقول تعالى في القرآن المجيد حول هذا القسم من الناس :

﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ النمل ١٤ .

مشركو مكة ويهود المدينة :

مثل مشركي مكة الذين كانوا يعرفون رسول الله (ص) جيداً وكانوا على يقين أنه صادق وعاقل وأن القرآن المجيد ليس كلام بشر . . لكن الكبر والنخوة والحسد حملتهم على تكذيب نبوته واتهامه بالكذب والسحر والجنون . . واشعال نار الحروب ضده صلى الله عليه وآله وسلم .

وأيضاً مثل اليهود الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أولاد اسحاق . . وأن النبوة والسيادة الالهية خاصة بهم . . ولم يكونوا يستطيعون أن يروا من نسل اسماعيل نبياً مختاراً . . فلذا نراهم لم يقبلوا نبوته عليه صلوات الله وسلامه . . ووقفوا ضده مع أنهم كانوا يعلمون أنه على الحق . . وكانت نبوته لهم من الوضوح بحيث أن كثيراً منهم كان قد بقي في المدينة لأنهم كانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وآله وسلم سيهاجر اليها ، وكانوا يتوسلون الى الله سبحانه به (ص) حتى ينصرهم كما في القرآن الكريم :

﴿ **وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين** ﴾ البقرة ١٩..

وبعد أن حل (ص) في المدينة منعهم شكهم وحسدهم وكبرهم من الايمان به .

الجزاء الدنيوي :

كما تقدم . . إذا لم يعالج مرض الكفر فانه يؤدي الى هلاك الانسانية ، ويصل الى مرحلة لا تنفع معه أي نصيحة ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ البقرة ٦ .

وهنا يجب أن نذكر أن العمى والصمم وسد طريق القلب الذي ينسبه الله اليه في القرآن ويقول أنه يعامل الكفار به : ليس هذا كله الا مقابل استمرار كفرهم وهو بعد جزاء الهي لهم .

يقول تعالى : ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾ النساء ١٥٥ .

﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ الصف ٥ .

وخلاصة القول إن الله لن يطبع على قلب أو يعمي عين قلب أو يصم أذنه ابتداءً بل لا يكون ذلك إلا إذا أراد الشخص بسوء اختياره ما يؤدي اليه أي يستمر على الكفر والعناد واللجاجة ومواجهة الحق فعندها يزيد الله مرضه الى حيث يسد طريق قلبه نهائياً . . وهو في الحقيقة نوع عذاب روحاني يعذب به هنا في الدنيا .

عينا الباطن وعينا الظاهر:

يجب أن يعلم أن الصمم والعمى والختم على القلب ليست أموراً مجازية واعتبارية بل هي أمور واقعية هي الآن ثابتة في كيان الشخص . وتحقيق ذلك أنه

كما أن للانسان في بدنه عيناً وأذناً وقلباً . . فهذه الاشياء موجودة في باطنه ايضاً وقد صرحت بذلك الروايات المستفيضة من ذلك يقول الإمام السجاد (ع) : «ألا أن للعبد أربعة أعين يبصر بهما أمر آخرته وعينان يبصر بهما أمر دنياه فاذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين التي في قلبه فأبصر بهما الغيب واذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه »[٥] .

وتسأل :

أنتم تقولون أن الشخص الذي يبقى ثابتاً على كفره حتى يموت فباطنه أعمى وأصم . . ويوم القيامة يكون ظاهره مطابقاً لباطنه أي أعمى وأصم وهذا مخالف لآية :

﴿ **اقرأ كتابك** ﴾ بني اسرائيل ١٤ .

حيث يعلم منها أنه ليس أعمى وإلا لما استطاع القراءة . . وكذلك الآية الشريفة :

﴿ **إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً** ﴾ السجدة ١٢ .

حيث يعلم منها أنهم يرون ويسمعون .

وفي الجواب نقول : يختلف الأمر باختلاف مواقف القيامة . . ففي بعضها يكون الكافر أعمى وأصم وفي بعضها يرى ويسمع كما أنه في بعضها يختم على أفواههم ولا يستطيعون الكلام . . وفي بعض المواقف الاخرى يسمح لهم بالكلام[٦] .

---

(٥) ميزان الحكمة ٢٢٤/٨ عن البحار ٥٣/٧٠ والخصال ٢٤٠ .

(٦) التوحيد للصدوق رحمه الله ٢٦٠ .

ويمكن أن يكون عمى هؤلاء وصممهم هما بالنسبة لآثار رحمة الله ونعمه غير المتناهية التي أعدها سبحانه لأهل الايمان والتقوى . . إذن فالكفار لا يرون الجنة ونعمها وأهلها . . لا يسمعون أنغام الجنة التي تأخذ بمجامع القلوب ولا يرون المراتب الروحية ودرجاتها . .

وباختصار كما أنهم في الدنيا قد عموا عن رؤية السعادة . . وصموا عن سماع الحق فهم غداً محرومون من رؤية ما فيه سعادتهم وراحتهم وسماعه . . وفي مقابل هذا يرون ويسمعون ما فيه شقاؤهم .

أنقذوا المجتمع :

قد تتساءل : لماذا أصر كثيراً على هذا الموضوع ؟ مع أن قراء هذا الكتاب وأمثاله هم مسلمون معتقدون بالمبدأ والمعاد .

والجواب : السبب هو سيل بُناةِ الكفر واللا دين الذي يغطي جميع أنحاء مجتمعنا اليوم ويهدد الجيل الشاب بشكل خاص ، حيث يقتلع غرس الايمان من قلوب هؤلاء الشباب بأنواع الاساليب الاعلامية والدعائية . . لهذا فإن من اللازم على كل فرد منّا أن يبذل ما في وسعه بالبيان والكتابة أو تمويل المشاريع الاعلامية الصحيحة ولا يدع شبابنا ينحرفون . . ليهتدي منهم المضللون وننقذهم ونوعيهم على المرض المهلك الذي ابتلوا به بأي شكل ممكن ونشرح لهم علاج هذا المرض بالطريقة التي يرد بيانها هنا . . اللهم إلا إذا كانت تلك الضلالات قد سدت طريق قلوبهم ولم يعد ينفع معهم النصح .

علاج الكفر بالمبدأ والمعاد :

الكافر بالمبدأ والمعاد هو الشخص الذي يفضح نفسه بالجرأة ويقول : هذا العالم ليس له خالق قادر وعالم . . ولا وجود لنبي بين الله والناس ولا وجود

لعالم اخر يجازى فيه البشر على اعمالهم .

هذا الشخص أعمى الباطن لأنه مبتلى بمرض الجهل المركب أي لا يعلم أنه لا يعلم وجهله هو الذي يصور له أنه يعلم . . فهو أعمى الباطن ويتصور أنه مثقف وهو مغرور يعتبر نفسه ذكياً مع أنه في غاية الغباء ، انه باختصار مريض يعجز الاطباء الروحيون عن علاجه . . ولا علاج له إلا توعيته على جهله . . إذا كان يتقبل .

عدم العلم غير العلم بالعدم :

يجب تنبيه المبتلي بمثل هذا المرض الى أنه لم يعلم الحق ولم يعرف الله ولم يفهم عالم الجزاء . . لا أنه عرف الحق وأنكره . . وأن حالك يعني في الاصطلاح عدم العلم لا العلم بالعدم أي أنك لا تعلم أنك هناك آلهاً وآخره . . لا أنك تعلم أنه لا يوجد فأنت تماماً مثل من ولد أعمى الذي يقول لا وجود لشمس تضيء العالم . . يجب أن يقال له أنت لم تر الشمس الساطعة ولم تعرفها . . فيجب أن تقول لا أعرفها ولا علم لي بها .

في الحقيقة أن كلام منكري الحق يفضح عدم علمهم وجهلهم المركب . . كما أن المؤمن يكشف عن فهمه وعلمه . . وبالاقرار بالشهادتين يثبت كماله ومعرفته .

حالة الشك والتردد :

لأن الشخص المنكر مبتلى بالعجب وحب الذات والجهل المركب فيجب ازالة ستار غفلته ، وتعريفه بحاله وأنك في حالة الشك والتردد . . وإذا رجعت الى عقلك ووجدانك أفلا تحتمل أن المتدينين يقولون الصواب . . وأن غير المتدينين مخطئون .

ألا تحتمل أن للعالم خالقاً عالماً وقادراً . . وأن ثمة بعثاً وعالم جزاء ؟

ألا تحتمل باختصار أن كلام الانبياء صحيح ؟

إذا أجاب بالنفي فكونوا على يقين أنه يكذب . . ولا يريد أن يهتدي . . فيجب أن يوكل الى نفسه ، وإذا أنصف وقال صواباً . . أي أنه يحتمل ما ذكر فيجب أن يقال له :

أليس مجافياً للعقل أن تقول عما تحتمل أنه صحيح . . أنه خطأ . . وهل يستطيع الشخص الشاك أن يدعي عدم شيء لا يعلم وجوده أو ينكر وجود شيء لا يعلم عدمه . . أوليست القاعدة العقلية تقول : عدم وجود شيء لا يدل على عدم وجوده إذ من الممكن أن يكون موجوداً ولكنك أنت لم تجده . . الشخص الذي يضيع له شيء ويبحث عنه ثم لا يجده . . هل يستطيع أن يقول انه غير موجود أصلاً ، بل يجب أن يقول : لعله موجود ولكني لم أعثر عليه .

نافذة الأمل . . اشراقة نور الايمان :

إذا أدرك الشخص المنكر هذه الحقيقة فان حجاب غفلته وجهله المركب يتمزّق وتفتح نافذة قلبه لاشراقة نور الايمان لأن هذا الالتفات الى الشك والتردد هو نفسه يصبح بداية التحقيق والبحث . . لأن الانسان بحسب الفطرة متعطش للكمال والعلم فانه يتحرك ليصل من الشك الى الظن ومن الظن الى العلم ومن ثم الى مراتب اليقين أي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين التي هي أعلى مراتب كمال الانسانية .

هذا إذا شمله التوفيق الالهي . . ولم يقصر في الطلب . . وأزال الموانع والعقبات .

الفرق بين ادراك الانسان والحيوان :

في الحقيقة ان هذا الالتفات الى حاله والتصديق بجهله وشكّه أول تفتّح للانسانية فيه وبداية التحليق من مرتبة الحيوانية لأن الشعور الحيواني ضعيف وبالاصطلاح بسيط أي لا يعرف شيئاً عن حاله . . ولا يفهم شيئاً عن كونه يشعر بشيء أو لا يشعر . . أما الادراك الانساني فهو قوي وفي الاصطلاح هو مركب أي يفهم أنه يعلم شيئاً أو لا يعلم ، وكذلك فان الحيوان لا يتصدى لفهم شيء لا يفهمه ولكن الانسان هو الذي يتصدى للفهم وزيادة علمه . . إذن الفرق بين الشعور الحيواني والانساني شيئان : كون الشعور الحيواني بسيطاً ومحدوداً بينما الشعور الانساني مركب وقابل للزيادة .

الكفار كالحيوانات المفترسة :

يعلم جيداً من هذا العرض أن منكري الحق لم يفهموا أبداً جهلهم وشكهم . . ولم يتصدوا لتحصيل العلم وزيادته . . . ولم يتجاوزوا حد الشعور الحيواني . . ولذا اعتبرهم القرآن الكريم في عدة مواضع مثل الحيوانات :

١ ـ ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** ﴾ محمد ١٢ .

فهم كالحيوانات لأنهم لم يعرفوا النعمة ولا الهدف منها ولا المنعم ، بل هم أسوأ من الحيوانات لأنهم ينكرون النعمة ومن هنا كانت النار مثوى لهم .

٢ ـ ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** ﴾ الجمعة ٥ .

وكلما تصدى منكر الحق لمواجهة الحق فهو كالحيوان المفترس . . أي

أن باطنه مفترس[7] وإذا أصبح من أهل المكر والحيلة فهو في الباطن شيطان[8] . . وبعد الموت يحشر مع الشياطين وفي زمرتهم .

علاج الكفر في آيات القرآن :

ما ذكر في معالجة الكفر مستفاد من الآيات الكثيرة في القرآن المجيد وروايات أهل البيت عليهم السلام ونذكر هنا بعضها :

١ ـ ﴿**وقالوا**﴾ أهل العناد والكفر ـ : ﴿**ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون**﴾ الجاثية ٢٤ .

هذه الآية اشارة الى الجهل المركب . . وعن أصحاب الجهل البسيط يقول تعالى :

٢ ـ ﴿ **وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين** ﴾ الجاثية ٣٢ .

٣ ـ ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾ يونس ٣٩ .

٤ ـ ﴿ **بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون** ﴾ النمل ٦٦ .

٥ ـ ﴿ **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتّبعون إلا الظن وان أنتم إلا تخرصون** ﴾ الانعام ١٤٨ .

يعلم من أمثال هذه الآيات أنه يجب توعية المنكِر على جهله وشكّه . .

---

(٧) ﴿**فمثله كمثل الكلب**﴾ الاعراف ١٧٦ .

(٨) ﴿ **شياطين الانس والجن** ﴾ الانعام ١١٢ .

ثم يقال له :

حيث أن معرفة الله والنبي والآخرة أمور يعتبر عدم العلم بها ضرراً كبيراً وهلاكاً أبدياً وأنت تحتمل امكانية كون هذه الأمور صحيحة . . مما يؤدي الى أن تبتلى بهذه الابتلاءات التي لا تحتمل أي الضرر الكبير والهلاك الدائم وبما أن العقل والشرع يحكمان بوجوب دفع الضرر المحتمل عندما يكون شديداً لا طاقة للانسان به . . فلا عذر لك في ترك هذه العلوم . كما يقول تعالى :

﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم ﴾ المطففين ٤ ـ ٥ .

أي وان كانوا لا يعلمون . . فان هذا الظن ـ أو الاحتمال ـ هو بحكم العقل كافٍ في لزوم علم ذلك الشيء الذي يعتبر عدم علمه ضرراً كبيراً ، ولزوم الاجتناب عما يوجب العذاب ومن جملة ذلك التطفيف بالبعث وعدم إعطائه الاهمية التي يستحق التي هي مورد الآية الشريفة .

كلام الإمام الصادق (ع) للزنديق :

جاء زنديق اسمه عبد الملك الى الإمام الصادق عليه السلام ، فقال له الإمام في حديث طويل : «أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً ؟ قال نعم ، قال : فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك بما تحتها ؟ قال : لا أدري إلا اني أظن أن ليس تحتها شيء ، قال أبو عبد الله عليه السلام : فالظن عجز مالم تستيقن (ثم) قال أبو عبد الله : فصعدت السماء ، قال : لا ، قال : فتدري ما فيها ، قال : لا قال : فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما ، قال : لا ، قال : فعجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد السماء ولم تخبر هنالك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد ما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ . .

فقال الزنديق : ما كلمني بهذا أحد غيرك . . قال أبو عبد الله عليه

السلام : فأنت في شك في ذلك فلعل هو أو لعل ليس هو واعترف « الزنديق » بشكه فأخذ الإمام يعلمه ويوجهه إلى التفكير بنظم الكون ويقدم له الأدلة كما سيأتي بالتفصيل حتى آمن وأصبح فيما بعد من الدعاة إلى الله عز وجل»[٩] .

الشجرة الطيبة والخبيثة :

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ ابراهيم ٢٤ ـ ٢٦ .

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ « لا إله إلا الله وسائر العقائد الحقة » .

﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ « كلمة الكفر والشرك والانكار وسائر العقائد غير الحقة » .

إذن كل شخص أضيء قلبه بنور الايمان والتوحيد يعلم أن هذا الأصل له فروع لازمة له من جملة ذلك الايمان بالانبياء وخاصة آخرهم رسول الله محمد ابن عبد الله (ص) وقبول ولاية أوصيائه الإثنى عشر ، والايمان بالآخرة وما أخبر به (ص) من القيامة والجنة والنار .

ومن جملة ذلك التحلي بالاخلاق الفاضلة والملكات الحسنة كالكرم والعفة والشجاعة والعدالة وسعة الصدر والصبر والرضا بقضاء الله وتفويض

---

(٩) التوحيد للصدوق/ ٢٩٤ « وقد وكل به الإمام هشام بن الحكم (رض) فعلمه هشام فكان معلم أهل مصر وأهل شام (كذا) وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام » . .

الأمور اليه .

والخلاصة ان أعمال الانسان الحسنة بمنزلة أوراق تلك الشجرة .

الخيرات والبركات والرحمات هي نتيجة الايمان والأخلاق والسلوك وآثارها التي تصله باستمرار . . وهو يستفيد منها . . والآخرون كذلك يستفيدون من وجوده . . انه يكون باستمرار مورداً للبركات ومصدراً للخيرات . . وهذا ثمر تلك الشجرة .

شعب الكفر :

كما أنه كلّما خيّم ظلام الكفر والشرك بالله على قلب فانه تكون له شعب : من جملة ذلك انكار الرسالة والولاية والقيامة والثواب والعقاب . . ومن جملة ذلك الحرص على الدنيا ، البخل ، الحسد ، الظلم ، الخيانة ، الجناية وسائر الأخلاق السيئة .

ومن جملة ذلك : الأقوال والأفعال المنافية ، وليس لكفره وأخلاقه القبيحة وأفعاله غير المقبولة نتيجة إلا الضرر له وللآخرين . . وهكذا يكون مثل أغصان تلك الشجرة الخبيثة وأوراقها وثمرها .

ولأن الكفر أمر عدمي الذي هو الجهل ـ عدم العلم ـ فليس له أصل ولا فرع حتى تكون له الثمرة الوجودية التي هي أنواع الخيرات .

دائماً متقابلان :

يعلم من هذه الايضاحات جيداً أن الايمان والكفر ضدّان . . وهما متقابلان دائماً وفي كل مكان أي في مقام العلم والقبول ، مقام الاخلاق والملكات ، مقام الأعمال والنتائج والآثار ، أي الايمان عين العلم والكفر عين الجهل ، قول الحق من فروع الايمان ورفضه من فروع الكفر . . كما أن شكر

النعمة من أقسام الايمان وكفران النعمة من الكفر .

الصبر والشجاعة والكرم وغيرهما من الايمان ، والحرص والبخل والحسد من الكفر . وباختصار الاعمال الصالحة جميعها من أوراق الايمان ، كما أن الأعمال السيئة كلها من توابع الكفر .

لا يصدر من المؤمن سوء . . ولا من الكافر خير :

قد تسأل : بناءاً على هذا فلن يصدر من المؤمن إلا الخير . . كما لن يصدر من الكافر إلا الشر مع أننا نرى أن بعض الكفار تصدر منهم خيرات . . وبعض المؤمنين تصدر منهم شرور .

الجواب : الخير الحقيقي لا يصدر من الكافر أبداً . . وما يرى منهم بصورة خير كالانفاق وبذل المال مثلا . . فالجواب عنه :

أولاً : ان الانفاق يكون خيراً حين يكون تحصيل المال من الطريق المشروع .

وثانياً : أن يصرف المال في الموارد التي يرضاها العقل والشرع كمّا وكيفاً أي أن لا يسرف ولا يبذّر .

وثالثاً : أن يكون الهدف هو الله فقط . . وعليه فإذا أنفق طمعاً في زيادة المال أو الشهرة أو مدح الناس فهو في الحقيقة قد تاجر . . لا أنه قد صدر منه خير . . والكافر الذي ينفق أو يبني مستشفى أو يؤسس معملاً ما لا تتوفر في عمله الشروط الثلاثة المتقدمة أو أحدها حتماً .

مثلاً : البرامكة كانوا يملأون خزينتهم من أموال المسلمين . . ثم يعطون مائة ألف أو مائتي ألف لشاعر ينظم قصيدة في مدحهم ليعززوا بذلك موقعهم في الوزارة . . فهل يصح أن يسمى هذا الانفاق « عمل خير »؟ . .

وأما الشر الذي يرى من المؤمن فهو ليس شراً حقيقياً . . أي أنه لم يصدر منه باعتباره منكراً لله والحساب ويوم الجزاء . . بل صدر منه صدفة . . نتيجة غلبة الهوى والهوس ووسوسة الشيطان . . وهنا يأتي دور ايمانه الذي يجعله يتندم بشدّة على عمله ويحمله على تلافي ما حصل منه .

وفيما إذا صدرت منه شرور ولم يندم على أعماله المنافية ولم يتألم بسببها بحيث يصبح في مقام تلافيها وجبرانها . . يعلم اذن أن الايمان لم يستقر بعد في قلبه . . وهو فقط على لسانه .

يقول تعالى في سورة الحجرات : ﴿ **قالت الأعراب آمنّا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم** . . . ﴾ الحجرات ١٤ .

انكار رسالة الانبياء :

مرّ معنا الكفر بالمبدأ والمعاد وعلاجه . . هناك قسم آخر من الكفر هو انكار رسالة الانبياء كما هو اعتقاد البراهمة وهم طائفة من الهند يعتقدون بالله ولكنهم يقولون ان العقل البشري يكفي لتحديد الطريق وتعيينه .

يجب أن يقال لهم انكم غير منسجمين في انكاركم هذا مع عقلكم ووجدانكم لانكم لا تجزمون بكذب الانبياء . . وانكم حتماً تحتملون صحة ما أخبروا به عن سعادة الانسان وشقائه وآثار أعماله الحسنة والقبيحة ومستقبله مما يتضح في العالم الآخر . . وأنتم أنكرتم كل ذلك حتى تتخلصوا من مسؤولية التكاليف الالهية لتعملوا وفق أهوائكم وميولكم دون قيد أو حد . .

وقد تقدم معنا أن انكار الشيء من دون علم بعدمه خلاف حكم العقل القطعي .

وعندما يسلّم أمثال هؤلاء بأن انكارهم لا مبرر له عندها نقدم لهم الأدلة

العقلية الدالة على صحة النبوات ولزومها والموجودة في كتب علم الكلام[١٠] وهنا يكفينا الالتفات الى هذه الآية الشريفة: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء** ﴾ الانعام ٩١.

حقاً .. لم يعرفوا الله :

الاشخاص الذين يقولون ان الله لم يبعث نبياً هم في الحقيقة يجهلون حكم الله .. الله الذي أعطى البشر كل ما يحتاجون .. هل يا ترى يترك الانسان دون ارسال الهداة والأدلّة الذين يدلونه على الهدف من الخلقة ويميزون له طريق السعادة من طريق الشقاء .. ويطلعونه على مستقبله ؟

في حين أن احتياج البشر لهذا أكثر من احتياجه لأي شيء آخر .. هل يا ترى حاجة الانسان لأظافر الاصابع أو الحاجب فوق عينه أو الأشياء الاخرى أكثر من احتياجه للمرشد والدليل ؟

المعرفة بعالم الوجود .. ببركة المرشد :

البشر الذي أودع الله فيه قابلية الاحاطة بعالم الوجود ومعرفة حقائق الاشياء .. والاطلاع على عالم الملك والملكوت .. والوصول في مجال معرفة الله الى مرتبة حق اليقين .. وفي مجال العمل أودع فيه سبحانه امكانية الحصول على الكمالات الانسانية والفضائل الاخلاقية .. هذا البشر الذي أودع الله فيه كل هذه القابليات .. والذي يستطيع أن يصل الى هذه الكمالات اذا توفر له المعلم الروحاني .. هل يا ترى يمكن أن لا يرسل الله سبحانه هذا المعلم الروحاني إليه سبب أو لآخر .. كي يستفيد من ينبوع علم الله الذي لا نهاية له ؟ ..

---

(١٠) راجع مثلاً كتاب النبوة للمؤلف رضوان الله عليه .

العقل محدود وتابع للغريزة :

هل صحيح أن نقول أن العقل وحده كاف مع أن كل عاقل يفهم أن إدراكاته العقلية محدودة وأن مجهولاته لا نهاية لها . . وأنه في مقام تمييز الخير والشر وتحديدهما يكون أسير الغرائز والطباع الحيوانية ويبتلى بالعادات والتقاليد ومرض اتباع الآخرين . . بحيث أنه يصاب بالخطأ والتردد . . وما أكثر الخيرات التي يحسبها شراً . . والشرور التي يحسبها خيراً .

وأكثر من هذا أن العقل البشري لا يعرف شيئاً عن عالم ما بعد الموت نهائياً . . ولا يعلم بالتالي الأمور التي هي ضرورية لسعادته في حياته الأخرى حتى يستعدّ لها هنا .

وإذا لم يبين الله سبحانه للانسان عن طريق رسله وسيلة تأمين سعادة الحياة الأخرى ولم يمكننا من معرفة ذلك . . فان هذا ظلم واضح لا مجال للتردد فيه .

باختصار كما أن العين في الظلام لا ترى شيئاً ولا تميزه إلا إذا كان الضياء موجوداً . . فان العقل الانساني عاجز عن تمييز الخير والشر وحده ـ كما ذكر ـ وهو محتاج الى نور الشرع والرسل الالهيين .

إنكار رسالة خاتم الانبياء محمد بن عبد الله (ص):

منكرو نبوة نبي الاسلام (ص) كاليهود والنصارى أيضاً غير منسجمين مع حكم عقلهم ووجدانهم . . ولو أنهم من أهل الانصاف . . ولم يعمهم التعصب والعناد وتقليد الآخرين لكان تذكيرهم بهذه الآية من القرآن الكريم كافياً :

﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ العنكبوت ٤٨ .

لأن نبي الاسلام لم يقرأ كتاباً ولا أمسك قلماً بيده قبل نزول القرآن . . إذن فليس ثمة أي شك في أنه نبي الله ومن البديهي في تاريخ نبي الاسلام أنه لم يذهب الى مدرسة . . ولا عرف استاذاً ولا تتلمذ عند استاذ . . وكان دائماً في مكة باستثناء رحلتين الى الشام احداهما قبل بلوغه مع عمه أبي طالب (رض) والثانية عندما كان عمره خمساً وعشرين عاماً وكان معه « ميسرة » في تجارة سيدتنا خديجة رضوان الله عليها وليست أحوال النبي (ص) بخافية بوجه من الوجوه على أهل مكة . . والكل يعلم أنه كان أمياً . . ومع ذلك جاء من عند الله بكتاب يضم كل المعارف الالهية والأخلاق الفاضلة والقوانين والأحكام الجزئية في العبادات والمعاملات والسياسات والاجتماعيات مشتملاً على تنبؤات أثبت الواقع صحتها . . وهذا الكتاب بعد من حيث الفصاحة والبلاغة قد خضع له جميع بلغاء العالم . . ولم ير فيه أي اختلاف . .

وإضافة الى ذلك فان معجزات النبي (ص) قد احصاها البعض فبلغت الاربعة آلاف معجزة[١١].

إنكار الولاية والإمامة :

الائمة الاثنا عشر أي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والمهدي عجل الله تعالى فرجه الذين حمل الحسد وحب الرئاسة على المسلمين الخلفاء الظلمة من بني أمية وبني العباس على انكار امامتهم . . وأصبح واجباً لعلاج الشك في ولايتهم الرجوع الى الكتب التي تتحدث عن ذلك والتي تنقل مئات

(١١) يراجع البحار الجزء السادس ، وانيس الأعلام ج٢ ، وحياة القلوب للمجلسي (ره) .

الاحاديث عن العامة[١٢] . . ولأن الهدف هنا إشارة مختصرة لعلاج الشك والتردد . . فاننا ننقل الحديث المسلم عند الشيعة والسنة والمروي عن رسول الله (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا » .

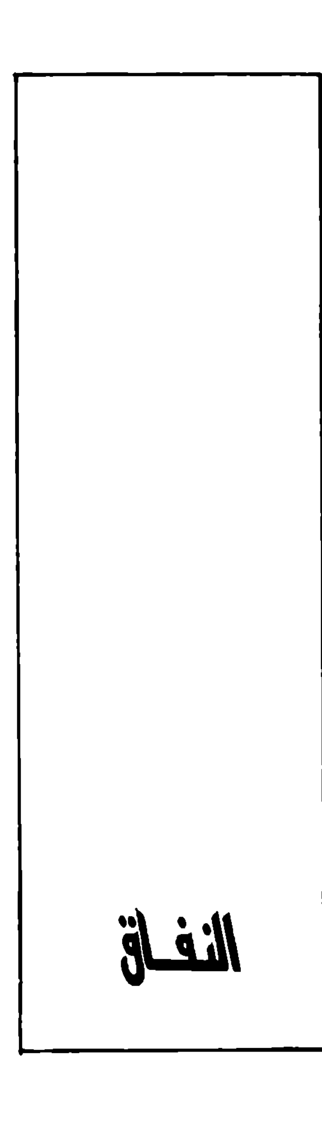
هذا الحديث ذكره السيد البحراني في كتاب غاية المرام من طرق العامة بـ ٣٩ طريقاً ومن طرق الخاصة بـ ٨٢ طريقاً .

وهناك أيضاً أحاديث مروية عن رسول الله (ص) في أسماء الائمة وصفاتهم وأن الثاني عشر منهم هو المهدي (عج) الذي تكون له غيبة طويلة وتحدث في مدّة غيبته فتن وعند ظهوره يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا .

وقد روي في هذا الموضوع أكثر من ألف حديث فليراجع الكتاب المذكور .

---

(١٢) الشافي للسيد المرتضى ، والطرائف للسيد ابن طاووس ، والمراجعات ، والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين وغير ذلك .


النفاق

النفاق أكبر الذنوب القلبية ، وأصعب الأمراض النفسيه يُسقط صاحبه كليا من عالم الانسانية . . ويضعه في عداد الشياطين . . بل في أسوأ الدركات وقد عين القرآن الكريم مكان المنافق في قعر جهنم وأسفل درك من النار[1] .

فعـذاب المنافقين اذن أكثـر من عذاب الكفـار لأن النفاق أسـوأ أنواع الكفر ، ان المنـافق لأجل الحصول على الآثار الدنيوية للتدين . . يظهر نفسه بمظهر المتدينين في القول والعمل . . في حين أنه قلباً ليس متدينـاً . . مثلا يظهر الشهادتين باللسان ويقر بالقرآن وحقـانية القيـامة في حين أنـه لا يعتقد بهما . . ولم يعقد عليهما قلبه . . بل هو منكر لهما .

﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ الفتح ١١ .

أو أنه يصلي أمام الناس ليكسب قلوبهم . . ويحج . . ويتصدق ، حتى يعرف بينهم بالتدين ويمدحونه ويثنون عليه . . ليطمئنوا له ويعتمدوا عليه .

بنـاءاً على هذا فقـد جمع في المنـافق بالاضـافة الى الكفـر ـ الكذب

---

(١) ﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ النساء ١٤٥ .

والخداع والاحتيال ـ والاستهزاء .

يكذب على الله ورسوله وأهل الايمان ويخادعهم ، ويسخر من الحق ، أي في الحقيقة يكذب على نفسه ويخادعها . . ويسخر منها بالتفصيل المذكور في القرآن المجيد ويأتى بيانه .

أنواع النفاق :

النفاق يعني التلون ، مخالفة الظاهر للباطن ، أي أن ظاهره الايمان وباطنه الكفر ، ظاهره حسن وباطنه قبيح . . وهذا على ثلاثة أقسام . . نفاق مع الله في أصل الايمان ونفاق مع الله في لوازم الايمان وفروعه . . ونفاق مع الناس .

النفاق على الله في أصل الايمان :

في قلبه . . لم يصدق بالله والآخرة ولكنه في الظاهر وأمام المسلمين يظهر نفسه بمظهر المؤمن . . حتى يستفيد من أحكام الاسلام التي تعود عليه بالنفع كالطهارة ، الزواج ، الأرث وغير ذلك .

يقول تعالى في سورة البقرة حول هدا النوع :

﴿ ومن الناس من يقول آمنّا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ البقرة ٨ .

ويقول تعالى :

﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون ﴾ البقرة ١٤ .

وهذه أسوأ مراتب النفاق التي لا يتصور أسوأ منها . . وعذاب منافق من

هذا النوع في الآخرة أكثر من الكفار . . وسوف لن يكون له نصيب في النجاة أبدا . . وقد ذكر في القرآن الكثير من انحطاط المنافقين وشدة عذابهم ولزوم اجتنابهم ، وتعداد هؤلاء بين المسلمين كثير بل ان بعضهم كبني أمية حكموا المسلمين عشرات السنين .

على كل حال فانه بمجرد أن يظهر نفاق هذا النوع من المنافقين بواسطة أقوالهم وأفعالهم كيزيد بن معاوية فان التبرؤ منه ولعنه في حياته وبعد موته واجب على كل مسلم . . وحقا ان ضرر هذا القسم من المنافقين على الاسلام أكثر من ضرر الكفّار .

التقية وأقسامها :

النفاق على الله كما اتضح هو بمعنى اخفاء الكفر والتظاهر بالتدين للاستفادة من امتيازات التدين ، ولكن التقية التي يوجبها العقل والشرع هي بعكس النفاق أي اخفاء الايمان القلبي عن المنكرين ليتخلص من الضرر المالي أو الجسدي أو الاهانة . . فيما اذا لم يكن بالتظاهر نفع للدين . . أي اذا أظهر معتقده القلبي يراق دمه أو يأخذ ماله دون أن يكون في ذلك نفع للدين هنا تكون التقية واجبة .

وكلما كان اظهار الحق في مورد سببا في تقوية الحق فترك التقية مستحب كعدم تقية ميثم التمار وأبي ذر الغفاري وحجر بن عدي رضي الله عنهم .

وكلما كانت التقية أي اخفاء الحق وعدم اظهاره سببا في تقوية الباطل واندثار الحق تكون التقية حراماً ويكون تركها واجباً كما أن الحسين (ع) لم يتق وأظهر الحق .

وباختصار ان التقية على ثلاثة أقسام : واجب ومستحب وحرام ويمكن تصور قسمين آخرين لها مكروه ومباح .

التقية غير النفاق :

مما ذكر يعلم أن التقية في وجوبها وجوازها ليست نفاقاً بل هي بعكسه وهي بعد ضرورة بحكم العقل . . والشخص الذي لا يتقى حيث تلزم التقية يوبخه العقلاء على ما فعل . . لأن هدر دمه والقاء نفسه في التهلكة دونما طائل ليس الا سفهاً لا غير .

وفي الشريعة الاسلامية المقدسة أمرنا باخفاء الحق (والعمل به في حال اخفائه) في موارد الخوف على النفس أو العرض أو المال ، وقد بين الله سبحانه في سورة آل عمران الآية٢٧ وسورة النمل الآية١٠٨ وجاء التأكيد في روايات أهل البيت على هذا الموضوع كثيرا . . والاستطراد في بيانه خارج عن بحثنا .

النفاق على الله في لوازم الايمان :

أي أن يكون الشخص ذا ايمان ضعيف بالله ويوم الجزاء ولكنه لا يتحلى بشيء من لوازم هذا الايمان أو أن فيه ضعفاً كبيراً في هذا المجال . . ولكنه يدّعى كذباً أنه يمتلك هذه اللوازم ويتحلى بها . . مثلاً : كأن لا يكون في نفسه وقلبه أي خوف من القيامة والحساب وميزان الاعمال ونار جهنم . . الا أنه يدّعى أنه يخاف الله . . وأنه يخاف يوم القيامة وحسابها . . ودليل كونه كاذباً عدم اجتنابه الذنوب . . حيث أن من خاف طعاماً مسموماً لا يمد يده اليه كذلك من خاف العدل الالهي والعقاب الالهي . . فمن المستحيل أن يمعن في المعاصي غير آبه بشيء .

ولذا نقل عن أحد الأعلام أنك اذا سئلت هل تخاف الله فاسكت ولا تجب لأنك ان قلت « لا » كفرت بما أخبر الله به من مجازاة يوم القيامة . . وان قلت « نعم » فقد كذبت لأن علامة الخوف من الله الفرار من الذنوب .

المعصية . . لا عن تجبر :

الا أن الحق أن نقول ان أهل الايمان يعلمون أن الله حاضر وناظر وهم خائفون من بطشه . . مشفقون من عدله . . ولذا فانهم أبدا لا يعصون عن تجبر وانكار للمجازاة الالهية . . بل أنهم اذا أذنبوا فلغلبة النفس والشيطان وركونهم المفرط للحلم الالهي . . ودليل ذلك الندامة ، فيما بعد والسعي لتحصيل التوبة والتعويض .

وباختصار ان صدور الذنب ليس دليل عدم الايمان . . بل ان عدم الندم هو دليل عدم الايمان .

روى عن الصادق عليه السلام : « من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » .

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي يقول الامام السّجاد (ع) :« الهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا لأمرك مستخف ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا لوعيدك متهاون ، ولكن خطيئة عرضت ، وسوّلت نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي وغرّني سترك المرخى علي .»

الانفاق علامة الأمل بالله :

من موارد النفاق على الله في لوازم الايمان ادعاء الرجاء بالله من الشخص الذي ليس في قلبه أمل بالله أو أن أمله ضعيف جدا . . أي يقول أنا مؤمل بربي في حين أنه يكذب ويتهرب من بذل عمره وماله في سبيل الله كأن يعتبر الانفاق في سبيل الله ضررا ولا يؤمل أن يعوض الله عليه ذلك في الدنيا والآخرة . . ولو أنه كان من أهل الأمل بالله لما تهرب من بذل روحه في سبيل الله ولكان اجتنب الاتجار مع غيره ولو بدرهم لا قيمة له .

باختصار كما أن دليل الخوف من الله اجتناب الذنوب والتوبة اليه تعالى فان علامة الأمل بالثواب الالهي السعى في الطاعة . . كما في الاعمال الدنيوية حيث يبذل الانسان جهوداً لأن له أملًا مادياً . . وخاصة عندما يكون له طمع باستحصال المال فانه يرتكب في سبيل ذلك من الاعمال ما لا يقال ولا يكتب . . .

ادعاء المقامات الروحانية :

ومن موارد النفاق أيضا ادعاء الانسان مرتبة الزهد في الدنيا والحال أن قلبه ليس خالياً من حب الدنيا . . وادعاء مقام التوكل على الله والشكر والرضى بقضائه والتسليم له وحبه سبحانه وتعالى ، والحال أن اعتماده حقيقة على الاسباب المادية وليس أبدا بصدد شكر نعم الله التي لا تحصى . . وعندما يتعرض للهزات ويواجه المصائب فانه لا يكون راضياً بقضاء الله .

ان هذا القسم من النفاق يختلف عن القسم الأول لأن الايمان بالله ويوم الجزاء موجود في هذا النوع من الناس وان كان ضعيفا . . واذا مات صاحبه عليه فانه ينجو حتما من الهلاك الابدي ولا يخلد في العذاب . . انه يخرج من النار ولكن بعد تحمل الآلام ومواجهة الصعاب والابتلاءات . . وحتى بعد النجاة من النار فانه سيكون بسبب نفاقه محروماً من درجات أهل الصدق ومقاماتهم .

النفاق على الله في العبادة:

النفاق على الله في أنواع العبادات من الواجبات والمستحبات البدنية والمالية كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . يكون بأن يؤدى الشخص عبادة في حين أن تمام الداعى أو جزء الداعى والتحرك في هذا العمل من أجل أن يظهر نفسه للناس بمظهر المتدين

ليكسب بذلك جاهاً ومنزلة .

شخص من هذا النوع يسمى يوم القيامة بأربعة أسماء : الغادر ، الفاجر ، الكافر ، الخاسر ، وطبقا للآيات والأخبار فان عمله حرام وباطل . . وهو في الآخرة معذب الا أن يتوب ويتلافى ما مضى . . وقد ذكر تفصيل ذلك في كتاب الكبائر .

الذنوب التي تورث النفاق :

بعض الذنوب تقضي على الايمان ، وتسبب النفاق القلبي . . ومن مات على غير الايمان فلا نجاة له أبدا . . من جملة هذه الذنوب الرياء كما صرح بذلك في حديث طويل عن الامام الصادق عليه السلام وحيث قد ذكر في كتاب الذنوب الكبيرة فلا داعي لتكراره هنا .

ومثل قتل النفس وترك الصلاة والزكاة والحج والبهتان أيضا وكذلك أمور أخرى أشير الى بعضها في الروايات كالفرح لمصاب سيد الشهداء سلام الله عليه . .

ينقل في الجزء العاشر من البحار ضمن حديث طويل عن أخبار النبي (ص) بشهادة الحسين (ع) قوله (ص) : « وكأني أنظر اليه والى مصرعه ومدفنه بها ، وكأني أنظر الى السبايا على أقتاب المطايا وقد أهدي رأس ولدي الحسين الى يزيد فوالله ما ينظر أحد الى رأس الحسين ويفرح الا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه عذاباً أليماً . »

أي أن الاسلام سيكون على لسانه فقط . . وقلبه غارق في ظلام الكفر . ومن جملة الذنوب التي تجلب النفاق البخل في اداء النفقات الواجبة كالزكاة وغيرها كما يقول تعالى في سورة التوبة :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من

الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ . التوبة ٧٥ ـ ٧٦ .

وقوله تعالى : ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يعني أنهم عند موتهم يموتون على النفاق .

النفاق على الناس :

أي كون الشخص ذا وجهين ولسانين : فهو في حضور شخص يمدحه ويثني عليه ويظهر محبته وحب الخير له ، وفي غيابه بخلاف ذلك أي يـذمه ويتصدى لايذائه والاضرار به .

أو أنه عندما يكون عداء بين شخصين يظهر لكل منهما أنه معه ضد الآخر ويحسن له عداءه للآخر . .

وهنا ينبغي القول أنه اذا كان في مثل هذا المورد يظهر لكل منهما الصداقة دون أن يظهر أنه عدو للآخر . . ودون أن يوغر صدر أحدهما ضد الآخر فليس ذلك نفاقاً وكذلك اذا أظهر الصداقة لشخص سيء وشرير في حضـوره حتى يتخلص من شره فليس ذلك نفاقاً بل هو من موارد التقية التي تصبح في بعض الموارد واجبة .

التقية غير التملق :

وهذا السلوك جائز فقط عند خطر الضرر من ذلك الشرير أما ما يرى من أكثر الناس من التملق لأشخاص ضعفاً أمامهم أو طمعاً أو توهما لامور لا حقيقة لها . . ولذلك يتصدون لمدحهم في حين لا يكون في قلبهم أي وجود حقيقي لهذه الكلمات بل قد يكون ما في قلبهم ضد ذلك ويسمون هذا مداراة وحسن

تصرف فانه في الحقيقة نفاق قطعي وحرام .

التلون رديف الشرك :

يقول أمير المؤمنين (ع) ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط أنه لا ينفع عبداً وان أجهد نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها : أن يشرك بالله في ما افترض عليه من عبادته أو يشفي غيظه بهلاك نفس أو يعر بعملٍ فعلَه غيرُه أو يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه أو يلقى الناس بوجهين أو يمشي فيهم بلسانين[٢] .

ويقول الباقر عليه السلام : « بئس العبد عبداً همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر بآخر » .

وقال رسول الله (ص) : « ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا ائتمن خان واذا حدّث كذب واذا وعد أخلف »[٣] .

وعن السجاد عليه السلام : ان الذنوب التي ترد الدعاء سوء النية وخبث السريرة والنفاق مع الاخوان وترك التصديق بالاجابة وتأخير الصلوات المفروضات عن أوقاتها وترك التقرب الى الله بالبر والصدقة واستعمال البذاء والفحش في القول[٤] ونكتفي هنا بهذا المقدار لأن بحث النفاق ورد في كتاب الذنوب الكبيرة ضمن البحث حول الرياء والمكر والغيبة .

---

(٢) نهج البلاغة الخطبة /١٥٣ ويَعُر بمعنى يعيب ويُعير .

(٣) اصول الكافي .

(٤) معاني الاخبار .

عذاب النفاق مرتبط بمقداره :

كما تقدم فان لكل من النفاق مع الله ومع الخلق مراتب ودرجات تتفاوت عقوبة النفاق وحرمته بتفاوتها مثلا النفاق مع الله مرتبته الشديدة اظهار الايمان باللسان وانكاره بالقلب . . ومن مات وهذه حاله يخلد في النار وعذابه أشد من عذاب الكفار .

والمرتبة التي تليه اظهار الايمان واليقين باللسان في حين أنه في الحقيقة شاك . . ومن مات على ذلك فهو في جهنم الا أن عذابه ليس كعذاب المنكر .

والمرتبة التي تليه أن يكون ايمانه باللسان والقلب معا لكن في مقام عبادته لله يجعل له شريكا ويرائي . . شخص كهذا اذا مات فلا يخلد في النار بل ان ايمانه ينجيه في نهاية الأمر ويدخل الجنة ولكن مدة عذابه في البرزخ ومدة بقائه في النار تتوقفان على مقدار ريائه .

عدل الله ـ الشفاعة ـ التوبة :

الرياء الذي مارسه هذا الشخص اما أن يكون في الواجبات ، أو في المستحبات ، في أصل العمل أو في كيفيته وخصوصيته ، مثلا ، جاء بأصل الصلاة لله ولكنه في الاثناء أظهر الخشوع رياء . . أو راءى في الصلاة كلها . . ويمكن أن يكون مرائياً في جميع عمره أو في جانب منه . . على كل حال لا شك في أن العدل الالهي يتدخل وكل شخص يعذّب بمقدار ذنبه . . الا أن يعامله الله بفضله وينجيه بشفاعة محمد وآل محمد (ص) .

ثم ان العذاب هو فيما اذا مات المرائي ولم يتب . . فاذا وفق للتوبة الصادقة وقضاء العبادات التي أدّاها رياء . . وأصلح ما أفسد من أمره ، فانه ينجو من العذاب . . وقد تقدم معنا أن المرائي اذا كان مصراً على الرياء

ومستمراً . . فبعيد أن يموت على الايمان . . ذلك أن الذنوب التي تورث النفاق انما تورثه في حال الاصرار عليها .

ولا يفوتنا هنا أن نسجل أن أقل مراتب النفاق مع الله في العبادة أن يزيد خشوع البدن على خشوع القلب وقد ورد بهذا المضمون رواية عن الرسول الأكرم (ص) :

ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق[٥] .

مراتب النفاق في التوبة :

النفاق مع الله من لوازم الايمان هو الآخر له مراتب أيضا وتفصيلها يوجب الاطالة . . لذا نكتفي بقسم منها هو مراتب النفاق مع الله في التوبة :

الشخص الذي يقول : ندمت على ذنوبي وتبت . . ويستغفر بلسانه في حين لا يكون نادماً بقلبه . . ولا مقلعا عن ذنبه . . بل هو مصر عليه مستمر به . . هذا الشخص مبتلى بأسوأ مراتب النفاق في التوبة .

يقول الامام الرضا عليه السلام : « والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزىء بربه »[٦] .

الندامة القلبية لله وحده :

والمرتبة التالية ، مرتبة من ترك الذنب ولكن لم يندم بقلبه ، فاذا قال تبت فهو كاذب ، لأن حقيقة التوبة الندم القلبي على الذنب ، ومثل هذا : من يندم فعلا على ذنبه ، ولكن لا يكون ندمه لله ، بل للاضرار والابتلاءات الدنيوية التي

---

(٥) أصول الكافي كتاب الايمان والكفر .

(٦) أصول الكافي كتاب الدعاء والاستغفار .

سببها له الذنب كأن يكون ارتكب ذنباً مضراً ببدنه أو تسبب بفضيحة له أو جر عليه سجناً أو عقوبات أخرى من الحكومة . . هذا الشخص ان قال أستغفر الله ، لهذا السبب فهو منافق وكاذب .

والمرتبة الاقل ، مرتبة الشخص الذي ترك الذنب وهو نادم جدا على ما فعل ، ولكن سبب تألمه وحزنه هو ابتلاؤه بعذاب الآخرة وحرمانه من الثواب الالهي .

مَثَلُ توبة شخص من هذا القبيل واعتذاره من الله سبحانه مثل شخص ظالم وجان مطارد من قبل الحكومة لالقائه في السجن عقاباً له . . لذا يضطر للمجيء الى المظلوم والاعتذار منه وطلب المسامحة ، يقصد بذلك تحصيل رضاه حتى يتخلص من شر الحكومة . . في حين أنه لولا ملاحقة الحكومة والخوف منها لما اعتنى بالمظلوم أبدا .

الخلاصة هذا الاعتذار ليس حقيقياً وليس صادقاً بل هو مكر بهدف الخلاص من العقوبة ، والشخص الذي يندم على ذنوبه خوفاً من جهنم وعذابها ويطلب العذر من الله ليتخلص من النار . . هذا الشخص لو اطمئن الى أنه لن يدخل النار لما تاب ولما تندم ولما اعتبر نفسه عاصياً .

اعتذار شخص كهذا هو ظاهري وليس حقيقياً . . وهو في الحقيقة مرتبة من النفاق .

وقد صرح بهذا المحقق الطوسي والعلامة الحلي في تجريد الكلام وشرحه واليك النص :

« ويندم على القبيح لقبحه والا لانتفت التوبة »(٧) .

---

(٧) راجع حول ذلك مرآة العقول ج١١ /٢٩٥ والبحار ٤٣/٦ .

يعفو الله بفضله :

وهذا وان كان صحيحاً ولا يقبل التشكيك ولكن الأمل بالفضل الالهي أن الذين يندمون خوفاً من العذاب والحرمان من الثواب ويتوبون . . اذا كانوا عازمين على الترك في المستقبل وتدارك ما مضى ، فان الله بفضله يتقبل توبتهم وينجيهم مما يحذرون ، (أي عذاب جهنم) ، وينيلهم ما يؤملون أي الجنة .

ومراتب النفاق مع الناس ذكرت في كتاب الذنوب الكبيرة . . ويجب أن نعلم اجمالاً أن كل نفاق يكون ضرره ومفسدته أكثر فان عقابه أكثر . . والمهم هو طريق علاج النفاق واستئصاله .

علاج النفاق مع الله :

المنافق هو الشخص الذي زيّن ظاهره بالايمان أو التقوى والاخلاص دون أن يكون في باطنه شيء غير ظلمة الكفر والشرك . . وهو بسلوكه هذا لا يحصل على أي نفع . . ولا يضر سوى نفسه لأن خالق العالم الذي يعلم السر وأخفى . . سوف لن يجعله بسبب ظاهره المخادع في عداد الصادقين بل أنه يرميه بسبب خبث باطنه وتظاهره بالصلاح الى أسفل السافلين في جهنم . . ان هذا في الحقيقة يكذب على نفسه ويحتال عليها :

﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم ﴾ البقرة ٩ .

كيف يحتال على نفسه :

مثلاً : رغم عدم وجود الايمان في القلب فانه يظهره باللسان حتى يستفيد من الاحكام والآثار الدنيوية المترتبة عليه كطهارة البدن والارث والنكاح والاشياء الأخرى التي هي من الأحكام الظاهرية في الاسلام . . ولكي يحسب من المؤمنين فيما اذا كانت هناك آخرة .

ومثال آخر : المرائي الذي يؤدي بعض العبادات لكي يكسب جاهاً بين الناس في الدنيا ويكون له الثواب في الآخرة . . ويحسب نفسه بهذا السلوك ذكياً محتالاً رابحاً . . في حين أنه بسلوكه الاحمق هذا أو بتصوره الفاسد قد خدع نفسه . . لأنه لن يجني في العالم الآخر الذي هو عالم ظهور الحقيقة وانكشاف الباطن الا ظلام الكفر والشرك . . وكل ما أداه رياء من العبادات والحسنات والخيرات بتصوره سوف يراه في عداد سيئاته . . لأن الحسنة هي العمل الخالص التي تكون لله فقط وعندما يكون غير الله على نحو الاستقلال أو الاشراك هدفاً في العمل فانه يحسب سيئة بالتأكيد .

الاستفادات الظاهرية ليست نتيجة الاحتيال :

ما يستفيده المنافق في الدنيا من اظهاره الاسلام كطهارة البدن والنكاح والارث . . ذلك من آثار اسلامه الظاهري وليس من آثار نفاقه واحتياله . . لأن مشرع الاسلام جعل هذه الاحكام للاسلام الظاهري لحكم عده . . دون البحث عن باطن الأشخاص . . أي أن من يظهر الاسلام ، ما دام كذبه لم ينكشف فهو طاهر ولا فرق بينه وبين سائر المسلمين في النكاح والارث . . حتى اذا كان في الحقيقة كاذباً والمسلمون لا يعلمون .

وأما الآثار المادية الأخرى أي ثراؤه وحصوله على الجاه والمقام بسبب الاحتيال والرياء . . فيجب أن يعلم أولاً أن الكذب غالباً ما ينكشف . . والشخص الكاذب لا يصل الى مبتغاه .

ثانياً : ان قلوب الناس بيد الله . . وما لم يشأ هو سبحانه فان قلوب الناس لن تخدع به ولن تتأثر .

واذا قضت المشيئة الالهية أن يخدع الناس به ، فيجب أن يعلم أن هذه مهلة أعطيت له ليصل الى جزء من أهدافه ، وهي نفسها حيلة من الله تعالى في

مقابل حيلته ، لأنه يتصور أن هذه المهلة تنفعه في حين أنها ضرر عليه ، حيث أنه كلما أهمل في الدنيا أكثر يظل يحتال وهذا يزيد في ظلمة قلبه واستحقاقه العقوبة التي تواجهه في الآخرة .

أما بالنسبة لدنياه فان المال والمقام الذي يصل اليه بالاحتيال ليس الا عذاباً له في هذه الدنيا ، وما يكسبه لسعادته وراحته لن يستفيد منه الا النكبة والوبال ، وهـذا المعنى واضح في الاثـرياء غيـر المؤمنين . . فعلى رغم أن ظـاهـرهم رفـاهيـة العيش والـراحـة الا أنهم في البـاطن في منتهى الضيق والضنك . . وهم دائما مبتلون بالمنغصات يحتـرقون بنـار الحرص والحسـد والبخل أو مشاكلهم ومشاكل المؤذين لهم . . وقد أشير الى هذا المطلب في سورة التوبة يقول تعالى :

﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيـاة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ التوبة ٥٥ .

من هذا العرض علم أن المراد بالخدعة الالهية التي هي جزاء خـدعة المنافقين هو امهالهم ووصولهم لآمالهم الفاسـدة لأن حقيقة الخـدعة الحـاق الضرر والشر بالغير على صورة النفع والخير وواضح أن امهال المنافق ووصوله الى المراد ظاهره الخير والنفع ولكن حقيقته الضرر .

يقول تعالى في سورة النساء :

﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ . النساء ١٤٢ .

ولكشف هذه الحقيقة وتشبيه المعقول بالمحسوس تأمل في هذه القصة :

أكل الطين والعطار :

يحكى أن شخصاً كان معتاداً أكل الطين ، ذهب الى عطار ليشترى سكراً وقد كان الوزْنُ الذي يزن به العطار من طين فوضع العطار وزنه في كفة الميزان وذهب لاحضار السكر ففرح المشتري آكل الطين بابتعاد العطار وشرع يأكل من الوزن فتنبه العطار له . . الا أنه تأخر عمداً . . هنا فرح المشتري وتصور أنه ما يزال يخدعه . . والعطار تأخر أيضاً مطمئناً لأنه كان يعلم أن المشتري التعيس انما يخدع نفسه لأنه كلما أكل من الوزن أكثر كلما قلت كمية ، السكر التي سيأخذها .

التوبة من النفاق :

بعد أن اتضح حجم ذنب النفاق وشدة عذاب المنافق وضرره فان الواجب الفوري بحكم العقل أن يتوب الشخص المنافق من نفاقه ، ولأن النفاق ناشىء من عدم الايمان أو ضعفه ، فاذن يجب أن يندم على كفره وشركه ويكون بصدد تحصيل الايمان والتوحيد بالتفصيل الذي يذكر . . يسعى في سبيل ذلك ويزيّن نفسه بزينة الصدق والاخلاص ويوفق بين ظاهره وباطنه واذا تطابق الظاهر والباطن فلا شك في نجاته حتى ينعم بدرجات الصادقين ومقاماتهم كما يقول تعالى في القرآن الكريم بعد ذكر عذاب المنافقين :

﴿ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾ النساء ١٤٦ .

في هذه الآية ذكر تعالى أوصافا متعددة وصعبة للتوبة من النفاق لا يمكن إستئصال جذور النفاق الا بها ، وهي كما يلى :

شروط الاقلاع عن النفاق :

الأول : التوبة أي الرجوع عن الكفر والشرك الى الايمان بالله وعبادته وحده .

الثاني : الاصلاح أي أن التوبة وحدها لا تكفى الا اذا أصلح الانسان نفسه وأعماله الفاسدة .

الثالث : الاعتصام أي أن الاصلاح لا ينفع الا اذا اعتصم الانسان بالله أي يتبع كتاب الله وسنة نبيه لأنه لا طريق الى الله الا الذي عيّنه هو سبحانه .

الرابع : الاخلاص أي الاعتصام بالله انما ينفع حين يخلص التائب دينه لله . . لأن الشرك ظلم لا يغتفر . . والمنافق الذي لا يؤدي هذه الشروط الأربع التي ذكرت في الآية الشريفة حق الاداء فلن يشفى من مرض النفاق .

علاج الذنوب القلبيّة ، أصعب :

سر هذا أن الذنوب القلبية التي مكانها الذات الانسانية كالنفاق . . هي أصعب وعلاجها أكثر تعقيداً من الذنوب التي ترتكب بالجسم كالزنا والسرقة لأنه في الذنوب الجسمية يكفي للطهارة من تلك الذنوب الحسرة والندم الحقيقي . . وفي السرقة بالاضافة الى ذلك ارجاع المال لصاحبه .

مثل الكذب الذي تكفى فيه الندامة . . والغيبة التي يشترط فيها أيضاً رضا المغتاب . . ومعلوم أنه كلما كان تألم القلب وتحسره من الذنب أكثر . . كلما ازداد طهارة منه .

ولكن في الذنب القلبي كالنفاق لا تكفى الحسرة والندامة . . ولا تزول بذلك ظلمة القلب الا أن يقطع المراحل التي ذكرت في الآية الشريفة. هناك

يشفى قلبه ويصبح قلبه سالماً من هذه الذنوب .

مثلاً : الشخص الذي قضى شطراً من عمره في الرياء . . وفجأه ومض برق من معدن الرحمة الالهية فاذا به يرى نفسه خاسراً ويعرف عظمة ذنبه ويتأسف على ما فرط ويندم بشدة . . هذا الندم وحده لا يطهره ولا يشفي مرض قلبه بل الواجب أن يصلح حاله بأن يقتلع جذور شجرة الشرك الخبيثة من قلبه ـ كما ذكر في أول كتاب الذنوب الكبيرة ـ وينور قلبه بنور التوحيد عن طريق التفكير والطلب من الله حتى يتيقن أنه لا مؤثر ولا مدبر في عالم الوجود الا الذات الالهية الابدية جل جلاله وتمام مراتب الوجود خاضعة له . . وهذا وحده لا يكفى بل لا بد من الاعتصام بالله عن الطريق الذي قرره سبحانه ويقترب منه وهو أداء الواجبات وترك المحرمات . . وعليه فيجب أن يؤدي مرة ثانية كل العبادات التي أداها رياء ولذا كانت باطلة وفاسدة . . وهذا الاعتصام انما ينفع فيما اذا أخلص لله في هذه العبادات التي يقضيها وفي سائر العبادة التي يؤديها فيما بعد .

لا مناص من الاخلاص :

بناء عليه ما لم يخلص فلن يتخلص من النفاق ولن يشفى ولكي يصبح مخلصا فان عليه بالاضافة الى صلاة الجماعة ودفع الزكاة الواجبة والحج وغيره مما أمرنا بأدائه علنا أن يؤدي سائر العبادات لمدة خفاء دون أن يعلم الناس به . . وخصوصاً الانفاقات المالية . . عليه أن يؤديها بحيث لا يعلم بها الا الله . . حتى يذهب من قلبه بالتدريج مقتضى الرياء والتظاهر أمام الناس وسببهما حتى يصل الى درجة يتساوى لديه مدح الناس له وذمهم اياه . . ولا يؤثر فيه أي منهما .

في اخفاء العمل والاخلاص :

عن رسول الله (ص) : « أعظم العبادة أجراً أخفاها . . ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفاً »[٨] .

وعن أمير المؤمنين (ع) : « من كنوز الجنة اخفاء العمل والصبر على الرزايا وكتمان المصائب » .

وقد عد رسول الله (ص) : « من يتصدق سراً بحيث لا تعلم شماله ماذا تفعل يمينه (كناية عن المبالغة في السرية) من الذين يظلهم الله بعرشه يوم لا ظل الا ظله »[٩] .

وقال (ص) : « ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمله »[١٠] .

وقال (ص) لأبي ذر : « لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس أمثال الأباعر فلا يحفل بوجودهم ولا يغيره ذلك كما لا يغيره وجود بعير عنده ثم يرجع الى نفسه فيكون أعظم حاقر لها »[١١] .

أي يرى الناس كذلك أثناء العبادة . فيكون الناس والجمل لديه سواء فكما أنه عند عبادته اذا كان بالقرب منه بعير لا يكون لوجوده أي تاثير في نفسه . . فكذلك وجود الناس ينبغي أن لا يترك أي تأثير في نفسه وقوله أعظم

(٨) سفينة البحار ج١ ، ص٤٠٤ .
(٩) سفينة البحار ج١ ، ص٥٩٥ .
(١٠) عدة الداعي . ٢٠٤ والحديث غريب كما ترى . رغم تقريبه المعقول وعبارة فلا يجعل إلى عنده ليس من الحديث بل هو شرح بعضهم كما ذكر ابن فهد عليه الرحمة في المصدر (المترجم) .
(١١) سفينة البحار ١ ، ص ٥٠٠ .

حاقر لها أي في مقابل الله .

اذن فاذا كان حاله بحيث أنه عند رؤية الناس يزيد عمله ويحسّن فعله . . فيعلم أنه ما يزال جاهلاً وأسير الشرك والرياء ولم يعرف الله بالربوبية والقاهرية . . ومن عداه بالعبودية والمقهورية .

من هذا البيان يعلم جيداً أن المراد من رؤية الناس كالأباعر هو أنه كما لا يعتني عنايةً خاصة بعبادته بسبب وجود البعير . . فكذلك عند رؤية أحد من الناس . . لا ينبغي أن يعتني به عناية خاصة لهذا السبب وليس المراد أن يتكبر على الناس . . وأن يعتبر نفسه انساناً والاخرين جمالاً ولذا يقول في آخر الحديث : ثم يرجع الى نفسه فيكون أعظم حاقر لها . . ويعتبر السجاد (ع) نفسه في مناجاته أصغر صغير وأذل ذليل ومثل الذرة أو أقل منها[١٢] .

علاج النفاق مع الناس :

من الامراض النفسية التي دنست أكثر الناس اليوم النفاقُ مع بعضهم البعض . . فنتيجة غلبة المادية ونسيان « الانسانية » ونتيجة عدم الايمان بالله والغفلة عن عالم الخلود . . رسخ في القلوب هذا الطبع الشيطاني واعتاد الجميع عليه . . وما أشد العذاب الذي يعانيه الناس من بعضهم بسبب هذا الطبع السافل . . وما أكثر ما يعانون من صعوباته وآلامه .

الحياة الانسانية التي يفترض أن تكون عامرة بالأنس والالفة أصبحت مليئة بالوحشة والنفور من الآخرين . . والمجتمع البشري الذي يفترض أن يكون حافلاً بتعاون الناس وحبهم لبعضهم أصبح على العكس من ذلك .

---

(١٢) يقول عليه السلام : وأنا بعد أقل الأقلين وأذل الاذلين ومثل الذرة أو دونها (الصحيفة السجادية دعاء عرفة) .

الكل يعيشون التنافر والتضاد والتنافس في غير محله وفي تعاملهم مع بعضهم يتعاملون كالحيوانات . . بل كالحيوانات المفترسة همّ كل منهم افتراس الآخر والاحتيال عليه وابتلاع ونهب ماله . . وكالشياطين يظهر أحدهم تأييد الآخر وموافقته بينما يكون حقيقة يعمل على الايقاع به .

ذهب الصدق والصفاء . . وحل مكانه الكذب والخيانة ونقض العهد . . كما أن حب الذات غلب على الأفراد فصار كل منهم يريد راحته هو وتعب الآخرين . . يطلب الثراء لنفسه والفقر للآخرين . . يبحث عن عزته هو وفضيحة الآخرين . . ولا يأخذ بنظر الاعتبار أبدا أن :

(بنو آدم أعضاء بعضهم البعض لأنهم في الخلقة من جوهر واحد) .

(اذا آلم الدهر عضوا لا يقر لسائر الأعضاء قرار) .

(أنت يا من لا تغتم لمصاب الآخرين لا ينبغى أن يسموك إنساناً)[١٣] .

نفاق الدول:

مما يبعث على الاسف أن الدول الكبرى في هذه الأيام التي تطرح نفسها على أنها حاملة راية البشرية ، وأنها تقف الى جانب العدالة . . وتجبر الدول الصغرى على اتباعها تقدم لحفظ مصالحها على اشعال نار الحروب في الدول الصغرى وتبيعها كميات كبيرة من الاسلحة لتملأ بذلك خزائنها من أموال هؤلاء وتتظاهر لها بالصداقة والتأييد . . في حين أنها في الباطن تعمل على امتصاص ثرواتها ونهبها .

الدول الكبرى تعاهد وتعقد الاتفاقيات . . ولكنها لا تفى بعهدها

(١٣) مضمون آبيات شعر فارسية مشهورة .

ويضعون اسم هذا النفاق « عدالة » .

ان هذا نموذج من نفاق المجتمعات البشرية اليوم .

الكل يعانون من النفاق :

أما النفاق الفردي أي نفاق المرأة والرجل ، الأب ، والابن ، والأخ والاخت الرحم مع الرحم ، الجار مع الجار ، المشتري مع البائع ، الاستاذ مع التلميذ ، بحيث أن حسن الظن واطمئنان الشخص للآخر الذي هو أساس الحياة البشرية قد انعدم تماما . . وكل شخص يعاني الأمرين من نفاق الآخرين . كما أن الآخرين يعانون من نفاقه . . واذا وجد قلة من أهل الايمان ليسوا من أهل النفاق والآخرون منهم في راحة . . فان هؤلاء المساكين هم أنفسهم مبتلون بعذاب نفاق الآخرين .

فيجب اذن على كل فرد أن يعالج أولا نفاقه وأن يخلي قلبه من جذور هذه الشجرة الخبيثة وينيره بنور الصدق والصفاء والاخلاص وبعد ذلك يسعى ما استطاع لاصلاح الآخرين ويحذرهم من الاضرار الدنيوية والأخروية للنفاق .

الاضرار الدنيوية للنفاق :

الشخص الذي ينافق على شخص آخر ويحاول أن ينتفع من كذبه واحتياله عليه يجب أن يعلم أن الكذب لا يدوم ولا بد أن ينكشف أمره . . ولن يجني في النتيجة الا عدم الاعتماد عليه وعدم الاكتراث بأقواله وأفعاله .

واذا أمهله الله ولم يفضحه وادخر مالاً عن طريق النفاق . . فلن يستفيد من ماله ذاك . . وفي محكمة العدل الالهي يوم القيامة يعطى للمظلوم من حسناته بمقدار ذلك المال الذي احتال في أخذه واذا لم تكن له أية حسنة توضع على عاتقه سيئات المظلوم . .

واذا كان هدف المنافق من كذبه واحتياله الاضرار بالآخرين فيجب أن يعلم أنه قد ثبت بالتجربة أنه غالبا ما يكون ضرر الاحتيال على المحتال كما يصرح بذلك القرآن المجيد :

﴿ ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ﴾ فاطر ٤٣ .

وفي أمثال العرب قيل : من حفر لأخيه جبا وقع فيه مكبا .

ومضمون ذلك في الشعر الفارسي :

لا تفعل السوء إذا كنت سيئا ولا تحفر بئراً فأنت الذي تقع فيه .

وقد ذكر حول هذا الموضوع قصص في تواريخ العرب والعجم وننقل هنا قصة منها لتنويع مطالب الكتاب :

حسد الوزير أدى به الى القتل :

دخل رجل عربي على المعتصم الخليفة العباسي . . فأعجب به الخليفة وقربه وجعله نديمه . . الى أن أصبح يدخل حرم الخليفة دونما استئذان . . وكان وزير المعتصم رجلاً حسوداً . . فحسد العربي على منزلته لدى الخليفة وقال في نفسه اذا بقي هذا العربي حياً أسقطني من عين الخليفة وأخذ موقعي . . ولذا تظاهر بصداقته حتى دعاه ذات يوم الى منزله وجعل في الطعام كمية كبيرة من الثوم وأطعمه . . وبعد ذلك قال له : لا تذهب الى الخليفة ورائحة فمك هكذا فانه يتأذى كثيراً من رائحة الثوم . .

ثم ذهب الوزير وحده الى الخليفة وقال : ان هذا العربي يقول ان فم الخليفة متعفن وأنا متضايق من رائحة فمه . . فغضب الخليفة جدا وأرسل في طلب العربي . . وهنا خاف العربي أن يؤذي الخليفة برائحة فمه فذهب اليه واضعاً كمه على فمه . . فظن الخليفة أن كلام الوزير صحيح وأن هذا غطى فمه

كي لا يتأذى برائحة فم الخليفة . . فما كان من الخليفة الا أن كتب رسالة الى بعض عماله يقول له فيه اضرب عنق حامل الرسالة ، ثم أعطاها لذلك العربي وقال خذها الى فلان وائتني بالجواب فوراً .

أخذ العربي الرسالة وعندما وصل باب القصر رآه الوزير فسأله أين تذهب فقال أحمل رسالة الخليفة الى فلان فظن الوزير أن الخليفة أمر للعربي بمال وجائزة فقال له أعطيك ألفي « أشرفي » وأعطني الرسالة لأوصلها على أن يكون كل ما فيها لي . . قبل العربي وأعطاه الرسالة وأخذ المبلغ . .

أعطى الوزير الرسالة لعامل الملك فقطع رأسه فوراً . . وبعد أيام سأل الملك عن الوزير فأخبروه بما جرى له فأحضر العربي الذي نقل له قصته فقال الخليفة : قتل الله الحسد . . فقد تسبب بقتل الوزير ثم قلد ذلك العربي منصب الوزارة .

الأضرار المعنوية للنفاق :

ما ذكر من الآيات والروايات حول النفاق كاف في ايضاح أضراره المعنوية . . وهنا ننبه الى نقطة هامة :

بمجرد أن يصبح الانسان يشعر ويميز بين الحسن والقبيح يصبح على مفترق أربعة طرق ، فأيها يختار . . هل يختار الطريق التي توصله الى مستوى الحيوانات والكواسر ، والغيلان ، أم يختار الطريق التي توصله الى مستوى الملائكة واليك التوضيح :

اذا جعل انسان طريقه منذ البداية اتباع شهوة البطن وارضاء الغريزة الجنسية ومقدماتها . . وجعل العقل والشرع والله والآخرة خلف ظهره وجعل كل همه وغاية كل تحركه اشباع هذين الأمرين . . فسيكون في النتيجة هو والحيوانات على حد سواء مع فارق أن البهائم حيوانات عالم الجسم . . وانسان

من هذا النوع هو حيوان عالم الروح . . .

وكما أن البهيمة في عالم الجسم لها مالك يضربها حين تعصيه فالانسان الذي يكون هكذا أيضا له في الآخرة صاحب هو مالك النار وسوف يعذبه أيما عذاب .

صفات الرذيلة الناتجة عن اتباع الشهوات :

وأيضاً . . فان الشخص الذي أصبح شأنه السلوك الشهواني . . سوف توجد فيه قهراً الصفات المنحطة كالحرص ، البخل ، الحسد ، الخبث ، التملق ، العبث ، وسيكون لكل من هذه عقابها بعد الموت وبالاضافة الى العذاب الذي يناله في الدنيا بالشرح المتقدّم .

خنازير وقردة على شكل انسان :

قال أبو بصير للامام الصادق (ع) ما فضلنا على من خالفنا فوالله إني لأرى الرجل منهم أرضى بالاً وأنعم عيشاً وأحسن حالاً وأطمع في الجنة .

قال : فسكت عني حتى كنا بالأبطح من مكة ورأينا الناس يضجون إلى الله .

قال : « ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج والذي بعث بالبنوة محمداً وعجل بروحه إلى الجنة ما يتقبل الله إلا منك ومن أصحابك خاصة »

قال: .ثم مسح يده على وجهي فنظرت فإذا أكثر الناس خنازير وحمير وقردة إلا رجل بعد رجل[١٤] .

---

(١٤) بحار الأنوار ج٢٧/ ٢٩ ـ ٣٠ .

الحيوانات المفترسة وطباعها :

واذا سلك طريق الحيوانات المفترسة واطرح العقل والشرع جانبا وأصبح في تعامله مع الآخرين مؤذياً لهم باليد والرجل واللسان بحيث أن الناس يصبحون يعانون من سوء طبعه ، انسان كهذا يكون مفترسا في عالم الروح ، وبالطبع ان هذا السلوك ولفترة قليلة يوجد فيه طباعاً قبيحة كالتكبر ، العجب ، الاستهزاء بالناس واحتقارهم ، وارادة الشر ، الشهوة ، الظلم ، البذاءة ، وحس الحقد وحب الانتقام وأمثال ذلك .

ومن هنا روي عن الرسول الأكرم (ص) أن « أهل النار يتعاوون كما يتعاوى الكلاب » .

وكما أنه من أجل اسكات الكلب نصرخ به وننهره بما يناسبه . . فكذلك يخاطب أهل النار بنص القرآن المجيد بما يناسبهم .

﴿ **قال اخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾ المؤمنون ١٠٨ .

شياطين الانس :

واذا سلك طريق الشياطين أي عصى أوامر الله وتنكر لعبوديته له ، وأنكر الله والآخرة ، وعاش مستبداً متكبراً ، وجعل شعاره الاحتيال ، والخداع ، والغش ، والسرقة ، والخيانة ، في قوله وفعله ، وأصبح كالشياطين لا يصدر منه شيء غير الشر ، سيكون في النتيجة شيطاناً من بني البشر ، ويحشر بعد موته مع شياطين الجن ويلحق بهم وقد ذكر الفريقان معا وعلى حد سواء في القرآن الكريم[١٦]

---

(١٥) ﴿ **شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا** ﴾ الانعام ١١٢ . ﴿ **يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس** ﴾ الأنعام ١٢٨ .

أسمى من الملائكة :

واذا اختار طريق الانسانية أي جعل شهوته وغضبه تابعين للعقل والشرع وأصبح في النتيجة متحليا بكمالات الطهر ، القناعة ، الزهد ، الاطمئنان ، التقوى ، الحياء ، الشجاعة ، الكرم ، الحلم ، العفو وأمثال ذلك . . وأيضا ترك طريق الشيطنه الذي هو الاستكبار والاحتيال وسلك طريق الانسانية الذي هو العبودية ، معرفة الله ، الصدق ، الصفاء ، والاخلاص ، . . ليصبح نتيجة ذلك متحليا بالصفات الكمالية : العلم ، التواضع ، الصبر ، الشكر ، الرضا ، التسليم ، المحبة ، حب الخير ، وحب نفع الآخرين فانه يصبح أفضل من الملائكة بل تصبح الملائكة خدماً له . .

وهل للحقيقة ضرر :

مما تقدم يعلم أن النفاق طريق الشيطنه ، والصدق طريق الانسانية . . وهل هناك ضرر أعظم من أن الانسان يستطيع الاستمرار في الدنيا في الحياة المشرفة (الانسانية) ويكون في الآخرة محلقا في العالم الأعلى المملوء بهجةً وسروراً .

ولكنه رغم ذلك يترك هذا الطريق بسوء اختياره ويختار طريق الحيوانية المملوء نكبة وعذاباً . . ويكون بعد الموت هو والشياطين المردة في أغلال النار وسلاسلها يحتضن أحدهم الآخر .

وأي ضرر يجده الانسان يا ترى في الحياة بصدق وصفاء . . حتى يتركها ويختار طريق النفاق ليصبح مصداقا حقيقياً لـ « خسر الدنيا والآخرة » .

ترك النفاق ودرجاته :

ولا يفوتنا أن نقول أن للنفاق جذوراً وأنواعاً خفية ، وغالباً لا يلتفت

اليها . . والشخص الذي يطلب الطهارة المطلقة من هذا المـرض ويريـد أن يصبح من أهل الصدق . . ينبغى أن يرجع الى قول الصديقين وفعلهم ، وفي مقدمتهم آل محمد (ص) ليجعل عملهم قدوة له وأسوة لعمله . . وكيف أنهم كانوا يجتنبون النفاق ويبتعدون عنه . . حتى أنهم لم يكونوا يظهرون شيئا لا يتحقق فيهم القصد الجاد له . . خوفاً من أنه قد يختلف ما يقوله لسانهم عما يضمرون فيختلف الظاهر عن الباطن .

وكنموذج نكتفي هنا بحديث واحد :

التعارف الكاذب :

جاء رجل الى الإمام الصادق عليه السلام وكـان من معارفـه . . وكان اسماعيل ابن الإمام معه . . ولما قام الإمام من مجلسه رافقه ذلك الرجل وعندما وصل الإمام الى باب بيته لم يدع ذلك الرجل للدخول ودخل البيت فقال له ابنه اسماعيل : يا أبت لم لم تتعارف مع الرجل ليدخل البيت . .

قال الإمام (ع) : « لم أكن أريد ذلك . . قال اسماعيل : وهو لم يكن يريد الدخول . . أي كان من الأحسن أن تعرض عليه ذلك رغم أنـه لا يريـد الدخول .

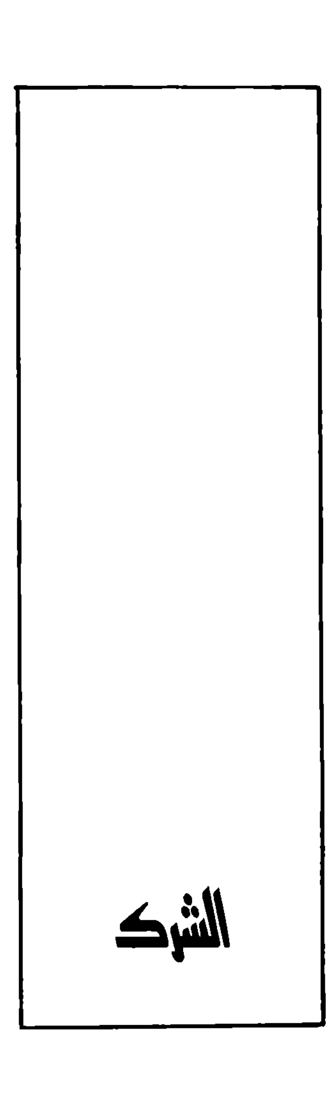
فقال عليه السلام : « يا بني اني أكره أن يكتبني الله عرضاً[١٦] . أي أقول شيئاً لست ناوياً له حقيقة .

هذا نموذج طريق الصدق والصديقين . . فيجب على من يريد أن يضع

---

(١٦) البحار ج١٦ ص١٤٢ وفي المنجد : فعله عرضا : أي من دون رويه وقصد . أقول : لم أجد النص في المصدر المذكور هنا ، وقد رأيت النص سابقاً في بعض المصـادر هكذا : « أكره أن يكتبني الله عراضاً » والظاهر أن المراد به كثير العرض دون قصد . (المترجم) .

قدمه في عالم الصدق . . وأن يتخلص من جذور النفاق أن يراقب نفسه تماما خصوصا لسانه . . وأن لا يظهر بلسانه الشيء الذي ينكره بقلبـه الا في مقام التقية بالتفصيل الذي مر .



الشرك

من أمراض القلب الانساني التي تحرفه عن الصراط المستقيم ، مرض الشرك ، أي أن يجعل الانسان لله أندادا . . وذلك ذنب لا يغتفر وخطورة هذا الذنب وأنواعه مذكورة في كتاب الكبائر .

الشيء الذي يجب التذكير به هنا شدة وطأة هذا المرض على النفس الانسانية الذي هو منشأ كل شقاء . . وفي القرآن المجيد آيات عدة توضح أهمية هذا المرض وخطورته .

يقول تعالى في سورة الحج :

﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ الحج ٣١ .

من أوج التوحيد الى حضيض الشرك :

أي أن الشخص المشرك يلقي بنفسه من مقام الانسانية الشامخ وسماء التوحيد العظيمة التي هي حصن الله المنيع . . ويخطفه الشيطان ليلقي به في أبعد دركات البعد عن رحمة الله ويقضي عليه . . ويجعله أسير الأهواء والهوس

والأماني الكاذبة .

وباختصار : الشخص الذي يسقط من أوج التوحيد الى حضيض الشرك فان أهواء النفس تحطمه وتسحقه أو أن وساوس الشيطان تلقيه في وادي الضلال وتودي به إلى الهلاك .

التوحيد . . وعبادة الله . . مرتبة الانسانية :

توضيح ذلك أن الانسان الذي هو أشرف المخلوقات ترتبط مكانته الشامخة وشأنه وشرفه بالله سبحانه . أن يعتبر نفسه عبداً لله أن يعرفه ، ويعتبر كل شيء عنده منه ، ويكون خضوعه وتواضعه في محراب عظمته فقط . . أو أن يرى جميع المخلوقات من حيث العبودية على حد سواء معه . . وأن الله هو المنعم وهو مولى جميع الكائنات . . وان لا يعتبر أي مخلوق قادراً على التأثير وفعل شيء الا أن يشاء الله .

طبعا ليس معنى هذا أن لا يبحث عن الاسباب . . بل المراد أن يعتبر أن سببية الاسباب وتحقق الآثار والخواص . . كله من الله . .

مثلاً عند المرض لا بد من مراجعة الطبيب . . ولا بد من استعمال الدواء عند اللزوم لكن يَعتبر أن الشفاء من الله . . حيث أن الله سبحانه اذا لم يهب ذلك الدواء أثر الشفاء فمحال أن يكون له أثر . . كما أنه اذا لم يرد سبحانه فان الطبيب لن يستطيع أبدا تحديد المرض .

اذن عليه أن يعتبر نفسه وجميع المخلوقات مرتبطين بالله سبحانه ومحتاجين اليه في شؤون الحياة . . ويكون على يقين من أن الرازق والآخذ المعطي والمانع والحافظ والمنجي . . له وللآخرين هو الله ويقول بيقين :

أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، فله الملك وله الحمد .

هذا هو مقام الانسانية الشامخ إنه عبادة الواحد الأحد . .

وإذن اذا جعل انسان نفسه أسيراً وذليلاً لمخلوق (جماد ـ نبات ـ حيوان ـ انسان ـ ملاك) وخضع له وخشع وأطاع أمره واعتبر نفسه محتاجاً اليه . . يتضح كيف أن هكذا انساناً أسقط نفسه من مقام الانسانية الشامخ الذي هو أعلى مراتب الوجود وربط نفسه بمرتبة مثله أو دونه وأصبح ذليلاً لها . . . في حين أن تلك المرتبة هي مثله وجود فقير عاجز وذليل ومحتاج الى الله . . ولا يملك أي استقلال .

العجز عن خلق بعوضة و . . . :

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ الحج ٧٣ .

أي : أنهم في مقام الايجاد عاجزون عن خلق ذباب ، وفي مقام التدبير عاجزون عن استرجاع ما يأخذه الذباب منهم . . فهل يصح أن يكون البشر خاضعاً لهؤلاء وذليلاً أمامهم .

يقول الامام الصادق عليه السلام[١] : « كانت قريش تدهن الأصنام التي كانت في أطراف الكعبة بالمسك والعنبر معاً إلى أن سلط الله ذباباً أزرق له أربعة أجنحة على الأصنام فكانت تأكل ذلك المسك والعنبر » .

أقسام المعبودات الباطلة :

كثيرة هي الأشياء التي تحجب الإنسان عن رب العالمين وتشغله بنفسه

---

(١) الصافي نقلاً عن الكافي . أقول : لم أجد الحديث في الكافي وهو هنا بالمعنى (المترجم) .

وبإغواء الشياطين . . فيجعل تلك الأشياء شريكاً في العبادة لله خالق العالم . . وهي بشكل عام اما من سنخ الجماد أو النبات أو الحيوان أو البشر أو الجن والملائكة . . وشرح كل من هذه الأمور يطول به المقام لذا يكتفى بالاشارة الى كل منها .

•

أما المعبودات الباطلة التي هي من سنخ الجماد كالاصنام التي تصنع من الخشب أو الحجر أو جسم آخر مزين بالذهب والفضه ، وسائر الجواهر ، وتصنع على أشكال مختلفة ، كالهياكل التي على شكل نجوم السماء وتنصب في المعابد ويعظمها الجهلة من الناس ويحترمونها رغم أنها من صنع البشر وهي بعد عديمة الحس والشعور ويتكل عليها ويطلب حاجته منها .

وقال النبي ابراهيم (ع) لعبدة الأصنام من قومه : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون** ﴾ الصافات ٩٥ ـ ٩٦ .

أي كيف يصح بحكم العقل أن يعبد الانسان ما صنعه هو . . ثم أن كل شيء من هذه التماثيل مخلوق لله سبحانه .

والآيات القرآنية في تقريع عباد الاصنام وتأنيبهم . . كثيرة .

الخضوع لجماد . . غاية الانحطاط :

ولأن من البديهي أن الانسان أشرف من الحيوان والحيوان أشرف من النبات والنبات أشرف من الجماد . . فان خضوع الانسان للجماد الذي لا يمتلك احساساً ولا شعوراً بحيث يجعل نفسه محتاجاً اليه . . مخالف لحكم العقل . . حيث أن الانسان حينئذ نزّل نفسه عده مراتب وجعلها دون مستوى الجماد .

الأعذار الواهية في عبادة الاصنام :

يعتمد البعض مغالطات شيطانية من أجل اظهار هذا المسلك الفاسد بمظهر جميل فيقولون أحياناً : نحن نعلم أن هذه الاصنام ليست الخالق ولا الرازق ولكن حيث أنه لا طريق للبشر الى خالق العالم فلا مناص من صنع صورته أو صورة ملك مقرب منه من هذه الاجسام لنعبدها حتى تقربنا من الله لأن تعظيم صورة الشخص تعظيم له وقد نقل القرآن الكريم هذا العذر الواهي عن عباد الاصنام :

﴿ ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ الزمر ٣ .

الله قريب : وليس جسماً :

عدم صحة هذا الادعاء واضح لكل أحد أولاً : لأن الله سبحانه أقرب الى مخلوقه من كل أحد وكل شيء بحكم العقل والفطرة وأخبار الانبياء .

وثانياً : ان الله سبحانه ليس جسماً حتى تكون له صورة بل هو خالق الجسم . . وعليه فان هذه الصور التي تصنع على أنها صورة الملك أو الله أو روحانيّة النجوم . . كلها من صنع وهم الخيال البشري التي صنعها باغواء الشياطين وانشغل بها . . فغفل عن الله . . دون أن يمتلك لعمله هذا أي سند عقلي وأية حجة الهية كما تم ايضاح ذلك في القرآن الكريم مكرراً .

عبادة العناصر الاربعة :

من المعبودات الباطلة أيضاً التي هي من الجماد والتي هي وليدة الأوهام والخيالات البشرية التي يدفع اليها اغواء الشياطين : العناصر الأربعة أي الماء والنار والتراب والهواء .

قسم من البشر يعبد النار ويعتبرونها قديمة وأنها أعظم مخلوقات الله وتجب العبودية لها وقسم آخر يعبدون الهواء ويعتبرونه موجوداً حقيقياً ويمررون حقيقة الله تعالى من خلال رأيهم في الهواء .

وآخرون يعبدون الماء . . وغيرهم يعبد التراب ويطلبون من هذه المعبودات حاجاتهم ويعتبرونها قديمة . . وقد اتضح سخف هذه العقائد وكونها خرافة مما ذكر حول الاصنام .

عبّاد الشمس والقمر والنجوم :

قسم آخر يعبدون من الجمادات الشمس ويقولون انها ملك كبير ذات عقل ونفس وهي سيدة الملائكة وملاك الأرض والسماء وعبادتها واجبة ولازمة وفئة أخرى تقول : الشمس حق مطلق وهي الله حقاً . . ووجود الموجودات منها ونحن نراها أما المجردات الإسمية فنسمع عنها . . والانسان يجب أن يميل الى ما يرى لا الى ما يسمع .

وفئة أخرى يعبدون القمر ويعتبرونه ملكاً عظيماً وملاكاً كبيراً ، والزرادشتيون يثنون على نجوم : الزهرة ، المريخ ، زحل ، عطارد ، ويرسمون تماثيلها في معابدهم وبيوتهم ويخضعون أمامها .

تكوين النجوم والقمر كالأرض :

في هذا العصر وقد وطأت قدم الانسان سطح القمر علم جيدا أن الشمس والقمر وسائر الكواكب . . كلها أجسام لا تختلف عن الارض في أصل مادة التكوين . . وليس لها على الأرض أية مزية معنوية . . وبهذا ينكشف جيدا الجهل البشري الذي يخشع أمامها ويطلب حوائجه منها .

منشأ الخرافات : البعد عن الحقيقة :

نعم ان البعد عن مدرسة الاسلام والقرآن المجيد يجعل الانسان معرضاً للابتلاء بالخرافات . . بحيث أن فئة في الهند تعبد الآلة التناسلية وقسم يعبدون البقر ويقولون : انما تصح العبادة بغسل أحدهم وجهه ببول البقر . . وأحياناً عندما تريد البقرة أن تبول يملأون أيديهم من بولها ويغسلون بـه وجوههم ثم يتوجهون للعبادة .

وطائفة المجوس يقولون البقر تـرافقه المـلائكة . والصـابئون يعتبـرون الملائكة بنات الله ويقولون إنها منشأ الحوادث . . وجعلوا لله زوجة من الجن .

وطائفة أخرى تعبد الجن .

عبّاد الشجرة وطائفة الثنوية :

كان يوجد نخل مقدس في نجران تقدم له النذورات من سلاح وقماش وثياب تعلق عليه .

وفي كتاب أنيس الأعلام يقول : توجد شجرة على شاطىء نهر الكنكاني في الهند تتحرك أوراقها باستمرار بشكل منظم حيث تتحرك في الدقيقة ستين حركة ومشركو الهند يعبدون تلك الشجرة وذلك النهر ويقدسونهما .

والثنوية يقولون للعالم مبدءان أحدهما الله وهو عاقل ومصدر الخيـرات وثانيهما الشيطان وهو سفيه ومصدر الشرور .

التوحيد فطري :

يقول أهل التحقيق ان جميع أصناف المشركين يقولون بوحدانية الله أي باستثناء الدهرية والطبيعيين . . فان سائر الفرق البشرية التي تقول بوجود آله هم

جميعا يعتبرونه واحداً . . وكما أن أصل الاعتقاد بالله فطري فكذلك الاعتقاد بوحدانيته . . والكل يقولون ان الله العظيم واحد وكل تلك الأشكال والأشياء التي يعبدها المشركون على أصنافهم يعتبرونها آلهة صغيرة أو مظهر الله وصورته . . ويتصورون بوهمهم الباطل إن هذه الأشياء هي مصدر النعم والملاذ ويقولون : حيث أنه لا طريق الى الله العظيم فيجب أن تعبد هذه الآلهة الصغيرة .

الشرك في الفعل ، الاطاعة ، العبادة :

وبعبارة أخرى الكل متفقون في توحيد الذات والصفات للحق تعالى والكل يقولون أن الذات الخالدة لرب العالمين وصفاته الكمالية . . ليس لها ند ولا معادل لكنهم جعلوا لله شركاء في توحيد الأفعال أي شؤون الربوبية والألوهية كما أنهم في مقام الاطاعة والتسليم المطلقين الذي لا ينبغي الا لله يعتقدون بوجود شركاء وكذلك في مقام العبادة والحمد الذي ينبغي أن يكون لله فقط نجدهم يعبدون المخلوقات ويحمدونها .

عبادة الاصنام شرك جلي :

ما أشير اليه من أصناف المشركين كله من أنواع الشرك الجلي وكلمة مشرك كوصف تطلق على هؤلاء جميعاً في اصطلاح القرآن المجيد . . ولكن شرك أهل الكتاب وأهل الاسلام كما سيأتي لا يصح سببا لاطلاق وصف مشرك عليهم بل يقال فعلوا فعل المشركين كما يقال لتارك الحج فعل فعل الكفار ولا يقال له كافر . .

باختصار هناك فرق بين الشرك الوصفي ، والشرك الفعلي . . فالمشركون إذن هم الذين يتحقق فيهم الشرك الجلي . . وهو الاعتقاد بآلهة صغيرة وعبادتها بالتفصيل المتقدم .

شرك أهل الكتاب شرك خفي :

أما الشرك الخفي فهو شرك أهل الكتاب أي اليهود والنّصارى وكـذلك المجوس بناء على قول جمع من المحققين وشهادة الروايات بأنه قد كان لهم نبي وكتاب سماوي ولكنه رفع من بينهم .

وأهل الكتاب مشركون لعدة أسباب منها قول اليهود بأن عزيراً ابن الله وقول النصارى بالتوحيد في التثليث أي أن خالق العالم في حين أنه واحد فهو ثلاثة : الله وابنه عيسى والروح القدس والثلاثة واحد . .

ويقول بالوحدة في التثليث عباد الأصنام وبوذيو الهند بل قال أهل التحقيق ان مذهب النصارى هذا قد أخذ عن عباد الاصنام .

الغلاة والمفوضة أيضاً مشركون :

ومن المشـركين طائفـة الغلاة من المسلمين الـذين يقولـون أن التدبيـر والخلق والرزق بيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . . وكذا المفوضة الذين يقولون بتفويض الأمور للأئمة عليهم السلام والظاهر أنهم يجعلون الإمام علي عليه السلام شريكاً لله في الربوبية .

المربي هو الله والاطاعة أيضاً لله :

من جملة شرك أهل الكتاب الشرك في مقام الاطاعة . . وتوضيح ذلك : أن خالق العالم هو رب العالمين أي أن يد تربيته وعنايته تواكب البشر وسائر المخلوقات وهو يوصل الجميع الى الكمال الـلائق بهم . . ومن يوم يتكـون الإنسان في رحم الأم الى يوم ينتقل من هذا العالم لا يغفل سبحانه لحظة واحدة عن تربيته التكوينية ولن يغفل وكذلك في عوالم ما بعد الموت والى الأبد . .

بناءً عليه يجب على هذا الإنسان أن لا يجعل أحداً ربه في مجال تربيته الروحية والمعنوية التي هي مرتبطة بأفعاله الاختيارية ويجب أن يكون مطيعاً فقط لأوامر الله . . وأن لا يتبع أوامر غيره أي هوى النفس أو الشيطان أو بشر ما مثله إذن من أطاع أمر أحد غير الله فقد جعل ذلك المطاع شريكاً لله في الربوبية والالوهية كما يقول تعالى عن الذين يعبدون أهواءَهم :

﴿ **أفرأيت من اتخذ آلهه هواه** ﴾ الجاثية ٢٣ .

ويقول تعالى عن أتباع الشيطان :

﴿ **انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله** ﴾ الأعراف ٣٠ .

ويقول أيضاً : ﴿**ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**﴾ يس ٦٠ .

وعن الذين اتخذوا بشراً مثلهم آلهة لهم وأطاعوا أوامرهم وهم اليهود والنصارى يقول سبحانه : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ التوبة ٣١ .

من هذه الآيات يعلم جيداً أن من يتخذ غير اله العالم مطاعاً وآمرا لازم الاطاعة . . فقد جعله ربا له ومعبوداً . .

كانوا يحرمون حلال الله ويحلون حرامه :

يقول أبو بصير سألت الإمام الصادق (ع) عن معنى قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم آلهة . .** ﴾ فقال عليه السلام : «أما والله ما دعوهم الى عبادة أنفسهم ولو دعوهم الى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون»(٢) .

---

(٢) الكافي باب الشرك .

ويقول عليه السلام : «من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده»[٣] .

اتباع علماء الباطل أيضاً شرك :

« العالم » الذي يقول قال رسول الله كذا وأقول كذا . . ثم يقول بخلاف ما قال رسول الله (ص) لا تجوز اطاعته . . واطاعته شرك . . وقد نقل عن البعض أنه كان يقول هكذا . . اذن اطاعه العلماء في بيان الأحكام الالهية وتعيين الحلال والحرام حرام وشرك إذاً كان هؤلاء العلماء يحللون ويحرمون وفق أهوائهم لا وفق ما تقتضيه النصوص .

مرجع الشيعة يجب أن يكون خالياً من هوى النفس :

وقد تسأل أن الشيعة الاثني عشرية كذلك أي يعتبرون اطاعة علمائهم لازمة ويوجبون تقليدهم في تحديد الأحكام الالهية ؟

والجواب : أن الإمامية لا يقلدون إلا الفقيه الخالي من هوى النفس ، وكل حكم يبينه يستند فيه الى القرآن المجيد وأخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام . . أضف الى ذلك أن اطاعته تستند الى اطاعة الله والنبي والإمام بالبيان التالي :

حيث أن الله أوجب اطاعة أولي الأمر وهم الأئمة الاثنا عشر وهم أمروا باطاعة الفقيه العادل في مثل زماننا . . إذن فاطاعته اطاعة للامام والنبي واطاعتهما إطاعة لله وقد بينت ذلك بالتفصيل في مبحث الشرك من كتاب الكبائر . . وقد نبهت هناك على أن اطاعة المرأة لزوجها والولد لأبيه وأمه لأنه بأمر الله فليس شركاً في الطاعة بل هو عين اطاعة الله .

---

(٣) الكافي .

الشرك في العبادة :

الشرك في مقام العبادة والعبودية لله . . والذي يمكن أن يبتلى به أهل الكتاب والمسلمون . . كالنصارى الذين يعبدون المسيح (ع) باعتقاد أنه ابن الله بل عين الله وكالغلاة الذين يعبدون علياً (ع) باعتقاد أنه شريك لله في شؤون الألوهية وكبعض الصوفية الذين كانوا يعبدون مرشدهم باعتقاد أنه متحد مع الله أو أن الله حل فيه . . وكالرياء في العبادة بالشرح المتقدم .

يجب معرفة معنى العبودية :

لمعرفة أنواع الشرك الخفي في مقام العبودية يجب معرفة معنى العبد والعبودية ولذا نقول : كل عاقل يفهم لدى التفكر في وجوده ووجود الآخرين أن أصل الحياة وآثارها ولوازمها كل ذلك من الله سبحانه ولا يوجد شخص يملك من نفسه شيئاً والكل مرتبطون في جميع الشؤون بالله سبحانه . . وكل ما يراه فيه وفي غيره فهو من الله . . ؟ إذن هو والجميع ملك ومملوك وعبد حقيقي للخالق ﴿ **انْ كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمان عبدا** ﴾ مريم ٩٣ .

ولأنه عرف في نفسه العدم والفقر الذاتي والاحتياج من كل جهة . . وعرف أن الله هو الوجود المطلق والقدرة والعزة . . بحيث أنه إذا تركه لحظة واحدة لن يكون له أي شيء . . فهو يعتبر نفسه في كل آن في مقابل الله ، المولى والمالك ذليلا ومحتاجاً لمولاه . . وبحكم العقل يجب أن يظهر في كل آن ذلته واحتياجه لمولاه واظهار التذلل هذا يسمى «عبادة» والهدف من ذلك أن يؤدي العبد حق المولى وشكر نعمته ـ وان كان لا يستطيع ـ ولكن في حدود استطاعته . . حتى لا يكله الله الى نفسه ويسلب نعمته عنه ـ لا سمح الله ـ .

العبد . . يجب أن يكون في عبادة دائماً :

بما أن الله منعم ودائم الربوبية فالعبد أيضاً يجب أن يكون دائم

العبودية . . أي أن حق الله أن يتعبد عباده له دائماً ويعبدوه . . وعلى العباد في مقابل نعمه الدائمة أن يعبدوه دائماً لكن الله الكريم

أولاً : لم يترك عباده حيارى في كيفية عبادته وبين لهم كيفية العبادات بواسطة الرسول الأكرم ، ونهى عن اختراع طريقة للعبادة من الخيال والوهم واعتبر ذلك بدعة وحراماً .

وثانياً : سهل الله الأمر على عباده وبسطه لهم فمن العبادات البدنية اكتفى بسبعة عشر ركعة في اليوم والليلة ، وفي السنة شهر صيام وفي العمر حجة واحدة ، ومن العبادات المالية أوجب الله الزكاة والخمس بمنتهى اليسر . . والعجيب انه في مقابل هذه العبادات الجزئية . . ما أعظم الجزاء الذي جعله الله عليها . . واعتبر أداء هذه الواجبات الطريق الوحيد للقرب منه تعالى . . والسعي في النوافل والمستحبات طريق زيادة القرب وارتفاع الدرجات . . إلا أنه شرط صحة كل عبادة وقبولها وتأثيرها بالاخلاص . .

إذن ففي كل عبادة واجبة كانت أم مستحبة إذا كان جزء النية بالاضافة الى عبودية الله جلب انتباه الناس اليه ومدحهم له وثناؤهم عليه . . تكون العبادة باطلة بل حراماً . . ومن جملة الذنوب الكبيرة ، (الكبائر) .

شرط أن لا يكون عبداً لآخر :

المسألة المهمة التي ينبغي في هذا المجال الالفات اليها أن الخالق الكريم يغفر غفلة عباده عن عبادته في غير الأوقات التي عينها لهم لعبادته . . بشرط أن لا يعبدوا في هذه الأوقات غير الله ولا يكونوا عبيداً ومملوكين لغير الله . .

بناءً عليه الشخص الذي هو من الصباح حتى الظهر عبد هوى النفس ومملوك الشيطان بحيث أنه إذا نظر في صورته الباطنية يجد نفسه أثناء ارتكاب

المحرم راكعاً ساجداً أمام خنزير الشهوة وكلب الغضب . . وعندما يأتي الظهر يحضر في المسجد لعبادة الله . . هذا الشخص إذا أدى الصلاة صحيحة وخالصة فتكليف الصلاة ساقط عنه ولا يعاقب على الصلاة لكن حيث أنه في مقام العبودية ليس صادقاً وهو مبتلى بالشرك . . أي حيناً يكون عبد النفس والهوى والشيطان . . وحيناً آخر عبد الله . . فإن الله سبحانه لا يتقبل العبد المشرك . . ولا يجعله أبداً في عداد عباده المخلصين .

باختصار صلاة شخص كهذا ليست مقبولة . . ولا تبلغه درجات القرب ويقول تعالى بصراحة في القرآن الكريم :

﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ المائدة ٢٧ .

عبادة الهوى أثناء عبادة الله :

المسلم الذي يقول في اليوم والليلة عشر مرات « إياك نعبد » أي يا رب نعبدك وحدك في حين أنه غالباً بل دائماً في مقام عبادة النفس والهوى والشيطان ويجعل نفسه من حيث يعلم أو لا يعلم أسير الشهوات والهوى والنزعات النفسية والآمال الشيطانية وذليلا لها . . ويكون خاشعاً أمامها ومطيعاً ومستسلماً لها بحيث أنه لا يمتنع لحظة عن اتباعها[٤] . . بل هو في الدقائق المعدودة التي

---

(٤) لاستيضاح ذلك تأمل في أحوال عُباد المال ، وخضوعهم وتذللهم وأسارتهم في سبيل الحصول على المال وجمعه والإزدياد منه . . ومدى الآلام التي يتحملونها من أجل ذلك . . والإهانات التي يستسيغونها والخيانات التي يرتكبونها . . والحقوق التي يضيعونها والتبعات التي تلحقهم إلى حد أنهم قد يضحون بروح عزيز أو بما هو أعز من أجل الوصول إلى مطامعهم ولهذا قال رسول الله (ص) : « تعس عبدالدرهم والدينار » .
وما أجمل جواب عالم لسلطان قال له لم لم تحترمني وتعظمني ؟ قال العالم : أنا السلطان لأني سيد ما أنت عبده ومملوكه . . أي أنت عبد المال والمقام (الموقع الاجتماعي) وأنا طليق متحرر منهما .

ينشغل فيها بالصلاة يكون قلبه غافلاً عن ذكر الله مشغولاً بذكر أهوائه . . بحيث يكون مخاطبه في قوله إياك نعبد تلك الأهواء والآمال والشهوات . . عبد كهذا . . هو حقاً مشرك بل متمحض في عبودية الشيطان . . وهو بعد يستحق الخذلان بل النيران .

عبد الواحد ، وعبد عدة . . هل هما متساويان :

يضرب الله في القرآن المجيد للشخص الذي يكون أسير النفس والهوى

= وحديث تذلل عباد المال أمام المال لا ينتهي . . وشواهده التاريخية كثيرة يذكر بعضها كنموذج :

١ ـ شريح القاضي طلب منه أن يفتي بقتل الإمام الحسين عليه السلام فامتنع ، ورغم أن ابن زياد أصر عليه وضربه على رأسه بحيث جرى الدم منه فقد بقي على اصراره . .

وأرسل إليه ابن زياد ليلاً مبلغاً كبيراً من المال . . وعندما جاء في صباح اليوم التالي إلى قصر الإمارة قال :

لقد فكرت في هذا الأمر كثيراً فعلمت أن حرب الحسين واجب لأنه أراد الفساد والخروج على إمام زمانه (يزيد) .

وجاء في كتاب جواهر الكلام أنه كان يجتمع في بيت المال في الكوفة مبلغ تسعة ملايين درهم سنوياً . . ولم يؤخذ من ذلك المال شيء على عهد معاوية إلى أن توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء فأخذ ابن زياد جميع هذه الأموال التي جمعت طيلة عدة سنين وقسمها بين الجنود والقادة .

٢ ـ سمرة بن جندب من أصحاب رسول الله (ص) طلب منه معاوية أن يصعد المنبر ويحدث الناس عن رسول الله (ص) ـ كذباً ـ أن آية ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾ انزلت في ابن ملجم قاتل علي عليه السلام (مع أنها قطعاً نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام) وأن يقول : ان آية: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام** ﴾ نزلت في علي . .

ووعده أن يعطيه مائة ألف درهم . . فلم يوافق . وضاعف المبلغ له فوافق وقد جاء في « تحفة الأحباب » أنه أخذ أربعمائة ألف درهم وصعد المنبر وكذب هذه الكذبة الكبرى .

وتابعاً للآمال الشيطانية مثلاً غلاماً مشتركاً . . له عدة موال لهم سلائق مختلفة وميول متضادة والغلام هذا مضطر لاتباع الجميع وملزم باطاعتهم . . والشخص الموحد الذي يعبد الله وحده ويطيعه وحده مثل غلام خاص بمولى واحد[٥] . . وعبد من هذا النوع يكون في غاية الراحة :

﴿ ضرب الله مثلاً رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ الزمر ٢٩ .

« اتخذ صديقاً واحدا . . فان لك قلباً واحداً »[٦] .

الثبات على التوحيد :

الشخص الذي يتمرد على عبادة الله وأوامره ويكون عبداً للشيطان وهوى النفس هو حقاً في هذه الحال خارج عن التوحيد الذي بني أساس الاسلام عليه وأعرض عما قال وقيل أي « أشهد أن لا اله إلا الله » من هنا يقول تعالى في القرآن المجيد : **﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾** فصلت ٣٠ .

أي قالوا ربناالله فقط ولم يجعلوا له أي شريك في أية مرحلة ولم يتراجعوا

---

(٥) ما أجمل ما قاله السيد بحر العلوم عليه الرحمة :

واحذر لدى التخصيص بالعبادة شركاً وكذباً واتباع العادة
إياك من قول به تُفَنَّدُ فأنت عبد لهواك تعبدُ

أي عندما تقول في الصلاة إياك نعبد احذر أن تكون مشركاً وكاذباً وعبداً لعاداتك احذر أن تقول إياك نعبد في حين أنك عبد نفسك . .

ولحسن الحظ فإن باب التوبة مفتوح ولو أن الإنسان صار عبداً لغير الله مائة مرة فإن باستطاعته أن يتوب وقد ورد بيان التوبة في آخر كتاب (الذنوب الكبيرة) اللهم اجعلنا من التوابين .

(٦) مضمون بيت شعر فارسي .

عن ذلك حتى جاءهم الموت .

ونقل في تفسير المنهج عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال سألت رسول الله أن يدلني على خصلة أتمسك بها فقال (ص): «قل أشهد ألا إله إلا الله واستقم عليها . .» فقلت: يا رسول الله ما أهم ما يجب اجتنابه فأشار الى لسانه وقال: «أن تحفظ لسانك»[٧] .

نموذج في الثبات على التوحيد :

وقع عبد الله بن حذافة أسيراً في أيدي الروم وعرض عليه الدخول في النصرانية فامتنع ، فغلوا الزيت في إناء كبير وألقوا فيه أسيراً مسلماً آخر فتناثر لحمه وبدت عظامه وعبد الله ينظر ويرى ثم عرض على عبد الله التنصر مجدداً فأبى فأمروا بإلقائه في الزيت المغلي فبكى فقالوا قد جزع قال كبيرهم ردوه فقال عبد الله : لا تظن أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بي هذا في الله وكنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيَّ ثم تسلّط علي فتفعل بي هذا فتعجب منه وأحب أن يطلق سراحه فقال : قبل رأسي وأطلقك قال : لا أفعل ، قال : تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي قال: لا أفعل ، قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين قال : أما هذه فنعم فقبل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين فلما قدموا المدينة كان المسلمون يمازحونه فيقولون قبلت رأس علج فيقول لهم : أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين[٨] .

---

(٧) الرواية بالمضمون .

(٨) سفينة البحار ج٢ ـ ١٢٨ بتصرف .

الشرك في الاستعانة بالأسباب :

من أنواع الشرك المتداولة بين أهل التوحيد الشرك في الاستعانة بالاسباب . . أي اعتبار الاسباب مستقلة في التأثير . .

توضيح ذلك أن الله سبحانه بنى عالم الوجود على أساس الأسباب أي جعل سبحانه وجود أي شيء مستنداً الى شيء آخر . . مثلا وجود الولد مستند لاجتماع الرجل والمرأة وشروط أخرى ، وجود الثروة مستند إلى العمل . . والشفاء مستند الى المداواة . . وكذلك سائر الأشياء .

والإنسان من أجل الحصول على منفعة أو اجتناب ضرر يلجأ الى الاسباب وعندما يحقق ما يريد يعتبر ذلك من السبب . . في حين أن سبب المنفعة الحقيقي والمنجي الحقيقي هو الله بواسطة الاسباب . . ولدى الدقة يعلم أن جميع الأسباب مخلوقة ومن صنع الله خالق العالم . . وتأثير هذه الأسباب أيضاً منه سبحانه وظهور أثرها وترتبه عليها متوقف على ارادة الله واذنه .

صاحب المعرفة والبصيرة يعلم يقيناً أن مالك النفع والضر هو الله . **﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾** الاعراف ١٨٨ .

ولأجل تثبيت التوحيد في الأفعال وتقويته ، والنجاة من هذه المرتبة من الشرك يجب أن يقول المؤمن في صلاته في اليوم والليلة عشر مرات « واياك نستعين » يا رب نطلب العون منك فقط في الوصول الى كل خير والنجاة من كل شر دنيوي وأخروي . . وكل سبب نتمسك به فبأمرك وبالأمل بك . . وهذا معنى التوكل على الله الذي هو من لوازم الايمان .

أمل التأثير بالمسبب لا السبب :

لأن التوكل ليس ترك الاسباب بل هو أمر قلبي أي يجب أن يكون اطمئنان القلب واعتماده في جلب المنفعة والنجاة من الضرر فقط على الله وبه سبحانه .

والتمسك بالاسباب انما هو لأن السنة الالهية جرت على أن تكون تربية العباد واصلاح أمورهم من مجاري الاسباب .

إذن العاقل حين يتمسك بأي سبب ويمد يده اليه يجب أن يكون نظره إلى صانع ذلك السبب وخالقه وقيومه ويكون انتظاره للأثر من خالق ذلك السبب . . ويجب أن يعلم أنه سبحانه إذا لم يرد فلن يترتب أثر ذلك السبب عليه . . كما أنه اذا أراد سبحانه فان ذلك الأثر سيترتب اما بواسطة ذلك السبب أو بواسطة سبب آخر ليس بالحسبان أو بدون سبب أبداً . .

وقد أوضح هذا المفهوم في الجزء الأول من كتاب « الذنوب الكبيرة » بالتفصيل .

القسم بمخلوق أيضاً شرك :

يقول زرارة: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير الآية الشريفة ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ فقال عليه السلام : «من ذلك (الشرك) قول الرجل لا وحياتك»[٩] أي أن من الشرك القسم بمخلوق لتأكيد مطلب أو قضية .

ومروي عن الصادق عليه السلام أيضاً أن: «المراد بالشرك في هذه الآية هو الشرك في الطاعة لا العبادة» أي أن من أطاع آخر في معصية الله فقد أشرك

---

(٩) تفسير العياشي .

ومروي عنه أيضاً: «أن من الشرك شرك طاعة قول الرجل لا والله وفلان ، ولولا الله وفلان»[١٠] وبيان أن القسم بمخلوق أي مخلوق كان هو شرك كما يلي :

حيث أنه في القسم يجب القسم بصاحب العظمة والجلال . . وحيث أنه لا شك في أن العظيم الحقيقي هو الله وفقط ، والمخلوق أياً كان لا يملك لنفسه من نفسه شيئاً وليس غير الله يستحق التعظيم والاكبار بالذات . . فعندما يقسم شخص بمخلوق أو بالله ومخلوق فقد جعل لله شريكاً في التعظيم .

القسم بغير الله ليس حراما :

وينبغي التنبيه هنا على أن القسم بمخلوق مهما كان حيث أنه ليس شركاً في الطاعة أو العبادة بل هو شرك في تعظيم الله فليس حراماً وهو لدى التحقيق جائز والشيخ الطوسي عليه الرحمة حمل الروايات الواردة في هذا الباب على الكراهة فقال :

تكره اليمين بغير الله كاليمين بالمخلوقات : النبي والكعبة ونحوها وكذلك بالأباء كقوله : وحق أبي وحق أبائي ونحو ذلك كل ذلك مكروه[١١] .

وروي أن الرسول (ص) نهى عن القسم بالآباء والأصنام وأن يقسم الانسان إلا بالله وأن لا يقسم به أيضاً إلا عندما يكون صادقاً وروي أنه (ص) سمع أن عمراً حلف بأبيه فقال له: «لقد نهاكم الله عن الحلف بآبائكم» .

وروي عنه (ص) أنه قال: «من حلف بغير الله فقد جعل لله شريكاً . .» وفي بعض الروايات فقد أشرك بالله . . وفيما إذا اعتقد صاحب القسم أن عظمة المخلوق الذي أقسم به كعظمة الله . . ففي هذا الحال يكون القسم شركاً وكفراً

---

(١٠) نفس المصدر .

(١١) المبسوط كتاب الإيمان ج٦/١٩١ .

حقيقياً وحراماً ولكن إذا كان لا يعتقد بعظمته كعظمة الله بل كان يعتقد أن شأن المخلوق الذي أقسم وعظمته هي عطاء من الله سبحانه كالشخص الذي يقسم بشأن وحرمة أمير المؤمنين (ع) في حين أنه يعتقد أن هذا الشأن والحرمة من الله سبحانه فإن هذا القسم ليس كفراً وشركاً حراماً بل هو مكروه لأن الروايات نهت عنه .

التدرب على التوحيد في القول والعمل :

لعل حكمة النهي عن القسم بمخلوق تمرين أهل التوحيد على أن يراقبوا جيداً كلامهم وأعمالهم وأن يجتنبوا كل كلمة أو فعل تفوح منه رائحة الشرك ليبقى التوحيد صافياً لا تشوبه شائبة .

كما أنه لتأكيد التوحيد وتثبيته قد نهينا عن طلب شيء من مخلوق إلا عند الضرورة .

يقول المحقق الاردبيلي :

إن ذم السؤال من غير الله تعالى معلوم عقلاً ونقلاً (. . .) وقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لقوم قالوا له : اضمن لنا الجنة قال : بشرط أن لا تسألوا أحداً شيئاً فصاروا بحيث لو وقع من أحدهم السوط وهو راكب ينزل ويأخذه ولا يسأل أحداً أن يعطيه إياه وإذا عطشوا قاموا وشربوا الماء ولا يطلبونه ممن يكون قريباً منه[١٢] .

والخلاصة أن كون طلب شيء من غير الله مكروهاً الا عند الضرورة انما هو لتقوية أساس التوحيد وعبادة الواحد الأحد وذلك هو الطريق الوحيد للسعادة وللوصول الى مرتبة الانسانية .

---

(١٢) زبدة البيان ـ ٦ بتصرف يسير.

لا تلبسوا الايمان بالظلم :

يقول تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ الأنعام ٨٢.

والظلم أنواع أعظمها الشرك كما قال تعالى : ﴿ **ان الشرك لظلم عظيم** ﴾ لقمان ١٣ .

وهل ظلم أكبر من أن يحقق المولى خيراً لعبده أو يبعد عنه شراً . . ثم يعرض هذا العبد عن مولاه وبلا استحياء وينسب هذا الخير بحضوره لغيره رغم أنه بشر مثله . . هل هناك ظلم أكبر من غمط هذا الحق .

اذن فكل شخص اعتبر السبب مستقلاً في التأثير وأعرض عن الله سبحانه ونعمه التي لا تحد ، وانشغل بمدح الاسباب وحمدها وأظهر العجز وتملق عبيداً مثله فمن الطبيعي أن يخرج من دائرة العدل ويصبح ظالماً ومستحقاً لأنواع العقوبات ولو كان يرى حالاته الأولى يوم كان نطفة لا يملك شيئاً ويتأمل في عطايا الله له لما كان يشك أبدا في كونه ظالماً[13] .

---

(١٣) جاء في سيرة السلطان محمود الغزنوي أن «أياز» كان في بداية أمره عبداً من عبيد السلطان وبسبب فطنته وتضحيته أصبح أقرب المقربين للسلطان . . مما أثار حسد الوزراء وأفراد البلاط له . . كانت لأياز هذا غرفة مقفلة باستمرار لا يأذن لأحد بدخولها . . وكان هو يومياً في الصباح وقبل أي عمل يدخل الى هذه الغرفة ويمكث فيها قليلا ثم يخرج ويقفل الباب . .

وكان اثنان من الوزراء يعملان باستمرار لإسقاط أياز من عين السلطان وحمله على إساءة الظن به . . ولفت نظرهما ذلك فقالا للسلطان إن أياز سرق جواهر ثمينة ومبالغ طائلة من الخزينة ووضعها في غرفة خاصة به وهو يذهب كل يوم قبل كل شيء إلى هذه الغرفة وقد وضع عليها أقفالاً ولا يسمح لأحد بالدخول إليها .

. . . .

= وتداخل السلطان الشك وقال لهما: غداً عندما يكون اياز عندي اذهبا واكسرا القفل وادخلا الغرفة وأتياني بكل ما تجدونه من جواهر وأموال. .

وفي اليوم التالي ذهب عدة أشخاص بالمساحي والمعاول وبكل حماس إلى غرفة أياز. . وعندما كسروا القفل ودخلوا لم يجدوا سوى ثوب بالٍ طويل (جبة) من الجلد، وحذاء عتيق. . قالوا لا يعقل أن تكون هذه الأقفال لأجل هذا الثوب وهذا الحذاء الباليين. . لا بد وأنه دفن الجواهر في أرض الغرفة. . وحفروا وفتشوا ونقبوا. . إلا أنهم لم يجدوا شيئاً. . فرجعوا خجلين إلى السلطان. . واتضح كذبهم وحسدهم قال السلطان لا بد أن يرضى عنكم أياز وألقوا بأنفسهم على قدمي أياز فقال: الأمر للسلطان وعفا السلطان عنهم.

ثم سأل أيازاً عن سبب إقفال هذه الغرفة وزيارته لها كل يوم حتى أساء هؤلاء الظن به فقال:

أيها السلطان لم أكن أكثر من غلام فقير. . ولم يكن عندي الا هذا الحذاء وهذا الثوب وبلطف السلطان أصبحت أملك كل شيء. . وحيث أن النفس قد تتمرد وتطغى فقد احتفظت بذلك الحذاء وذلك الثوب الذي كان لباسي قبل أن أكون غلامك. . وكنت ألقي عليهما نظرة كل يوم حتى لا أبتلى بالغرور وأعلم أن كل ما لدي فهو من السلطان.

الهدف من نقل هذه القصة أن الإنسان يجب أن لا ينسى حالته الأولى التي هي نطفة قذرة حتى لا يتصور أن ما لديه هو الذي حصل عليه. . بل هو كله عطاء الله عزّ وجلّ ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق** ﴾ الطارق ٥ ـ٦ .

وينبغي أن لا تنسى هذه الجملة من تعقيبات صلاة العصر. . وأن تقرأ دائماً:

«اللهم ما بنا من نعمة فمنك لا إلّه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» وكذلك هذه الفقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي:

«سيدي أنا الصغير الذي ربيته وأنا الضعيف الذي قويته وأنا الفقير الذي أغنيته وأنا الضال الذي هديته والقليل الذي كثرته».

النعم على المشركين فتنة لهم :

يقول تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون** ﴾ العنكبوت ٦٥ ـ ٦٦ .

ويقول تعالى : ﴿ **واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار** ﴾ الزمر ٨ .

ويقول تعالى أيضا في هذه السورة : ﴿ **فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ الزمر ٤٩ .

والمراد بقوله تعالى ﴿ **بل هي فتنة** ﴾ أن الله أعطاه هذه النعمة ليمتحنه هل يشكر أم يكفر .

كل ما عندك من نعم فمن الله :

الشقي هو ذلك الذي يقول : ذكائي ، قدرتي ، أو علم فلان واستطاعته هو السبب في حصولي على هذه النعم . . في حين أنه لو فكر لعلم أن كل ذلك العلم وتلك الاستطاعة عارية (إعارة) وهي من جملة العطايا الالهية وهي من الأسباب التي أراد الله لها أن تكون أسبابا كما تقدم .

الخجل عند انكشاف الحقيقة :

ويلاه على الانسان حينما ينكشف ليل ظلام جهله وأفكاره الباطلة بالموت وشمس حقيقة القيامة التي تبدأ بالموت . . ويرى حينئذ أن ما اعتبره رباً ومؤثراً ليس الا خيالاً باطلاً .

في الحديث[١٤] أن الإنسان عند العرض على الله تسيطر عليه حالة من الخجل بحيث أنه يتمنى أن يعجل به إلى حفـرة من جهنم ليتخلص من هذا الخجل[١٥] .

يقول تعالى في سورة الأنعام : **﴿ولقد جئتمونـا فرادى كمـا خلقناكم أول مـرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾** الأنعام ٩٤ .

وفي تفسير الميزان يقول حول هذه الآية :

تخبر الآية الشريفة عن حقيقة حياة الانسان في النشأة الأخرى يوم يرد على الله بالموت ويدرك حقيقة الأمر . . عندها يفهم أنه كان مدبـراً بالتـدبير الالهي وسيكون كذلك . . ولم يكن يتولى ادارته أحد غير الحق تعالى وكلما كان يتصوره مؤثرا في تدبير أمره سواء الأموال التي كان يتصورها وسيلة الحياة الوادعة . . أم الأولاد التي كان يظنها عوناً له وصاحباً أو الزوجة والأقارب الذين

---

(١٤) كفاية الموحدين ج٣/٢٩٢ .

(١٥) كان لأحد الخلفاء العباسيين غلام وكان الخليفة يحبه كثيراً بحيث كانت مكانته في البلاط مميزة وذات يوم مرض فجأة وبدأ مرضه يشتد يوماً بعد يوم وقد عجز الأطباء عن معالجته وحدس طبيب حاذق منهم أن لمرضه سبباً نفسياً فاختلى به وظل يحدثه حتى عرف سبب مرضه فقد أقر الغلام بأن عدة أشخاص من أعداء الخليفة أغروه حتى دس السم في شرابٍ للملك ليقدمه له، وفعل ذلك إلا أن السلطان عرف ذلك ولم يشربه قال: ومنذ ذلك الحين زاد إحسانه إلي وإنعامه علي وقد مرضت لشدة خجلي منه وليس لمرضي علاج وسينتهي بالموت. .

الويل للإنسان عندما يفهم ويدرك أن ربه كان معه باستمرار وكان يرى جميع خيانـاته وذنوبه. . ويحلم عنه ويزيد في إنعامه عليه. . .

عن مصابيح القلوب للسبزواري/ فصل٣٥.

كان يعتبرهم ملجأه وحماه . . كل ذلك لم يكن له أثر في تدبير حياته ولم يكن ظنه الا خرافة ليس الا . . وكذلك طلب الشفاعة من أرباب غير الله بحيث يؤدى ذلك الى الشرك . . كله وهم في وهم .

الخضوع للأسباب يؤدي الى الانحراف :

الانسان جزء من أجزاء العالم وشأنه في تدبير الله له شأن جميع أجزاء العالم التي تشملها العناية الالهية وتسلك بها نحو الغاية التي عينها وقدرها لها الله سبحانه ولا دخل لأي موجود من موجودات العالم ولا سلطة له عليها . . والاسباب التي تبدو بحسب الظاهر مؤثرة . . كل آثارها من الله تعالى . . ولا شيء منها أبدا مستقل في التأثير . .

ولكن ياللاسف فان الانسان عندما يرى نفسه أمام زينة الدنيا الظاهرية والمادية وأمام هذه العلل والاسباب الصورية ينخلع فؤاده لها ويبيع نفسه لهذه العلل والاسباب وكأنه لا شيء غيرها في الوجود . . فيخضع لها . . وهذا الخضوع ينسيه الله سبحانه مسبب الاسباب وخالقها . . وبالتدريج يصبح يظن أن هذه الاسباب مستقلة في التأثير بحيث لا يعود له هم الا تأمين لذائذه المادية عن طريق الخضوع لهذه الاسباب . . ويفني عمره بالانشغال بهذه الأوهام ويغفل كليا عن الحق والحقيقة . .

حقا . . ﴿ **وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب** ﴾ العنكبوت ٦٤ .

ينسى الله فينسى نفسه :

هذه حقيقة كشف القرآن الغطاء عنها ونبه الناس اليها بعبارات مختلفة ومن جملة ذلك قوله تعالى : ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ الحشر ١٩ .

بالموت وانفصال الروح عن البدن ينقطع ارتباط الانسان بجميع الاسباب والعلل المادية لأن ارتباطها كان ببدنه . . وحيث لا بدن . . فلا ارتباط . . عندها يرى عيانا أن ذلك الاستقلال الذي كان يزعمه للعلل والاسباب ليس الا خيالاً باطلاً . . ويدرك بملء بصيرته أن العناية به في البدء والختام لم تكن الا من الله . . ولم يكن له رب سواه . . ولا مؤثر في أفعاله غيره . .

ولهذا يقول تعالى : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى** ﴾ . . انها اشارة الى حقيقة الأمر ، وجملة ﴿ **وتركتم ما خولناكم** ﴾ تبين بطلان سببية الاسباب والعلل التي حالت بين الانسان وربه طيلة حياته . . وقوله تعالى : ﴿ **لقد تقطع بينكم** ﴾ تبين علة انقطاع الانسان عن الاسباب وسقوط تلك الاسباب عن الاستقلال في السببية وحاصل هذا البيان انكشاف بطلان التصورات التي كان الانسان يشغل نفسه بها في الدنيا .

. . نعم . . تتضح له حقيقة الأمر . . ويعلم أن هذه الاسباب أوهام ليس الا ، كان يشغل بها نفسه ويظن أنها مستقلة في التأثير .

معظم القرآن في توحيد الأفعال :

عند التأمل في القرآن المجيد نجد أن معظمه يتناول التوحيد في الأفعال ولوم البشر على أنهم جعلوا لله شركاء في شؤون الربوبية والالوهية . . والسبب في كون معظم القرآن الكريم منصباً على هذه الناحية أن التوحيد الذاتي تقبله جميع ملل العالم باستثناء الدهريين كما تقدم . . التوحيد الالهي فطري ولم يسمع حتى الآن أن عاقلاً ادعى أن خالق العالم متعدد . . وكل اسباب الشرك تنحصر في زاوية ربوبية الله وعبودية البشر . . . « أي بدل أن يعبد الله سبحانه لأنه هو رب العالمين تعبد أصنام أو أهواء الخ ـ من الشركاء التي يبتدعها الوهم الانساني » .

التوحيد أساس الدين :

من هنا وجب على كل مسلم أن يقوي التوحيد في نفسه فهو الاصل الاعتقادي الأول في الاسلام وهو أساس الدين الذي هو سعادة الدنيا والآخرة . .

على المسلم أن يعلم علم اليقين كما أن أصل الخلقة وافاضة الحياة من الله سبحانه فكذلك بقاؤها واستمرارها وانقطاعها منه جلت عظمته . .

فهو المحيي والمميت ﴿ **يحيي ويميت** ﴾ وكما أن الخلقة منه وبيده ، فالرزق كذلك ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ الرعد ٢٦ .

وكذلك العز والذل بيده سبحانه ﴿ **وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير** ﴾ آل عمران ٢٦ ، وكذلك الغنى والفقر ﴿ **وانه هو أغنى وأقنى** ﴾ النجم ٤٨ .

والولد وعدمه ﴿ **يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيماً** ﴾ الشورى ٤٩ ـ ٥٠ .

والشبع ، والجوع ، والإرتواء والعطش ، وسلامة البدن ، والمرض كله منه سبحانه ﴿**والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين . . .** ﴾ الشعراء ٧٩ ـ ٨٠ ، وكل ألم وابتلاء وشدّة ورخاء . . منه جلت عظمته ﴿**ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله** ﴾ يونس ١٠٧ .

وباختصار كل ما يصيب الانسان فهو من الله ﴿ **بيده الخير** ﴾ والسعادة والشقاء والهداية والضلالة من الله ﴿ **يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ فاطر ٨ .

أي أن كل من يهتدى فبفضل الله وكل من يضل فبخذلان الله له وايكاله الى نفسه كما أن الحالات العارضة على النفس الانسانية كالغم والفرح هي أيضا من الله : ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾ النجم ٤٣ .

والحاصل يجب ان نعلم أنه في ملك الله لا يحدث شيء ـ مهما كان صغيرا ـ ولو مثل ظهور ورقة على شجرة . . أو نمو نبتة في صحراء أو ذبولها وسقوطها ـ أي شيء في ملك الله لا يحدث الا بعلمه واذنه وقضائه وارادته جلت عظمته وتقدست أسماؤه :

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ﴾ الانعام ٥٩ .

لا تكتف بالحد الأدنى من التوحيد :

الاقرار بالتوحيد باللسان والاعتقاد به اجمالاً . . وان كان كافياً . . بحيث أن الشخص اذا لم يفقد هذا المقدار من التوحيد بسبب ذنوبه ومات على هذه الحالة يكون من الناجين . . لكن العاقل لا ينبغي أن يكتفى بهذا الحد الأدنى بل يجب أولا أن يسعى ويجد حتى يحصل على أمر ثابت . . أي يصبح توحيد الله وجدانيا بالنسبة له وملموسا وينور قلبه بنور التوحيد بحيث لا يمكن أن يعتريه ظلام أبدا . .

وثانياً : يسعى كي يزيد هذا النور ، ويجب لتحقيق هذا الهدف الالتزام بأمرين :

١ ـ ترك اتباع الهوى وعبادته .

٢ ـ مراقبة نفسه في مجال التوحيد .

واليك التفصيل .

عبادة الهوى تنافي التوحيد :

ترك عبادة الهوى والاستمرار في خط عبودية الله يعني اطاعة أوامره ونواهيه سبحانه بحيث لا يفوته أداء واجب واحد . . ولا يصدر منه أي محرم ويلتـزم بمقدار استطاعته بفعل المستحبات وترك المكروهات .

ويجب أن يعلم هنا أن الانسان الذي يعبد هواه يستحيل أن يصبح من أهل التوحيد لأنه دائما يرى نفسه مستقلاً ليس بحاجة الى أحد . . وكل همه أن يبرز نفسه ويحقق نزواته . . وشخص هذا شأنه متى يمكنه أن يرى الله أو يطلب رضاه . . بعبارة أخرى ما دام الانسان لا يطلب الشيء فكيف يمكنه أن يحصل عليه . . والشخص الذي يعبد هواه . . هل هو طالب توحيد الله حتى يعطى له؟ كل ما يريده هذا الشخص هو نزواته وأمانيه النفسية التي يحصل على بعضها .

مراقبة النفس في التوحيد . . في القول والعمل :

يجب على الانسان أن يراقب نفسه باستمرار حتى لا يحيد في قوله أو فعله عن جادة التوحيد ولو لحظة واحدة . . أي يجتنب كل ما تفوح منه رائحة استقلاله « عن الله » أو استقلال سبب آخر ورفض الله سبحانه . . مثلا اذا قام بعمل خير فلا يغتر . . بل يجب أن يعتبر ذلك من الله ولا يمن على أحد بل يعتبر نفسه طريقا للخير من الله لهذا الانسان الذي أحسن اليه . . كذلك اذا أحسن أحد اليه فلا يتملق . . بل يشكر الله ويشكر السبب حيث أن الخير وصله من الله بواسطته .

واذا أساء الى أحد أو أساء اليه أحد . . فليعلم أن السبب هو خذلان الله وليخف من حالة استحقاقه للخذلان . . وليلجأ الى الله طالباً منه تجنيبه الشر ، واصلاح أمره . . ولا يدَّع الاستقلال أبدا . . أي لا يقول أنا فعلت كذا وكذا أو

سأفعل كيت وكيت . . ولو أن هذه القضية لم تكن بيدي لحصل كذا وكذا . . أنا أغنيت فلاناً ونجيت فلاناً وأمثال ذلك من الادعاءات التي هي من باب ادعاء مقام الربوبية والعياذ بالله يقول تعالى :

﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ﴾ الكهف٢٣-٢٤ .

الأمل بالله والخوف من الذنب :

ويجب على الانسان أن لا يكون اتكاله أبدا ورجاؤه القلبي الا على الله وبالله لا على علمه وقدرته هو أو شخص آخر بل يكون رجاؤه فقط قدرة ربه اللامتناهية كما أنه لا يصح أن يخاف أو يحزن من أي حادث مؤلم . . بل يكون خوفه دائما من أن يصبح موردا لخذلان الله له ومستحقا لاعراض الله عنه بحيث أنه سبحانه لا يدفع عنه الشر الذي أصابه أو سيصيبه . ولتوضيح هذه النقطة يشار هنا الى موردين صغيرين من موارد الشرك في الخوف والرجاء ذكرا في الروايات حتى تتضح جيدا الموارد الأكبر .

أخفى من دبيب النملة :

عن الصادق عليه السلام : ان الشرك أخفى من دبيب النمل وقال (ع) ومنه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا[١٦] .

فالشرك أخفى من حركة النملة وقد يجعل الانسان شريكاً لله دون أن يكون ملتفتاً لذلك أبداً ومن هذا الشرك تحويل الخاتم . . فأحياناً يخرج الانسان من بيته الى السوق مثلاً وتكون له حاجة ما ، يخاف أن ينساها فيحول خاتمه بحيث يصبح الحص داخل كفه . . أو يربط خيطاً باصبعه . . أو يكتب شيئاً

---

(١٦) سفينة البحار ج١/ ٣٧٨.

على يده على أمل أن تقع عينه في الأثناء على العلامة التي وضعها فيتذكر حاجته .

طبعاً مجرد وضع العلامة وحده ليس شركاً ولا مانع منه . . . الشيء الذي هو شرك أن يكون كل أملك ورجائك منحصراً بهذه العلامة لأن الموحد ينبغي أن يكون كل أمله ورجائه في جميع أعماله منحصراً بالله سبحانه . . واذا لم تقض مشيئة الله أن تتذكر فلن تنفع هذه العلامة ولا غيرها .

اذا كان رجاؤك بالله فليس ذلك شركاً :

والحاصل أنك اذا حولت خاتمك أو وضعت علامة بأمل أنك عندما يقع نظرك عليها يذكرك الله حاجتك فليس ذلك شركاً . . كالتمسك بالاسباب الأخرى عندما يكون هدف الانسان أن الله يوصله الى ما يريد عن طريق السبب الفلاني أما اذا نسيت الله عند تحويل الخاتم أو وضع علامة واعتبرت هذه العلامة سبباً مستقلاً في تذكيرك بحاجتك . . بحيث أصبحت هي كل أملك فقد جعلت لله شريكاً .

التطير أيضاً شرك :

المورد الثاني من موارد الشرك الذي يذكر هنا هو الطيرة والاعتقاد بها . . وقد اعتبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك شركا بالله « الطيرة شرك »(١٧) . . أي أن الشخص الذي يعتبر الطيرة منشأ أثر في نظام العالم فقد جعل لله شريكاً في مقام التوحيد الافعالي وروي عن الرسول (ص) : من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك(١٨) وعن الصادق (ع) : ان الرسول (ص) قال :

(١٨/١٧) حياة الحيوان ج٢ ـ ص٦٦ .

كفارة الطيرة التوكل [١٩].

معنى التطير وسبب كونه شركاً :

هناك أمور لم يجعلها الله سبحانه منشأ لأي شيء أو سبباً له . . ولكن الانسان بناء على وهمه وخياله وظنه الباطل يعتبرها أسبابا مستقلة لحصول الخير أو الشر ويرتب أثرا على هذا التصور والوهم . . هذه الحالة تسمى « التطير » وهي في الحقيقة جعل شريك لله سبحانه .

مثلاً قد يريد الشخص فعل شيء طبقاً للموازين العقلية وفي الأثناء يعطس هو أو يعطس شخص آخر هنا اذا اعتبر هذه العطسة سبب شؤم هذا الفعل الذي كان يريد الإقدام عليه وتركه لهذا السبب فقد تطير وأشرك .

العطسة رحمة وشاهد صدق لا صبر :

وهذا التفكير الخاطىء أصبح شائعاً بحيث أن الناس أصبحوا يسمون العطسة بالصبر . . وأحيانا عندما يعطس شخص يقولون جاء الصبر ولا يصح الاقدام على العمل الذي كان الحديث عنه أو مباشرته أثناء العطسة . . مع أن العطسة عقلاً وشرعاً ليست منشأ أي شيء . . بل هي شرعاً رحمة وعافية لصاحبها . وهي أيضا شاهد صدق على القول الذي زامنها أو الفعل الذي عقدت النية عليه حينها .

ساعة النحس أيضا من الخرافات :

ومثل ذلك من يعتبر الأوضاع الفلكية وحركات الكواكب مؤثرة في الحوادث ويعتبر الضرر والنفع منها . . واذا أراد فعل شيء ثم تركه اعتمادا على

---

(١٩) روضة الكافي حديث ٢٣٦ .

قول غيره أو على ظنه هو بأن ساعته ساعة نحس فقد أشرك .

كما أنه اذا اعتبر أن النفع والضرر بيد الخالق القادر واستعان به متقرباً اليه بصدقةٍ أو دعاء ثم أقدم على فعله فذلك توحيد ولن يصيبه الا الخير .

مسير أمير المؤمنين (ع) الى النهروان :

عندما عزم أمير المؤمنين (ع) على المسير الى النهروان لحرب الخوارج قال له عفيف بن قيس إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك « من طريق علم النجوم » فقال عليه السلام :

أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء؟ وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به النصر ، فمن صدقك فقد كذب القرآن واستغنى عن الإستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك ـ بزعمك ـ أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضرُّ[٢٠] .

ثم سار عليه السلام وانتصر :

ولم يعتن الامام (ع) بكلام عفيف وقال لاصحابه : « سيروا على اسم الله » .

ثم خرج في تلك الساعة لحرب الخوارج وانتصر عليهم . . بحيث أنهم هلكوا جميعا الا تسعة منهم ولوا هاربين . . ولم يقتل من أصحابه الا دون التسعة كما أخبر هو (ع) من قبل .

---

(٢٠) نهج البلاغة خطبة ـ ٧٩ .

صوت الغراب ،والبوم،،وعدد١٣ :

من الخرافات الأخرى الشائعة بين الناس والتي يعتبر التطير بها واعتبارها مؤثرة « في الأمور » شركاً أيضاً صوت الغراب ، والبوم ، وأن تحط بوم على السطح أو عدد١٣ ، أو طيران طائر من الجهة اليمنى أو اليسرى حال السفر أو مصادفة شخص معاق بعد الخروج من البيت أو أثناء مجيء ضيف أو ذهابه أو زيارة المريض ليلتي الأحد والأربعاء . . وهذه الأمور يعتبرها بعض العوام سبباً في وقوع بعض الحوادث .

ويلحق بذلك أيضا ما اذا اشترى شخص بيتاً أو تزوج أو رزق ولداً ثم أصابته مصيبة فانه يتشاءم ويعتبر تلك المصيبة من البيت أو الزوجة أو الولد ويقول « وجهه شؤم » كما أنه اذا أصابه خير يعتبره من هذه الاسباب المادية ويقول « وجهه خير » .

المعتقد بهذه الأوهام ونظائرها يجب أن يعلم أن هذا كله شرك ومناف لتوحيد الله سبحانه لأن الله مالك النفع والضرر والخير والشر .

التجربة ليست دليل صحة التطير :

لو قال معتقد بهذه الخرافات : انا نعتقد بهذه الأشياء لأن التجربة أثبتتها . مثلا : جربنا أن لا نتريث بعد العطسة . . وكانت نتيجة كل فعل من هذا القبيل سيئة ، وكذلك الأشياء الأخرى .

والجواب أن هذا الكلام على اطلاقه غير صحيح . . أي ليس كل شخص وفي كل وقت لا يتريث بعد العطسة تكون عاقبة أمره سوءاً . . وأنا عملت على خلاف ذلك مئات المرات وأنجزت العمل الذي كنت أنويه بالتوكل على الله ولم يحدث لي أي سوء .

ثانياً : اذا حصل حادث مزعج للشخص الذي لا يتريث بعد العطسة فليس السبب عدم صبره وتريثه بل هو مرتبط بأمور أخرى كان سيحصل بسببها هذا الحادث عطس هذا الشخص أم لا .

طائركم معكم :

يحكي الله سبحانه في سورة « يس » قصة ثلاثة من رسل الله أرسلهم عز اسمه الى أهل مدينة انطاكية . . ودعوا الناس الى عبادة الله والايمان به والاستعداد لمعادهم . . وبدل أن يقبل أهل المدينة دعوتهم قالوا لهم : ﴿ **انّا تطيرنا بكم** ﴾ فقال لهم رسل الله : ﴿ **طائركم معكم** ﴾ أي أن شؤمكم ونحسكم في ضميركم وعقائدكم الباطلة وطباعكم النشاز السيئة التي تجعلكم تعيشون في عالم من التشاؤم والتطير .

وعلى كل حال فان جميع أنواع التطير خرافة ليس الا وليست منشأ أي أثر الا ايذاء صاحبها نفسياً وتعقيده واتعابه .

عدم الاهتمام بالطيرة :

عن الصادق عليه السلام : الطيرة على ما تجعلها فان هونتها تهونت وان لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا[٢١] .

وشكى أصحاب رسول الله له (ص) الطيرة فقال لهم في حديث الرفع المشهور « واذا تطيرت فامض » أي لا ترتب الأثر ولا تعتن بتطيرك .

السفر يوم الاربعاء والدعاء المأثور :

وروى أن من سافر يوم الاربعاء أو أراد الخروج لانجاز عمل ولم يعتن بما

---

(٢١) روضة الكافي حديث ٢٣٥ .

قيل من أن يوم الاربعاء يوم نحس يحفظه الله من كل شر وهذا نص الحديث : من خرج يوم الاربعاء لا يدور خلافا على أهل الطيرة وقى من كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضى الله حاجته[٢٢] .

وروي عن الرضا (ع) استحباب أن يقال عند الخروج يوم الاربعاء :

اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك[٢٣] .

الفأل الحسن جيد ، ومطلوب :

وينبغي التنبيه هنا على أن الفأل الحسن مطلوب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله يحب الفأل الحسن[٢٤] .

والفأل الحسن أو التفاؤل بالخير هو أن يوجد في الشخص أمل بالفرج ، أو يفرح لرؤية شخص أو سماع اسم وما شابه ذلك كأن يكون اسم صاحبه في السفر نصر الله أو فتح الله فيتفاءل بالخير لذلك ويقول سيكون النصر حليفنا ان شاء الله .

وفي غزوة الحديبية عندما دخل سهيل بن عمر على رسول الله (ص) قال (ص) : سهل أمرنا .

والسبب في أن الفأل السيء مرفوض وشرك ، بينما الفأل الحسن مقبول وايمان هو أن الشخص الذي يتفاءل شراً هو في تلك الحال منقطع عن رب العالمين ويعتبر أن هذا الأمر الموهوم وحده مؤثر وسبب الشر . . ولكن الشخص الذي يتفاءل خيراً يزداد حسن ظنه وأمله بالله دون أن يعتبر أن هذا الأمر مؤثر . .

---

(٢٢) سفينة البحار ج٢/١٠٢ .

(٢٣) نفس المصدر/١٠٣ .

(٢٤) نفس المصدر/ ٢٤٠ .

وهذا عين الايمان والتوحيد .

خلاصة البحث :

الموحد يجب أن يكون تمام أمله بالله سواء في الحصول على أي نفع ، أو النجاة من أي ضرر . . وأن يعتبر أن الاسباب مسخرة لارادة الله . . وعند التمسك بها يكون منتظراً أمر الله ومشيئته . . واذا تمسك بالأسباب واعتبرها مستقلة في التأثير فيكون قد جعل لله شريكا . . وأسوأ من ذلك أن يتمسك الانسان بالامور الموهومة التي يتفاءل بها ويتطير منها . . مع أن الله سبحانه لم يجعل فيها أي أثر نهائياً ، مثال ذلك الأمور الموهومة التي يتفاءل بها .

التوسل بالأئمة (ع) ليس شركاً :

مما ذكر في معنى الشرك بالاستعانة بالاسباب يعلم بطلان ما يقوله بعض الجهلة كالوهابية ويتجرؤون بنسبته الى الشيعة من أنهم مشركون لأنهم يعبدون أئمتهم ويطلبون العون منهم ويأملون شفاعتهم .

وللمزيد من التوضيح في رد هذه التهمة نقول ان طائفة الامامية والشيعة الاثني عشرية لم يشركوا بالله طرفة عين وهم موحدون حقيقيون . . ويعتبرون الرسول والأئمة عليهم السلام عباد الله ومن مخلوقاته ومقربين إليه سبحانه ويعتبرون أن عبادة غير الله شرك وحرام . . وما سمعتم أو رأيتم من اطاعة الشيعة للرسول والأئمة عليهم السلام فهو بسبب أمر الله باطاعتهم .

وهو أيضا يستند الى أدلة قطعية أثبتت أن الأئمة الاثني عشر هم أوصياء الرسول (ص) وقد أمر هو (ص) باطاعتهم ، واطاعتُه ، اطاعةً لله سبحانه .

الزيارة غير العبادة :

وأما إجلال الشيعة وخضوعهم للأنوار الطاهرة الاثني عشر وتعظيم قبورهم

المباركة والتوجه لزيارة مشاهدهم المشرفة . . فليس شيء من ذلك عبادة لهم بل أدب وتواضع أمام المقربين للساحة الالهية .

كما أن التواضع لله واجب عقلاً فكذلك للأشخاص الذين اختارهم سبحانه . . وما من شك في أن التواضع لهم لهذا السبب هو عين التواضع لله . . كما أن التكبر عليهم تكبر على الله (حب محبوب الله حب لله) أضف إلى ذلك أنا أُمرنا في القرآن المجيد بالأدب والتواضع لرسول الله (ص) وفي سورة الحجرات يقول تعالى : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول** ﴾ الحجرات ٢ .

ويقول تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾ النور ٦٣ ، أي خاطبوا الرسول بأدب واحترام كأن تقولوا يا رسول الله .

ويقول تعالى : ﴿ **وتعزروه وتوقروه** ﴾ الفتح ٩ .

أي ناصروا رسول الله وعظموه .

وقد ثبت بالادلة القطعية أن الأئمة الاثني عشر امتداد لرسول الله (ص) وهم جميعا نور واحد . . وكما أن تعظيم رسول الله (ص) واجب فكذلك تعظيمهم .

أو ليس تعظيم الحكام والأثرياء شركا :

عجيب أمر هؤلاء الذين يقولون للشيعة أن أدبكم مع الرسول والأئمة (ع) وتواضعكم لهم شرك . . في حين أنهم هم يفعلون أكثر من ذلك مع حكامهم بل وأثريائهم ومع ذلك يعتبرون أنفسهم موحدين والشيعة مشركين . . مع أن تواضع الشيعة بأمر من النبي . . وتواضعهم قد نهى عنه النبي (ص) كما روي

عنه (ص) : من أتى غنيا فتواضع لغنائه ذهب الله بثلثي دينه[٢٥] .

حيث يعلم من هـذا الحديث أن من تـواضـع لغني بسبب غنـاه بقلبـه بالاضافة الى لسانه وبدنه ذهب الله بثلثي دينه . . أما اذا تواضع له لاسلامه ودينه أو جهة أخرى غير غناه فذلك جيد لأن التواضع في مقابل الدين تواضع مقابل الله سبحانه .

الشفاعة ليست تأليها :

أما الاستعانة بقادة الدين والتوسل بهم للوصول الى الاهداف الدنيـوية والأخروية وطلب الشفاعة منهم في النجاة من المخاطر المادية والمعنوية . . فليس خافيا على من عاش في أوساط الشيعة أنه لا يوجد بينهم شخص واحد ولو عامي يعتبر الأئمة « الله » . . أو أنهم مستقلون في التأثير وعموم الشيعة يعتبرون الأئمة أصحاب قدرة الهية . . أي أن الله سبحانه أعطاهم قدرة يستطيعون بها مساعدة كل من تواجهه ضائقة . . والتوسل بهم كتوسل المريض بـالطبيب أو الدواء الذي جعل الله فيه خاصية الشفاء . . فيشرب المريض الدواء ويطلب الشفاء من الله . . واذا شفي يعتبر أن سلامته من الله لا من الدواء . . كذلك الشيعة فهم عرفوا حق آل محمد (ص) ويتوسلون بهم ويطلبون حاجتهم من الله ببركتهم وواسطتهم ويعلمون على اليقين أن قدرتهم من الله وشفاعتهم متوقفة على رضاه واذنه سبحانه . . والاستغـاثة بهم والتضـرع والالتجاء اليهم عنـد الحاجة كالشخص الذي ارتكب خطأ مع سلطان . . ثم التجأ الى شخص له منزلة عند السلطان واستجار به ليطلب له الأمان من السلطان . . وكذلك سائر أنواع التواضع لهم عليهم السلام[٢٦] .

---

(٢٥) سفينة البحار مادة وضع .

(٢٦) أورد المحدث الجليل العراقي في كتاب دار السلام حكايات متعددة حول التوسل بأهل

= البيت عليهم السلام، ولتنويع مضامين الكتاب ننقل هنا إحداها:

قال في آخر صفحة ٥٣٩ ما يلي:

المعجزة الخامسة: ما حدث به الثقة العادل الشيخ عبد الحسين الخوانساري رحمه الله الذي كان من مجاوري كربلاء المقدسة وكان معروفاً بـ «لفاف التربة» إذ أنه كان يأخذ التربة الحسينية من الأماكن الشريفة طبقاً للآداب المأثورة ويعطيها للزوار وقد التقيت في بعض المجالس في أوائل مجاورتي، وحيث أني رأيت فيه آثار الصلاح والتقوى وعرفت أنه مجاور منذ زمن طويل وملازم للحرم الشريف طلبت منه أن يحدثني بما شاهد هو من الكرامات والمعجزات فكان من جملة ما ذكره قوله:

كنت أقيم في بعض قرى بروجرد فهزني الشوق إلى مجاورة ضريح الحسين عليه السلام.. كان الجو بارداً ومقدمات السفر غير متوفرة فأخذت دابتين ووضعت على احداهما أطفالي وعلى الثانية زوجتي لننتقل إلى بروجرد ونلتحق بالزوار المسافرين إلى كربلاء.

وكان في القرية التي أسكن فيها شيخ اسمه محمد جعفر وكان يحبني.. وعندما عرف أني قررت السفر اعترض علي بشدة قال: إن البرد شديد وليس معك ما تحتاجه والسفر هكذا ليس عقلائياً.. واشتد إصراره في منعي من السفر.. واشتد إصراري على السفر حتى يئس من إقناعي... فتحداني وقال سترى أنك ستقتل أطفالك، وسافرت ووصلنا كربلاء بحمد الله وكلنا بخير..

بعد مدة جاء بعض الزوار من تلك القرية وكان بينهم بعض أقارب الشيخ المذكور فدعوتهم إلى بيتنا لتناول الطعام.. وكنت أريد أن يخبروا الشيخ بأننا جميعا بخير..

حضروا إلى البيت وكان ابني حسن أكبر أولادي يلعب.. وفجأة صعد إلى سطح الطابق الثالث وتدلى لينظر إلى داخل الغرفة التي كنا فيها فسقط إلى الأرض ومات..

وتبدل الفرح بالحزن.. ومضيت حافياً إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وقلت عند الدخول: السلام عليك يا وارث روح الله وألصقت نفسي بباب الضريح وأخرجت (الشال) وربطت طرفه بالقفل والطرف الآخر بعنقي وبدأت أصرخ وأبكي وأنا أقول: ما

= صار، وبحق أمك الزهراء لا يصير، أن تثبت صحة كلام الشيخ محمد جعفر، لن يكون ذلك.

واجتمع الزوار والخدم حولي متعجبين وسألوني عن السبب فلم أجبهم وظن بعضهم أني مجنون.. ولم يعرفوا السبب إلى أن جاء بعض جيراني وهو من طلاب العلوم الدينية ليأخذني إلى البيت لتشييع الجنازة.. فعرفوا منه ما جرى..

جاء جاري وأخذ يعظني: أنت رجل عالم والميت عادة لا يحيى.. تعال نذهب ونأخذ هذا الطفل الميت فإن أمه تكاد تموت.. وعبثاً حاول وعظي.. فأخذ يلومني والحاضرون يؤيدونه ولشدة حسرتي اعترضت عليهم وقلت دعوني أنا لا أريد منكم شيئاً فلماذا تؤذونني.

وعندما سمعوا ذلك ضحكوا وقالوا لندعه ونذهب لنقل الجنازة.. قالوا ذلك وخرجوا من الحرم.. وترك ذلك في نفسي أثراً كبيراً فاشتد بكائي وجزعي فعلا صياحي وارتفع صراخي وقلت لسيدي: وحق أمك الزهراء لن أترك ضريحك ولن أخرج من حرمك إلا أن يقبض الله روحي أو يرد علي ولدي حسن وأخذت أصرخ وألطم رأسي إلى أن اقترب الظهر.. فجأة سمعت ضجة وزغاريد من ساحة الحرم (الصحن) وبدأ الناس يركضون إلى خارج الحرم ولم أكن أعرف ماذا جرى إلى أن دخل حشد كبير من الناس الحرم.. عندما تأملت جيداً رأيت ولدي حسن وقد أخذ بيده ذلك الجار المخلص ورأيت أمه خلفه مع جمع من نساء الحي والجميع يصلون على النبي وآله عندما رأيته ألقيت نفسي على الأرض وسجدت سجدة الشكر ثم احتضنت ولدي وقبلت عينيه ثم سألت عما جرى فقالوا: بعد أن يئسنا منك رأينا أن لا بد من أخذه لنغسله ونكفنه وندفنه وأخذناه إلى المغتسل خارج كربلاء وعندما نزعنا ثيابه وألقينا على رأسه طاسة ماء رأينا أطراف أنفه تتحرك كأن أحداً يدلك أنفه ثم حرك رأسه وعطس عطسة وجلس كأنه كان نائماً واستيقظ.. وبادرنا بالمجيء إلى الحرم لإنقاذك مما أنت فيه وإظهار إعجاز الإمام العظيم عليه السلام.

قال المؤلف ـ صاحب دار السلام ـ كنت أرى حسن المذكور باستمرار والآن يوم الجمعة ٢٦ جمادي الأول سنة ١٣٠٠هـ، ما زال مستصحب الحياة.. وإن كان والده الشيخ عبد الحسين قد توفي منذ فترة. «بتصرف يسير».

الشفاعة في القرآن المجيد :

فان قيل ان الله أرأف بعباده وأقرب اليهم من كل أحد ولا حاجة لشفاعة أحد عنده . . فالجواب على هذه الشبهة موجود في الآيات والروايات بكثرة ويكتفى هنا بالتذكير بآيتين من القرآن المجيد :

يقول تعالى : ﴿ **ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾ النساء ٦٤ .

حيث يعلم من هذه الآية جيدا أن لرسول الله الشفاعة عند الله سبحانه .

حادثة استغفاره (ص) بعد وفاته :

ينقل في تفسير منهج الصادقين عن أمير المؤمنين (ع) أنه بعدما التحق الرسول (ص) بالرفيق الأعلى بثلاثة أيام جاء اعرابي وجلس الى جانب قبره (ص) وأخذ يحثو التراب على رأسه ويقول يا رسول الله سمعنا ما قلت وآمنا به ولكنا لم نؤد حق ما بلغتنا عن الله وقد قال الله في الكتاب الذي أنزل عليكم ﴿ **ولو أنهم اذا ظلموا** ﴾ الخ - يا رسول الله ظلمت نفسي وجئتك يا رسول الله كي تستغفر لي .

فارتفع صوت من داخل القبر : قد غفر الله لك . . وفي رواية أخرى أن أهل المسجد سمعوا ذلك الصوت وأجهشوا بالبكاء .

يعقوب يستغفر لأبنائه :

عندما انكشفت خيانة اخوة يوسف ألقوا بأنفسهم على قدمي يعقوب وقالوا له : ﴿**يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم**﴾ .

ويقول في تفسير النهج : جعل يعقوب (ع) وقت الاستغفار لهم سحر ليلة الجمعة ونقل أنه ظل أكثر من عشرين سنة يأمر أبناءه ليصطفوا خلفه كل سحر ليلة جمعة وهو يدعو لهم ويستغفر الله لهم وهم يقولون آمين . . حتى تاب الله عليهم بعد العشرين سنة .

ومن هذه الآية يعلم جيدا أن الشفاعة كانت في جميع الأديان الإلّهية .

اظهار شرف العظماء وخضوع الناس لهم :

وأما حكم تشريع الشفاعة فمنها : اظهار شرف عظماء الدين ومنزلتهم وبيان حرمتهم عند الله لينقاد الناس ويخضعوا لهم ويستفيدوا من روحانيتهم ونورانيتهم فوائد معنوية جمة وبالاضافة الى ذلك يحققون قضاء حوائجهم بواسطتهم ويعملون بما يبينونه لهم من أوامر الله ونواهيه .

وما من شك في أن من يأمل أن يشفع له رسول الله وأوصياؤه . . يكون حتماً خاضعاً لهم ومطيعاً لأوامرهم . . واذا خالف أمرهم فليس ذلك لعدم الاهتمام به بل نتيجة غلبة النفس والهوى . . وشخص هذا شأنه يوفق للتوبة وينجو بشفاعتهم .

علاج مرض الشك :

عندما يبدأ الانسان يدرك ، يبدأ يعتمد على حسه وتجربته وينسب كل خير ونفع يراه مؤثراً في نمو حياته المادية أو حياة الآخرين الى سبب مادي خاص على وجه الاستقلال وكذا السلامة من أي شر وضرر . . يعتبرها مستندة الى سبب مادي خاص . . مثلا الشبع ينسبه إلى المأكولات والرواء ينسبه إلى المشروبات وحفظ البدن من الحرارة والبرودة ينسبه إلى الملبوسات والثراء للسعي والعمل والفقر للخنوع ، والخلاص من الألم والمرض للطبيب والدواء . . وهكذا بحيث ينتهي به المطاف إلى أن ينسب أصل الحياة والموت

للماديات وبشكل عام يصبح ينسب كل أمر إلى سبب خاص . . مثلا نمو النبتة ينسبه إلى الماء والشمس ، وحدوث الليل والنهار ينسبه إلى دوران الشمس ، أو دوران الأرض وهكذا . .

ولكن عندما يبلغ الانسان مرحلة الكمال والنضج الفكريين وتضيء نفسه بنور العقل يفهم عندها عدمه وحدوثه الذاتي والوصفي وكذلك حدوث جميع أجزاء عالم الوجود ذاتاً ووصفاً ويدرك عندها خطأ تصوراته الباطلة السابقة .

مثلاً : يلقي نظرة على نفسه وحالاته الأولى يوم كان في رحم الأم وقبل ذلك يوم كان ذرات مبعثرة متناثرة في بدن الأب ثم جمعتها اليد الالهية المقتدرة وفصلتها عن الأب على شكل نطفة . . وقبل ذلك أيضاً يوم كان ذرات متناثرة في الماء والهواء والنار . . ثم التقطتها يد العناية الالهية وأخرجتها على شكل مأكولات كالحبوب والخضروات وكذلك مشروبات كالماء وغيره ثم جعلتها جزء من بدن الأب والأم ثم ينظر في جميع أجزاء العالم حوله ويرى أنها قد شملتها نفس العناية الالهية . . عندها يقول بكل يقين :

يا من كل الوجود منه وجُد بك أصبح التراب الضعيف قادراً[٢٧] .

أي يرى أنه هو وجميع بني البشر ما هم الا تلك القبضة من التراب التي تولتها العناية الالهية بالرعاية حتى أصبحت موجوداً عالماً ، قادراً ، سامعاً ، ناطقاً و . . . كما يقول تعالى في سورة الدهر : ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ الآية ١ ـ ٢ .

كما أنه بعد التدبر والتفكير في جميع أجزاء عالم الوجود والتدقيق في كل

---

(٢٧) مضمون بيت من الشعر الفارسي .

تلك الأمور العدمية وتحليلها يعرف أن الله وهبها ثوب الوجود ورباها حتى أصبحت على هذه الصورة .

كل آثار الموجودات من الله :

وبعد أن يدرك الانسان العاقل أنه ليس هو خالق نفسه . . كما أنه ليس مخلوقاً لمخلوق مثله . . بل أنه وجميع المخلوقات من الله سبحانه . . يدرك أن الآثار الوجودية (الكمالات الثانوية) لكل واحد من المخلوقات ليست منها بل أن كل أثر يصدر عن موجود . . فهو من الله سبحانه لأن ظهور الأثر وصدوره متوقف على أصل الوجود المؤثر . . ولأن أصل الوجود من الله . . فالأثر أيضا من الله سبحانه .

«الذات التي لا تملك شيئاً من الوجود كيف يمكنها أن تهب الوجود» الجهام السحاب الخالي من الماء لا يستحق وصف معطي الماء»[٢٨] .

تأثير الأسباب حدوثاً وبقاء من الله :

طبيعي أنا لا ننكر العلل والمعلولات والأسباب والمسببات . . وكيف يمكن انكار حرارة النار واحراقها أو رطوبة الماء وبرودته أو أثر الطعام في الشبع والدواء في الشفاء . .

كل ما في الأمر أنا ننكر استقلال هذه الأشياء في التأثير أي نقول كما أن أصل هذه الاشياء من الله فكذلك تأثيرها هو منه سبحانه . . كما أن استمرار أصل الاشياء وبقاءها من الله فكذلك ترتب الآثار عليها مرتبط بها تعالى ومتوقف على ارادته . . مثلا اذا لم يرد للنار أن تحرق فمحال أن يترتب عليها أثر الاحراق . . كما أن نار نمرود المشتعلة لم يترتب عليها أي أثر إحراق . . وعلى العكس من ذلك خرج منها نبي الله ابراهيم سالما يشعر بالبرودة .

---

(٢٨) مضمون بيت من الشعر الفارسي .

﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون** ﴾ يس ٨٣ .

كل ذرات الارض والسماء هي جنود الحق تعالى لدى الامتحان .

رأيت ماذا فعل الماء يوم الطوفان وماذا فعل الريح بقوم عاد ، وذلك الذي طغى على فرعون هو البحر الغاضب والذي خسف بقارون هو هذه الارض .

وما صنعته الابابيل بالفيل وتلك البعوضة التي أكلت رأس نمرود .

وذلك الحجر الذي رماه داود بيده فصار ثلاثمائة قطعة وهزم جيشاً

وقد أمطر أعداء لوط حجارة حتى غرقوا في الماء الاسود[٢٩] .

لا اختيار للبشر في الأمور التكوينية :

يجب أن يكون واضحا أن الانسان في أموره الارادية والاختيارية ليس مستقلاً « ولاتمام العلة » بل ذلك متوقف على ارادة الله واذنه توضيح ذلك : إن من الواضح عدم اختيار الانسان في أموره التكوينية كالجهاز التنفسي والجهاز الهضمي وما شابه . . وكذلك في الأمور التكوينية العارضة عليه كالمرض والسلامة ، والعزة والذلة والبلاء والعافية ، والعجز والقدرة ، والشباب والهرم وغير ذلك . . أما الامور المرتبطة بارادة الانسان واختياره . . أي اذا أراد تكون . . واذا اراد لا تكون كالتلفظ باللسان والرؤية بالعين والسماع بالاذن والاعطاء أو الأخذ باليد وسائر الأعمال . . المشي على القدم ذهاباً واياباً وأمثال ذلك . . كله متوقف على استمرار القدرة التي أعطاها الله له . . فهو يستطيع أن يتكلم ما دامت قدرة الله معه . . فاذا سلبت منه لن يستطيع تحريك لسانه أبدا وكذلك جميع أموره الاختيارية . . وبالاضافة الى ذلك فإن نفس ارادته ومشيئته متعلقتان بارادة الله ومشيئته كما يقول تعالى : ﴿ **وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ التكوير ٢٩ .

---

(٢٩) مضامين أبيات فارسية .

العزم متوقف على ارادة الله :

من هنا وجب على كل مسلم اذا أراد أن يعقد عزمه على فعل أن يعلق هذا العزم على مشيئة الله وارادته ويقول : « ان شاء الله » وفي القرآن المجيد ذكر تعالى بهذا صراحة :

﴿ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا ، الا أن يشاء الله ﴾ الكهف ٢٣-٢٤ .

والخلاصة ما لم تتعلق ارادة الله بشيء فلن تتحقق ارادة البشر لذلك الشيء .

عرفت الله بفسخ العزائم :

الجملة المشهورة من نهج البلاغة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهي : « عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم وكشف الضر والبلية لمن أخلص النية » .

أي أن من جملة الأدلة لمعرفة الله فسخ العزائم فكثيرا ما يتفق أن الشخص يعقد العزم على فعل شيء أو تركه وفجأة ينصرف عنه ولأن فسخ العزيمة هذا لا بد له من سبب حتما يعلم أن هناك قدرة فوق قدرة البشر محيطة به بحيث أن عزائم البشر تابعة لارادتها . . والبشر خاضع لها من جميع الجهات . ومن جملة الأدلة أيضا أنه كثيرا ما تسد الأبواب بوجه الانسان في عمل ما ويقع في ضيق شديد ثم يلجأ الى الله سبحانه ويتوسل به باخلاص نية فيسهل الله عليه ويرفع عنه ذلك البلاء ويصلح أمره .

نجاة الحسن المثنى ودعاء الفرج :

كنموذج نذكر شاهداً من التاريخ : كتب الوليد بن عبد الملك بن مروان الى عامله على المدينة صالح بن عبدالله المري : أن أخرج الحسن بن الامام

الحسن عليه السلام الى المسجد ـ وكان في سجنه ـ واجلده خمسمائة سوط فأحضر صالح هذا العظيم الى المسجد واجتمع الناس فصعد المنبر ليتلو كتاب الوليد ثم ينفذ الحكم .

وفي الأثناء يدخل الامام السجاد عليه السلام المسجد فينفرج الناس حتى يصل الى الحسن المثنى ويقول له : يا ابن عم ادع الله بدعاء الفرج فسأله عنه قال قل : لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب الأرضين السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين . ثم رجع الامام السجاد فأخذ الحسن المثنى يكرر هذا الدعاء حتى انتهى صالح من قراءة الكتاب ونزل عن المنبر لينفذ الحكم . . فما كان منه الا أن قال فجأة : في رأيي أن الحسن مظلوم . . لذا لا بد من التريث في اجراء حكم الوليد حتى أراجعه في أمره ثانيا . . وبعد أن كتب الى الوليد كتب اليه أن أطلق سراحه .

الحيلولة بين الشخص وقلبه :

ومثل هذه القصة كثير . . بل هو مما لا يمكن احصاؤه . . وكل انسان يرى فسخ العزائم آلاف المرات في عمره ، وعليه ينبغي أن يعلم يقينا أن قلبه وقلوب البشر جميعا تحت تصرف الله سبحانه يسخرها ويربيها كما يقول تعالى : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ الأنفال ٢٤ .

ومن الواضح أن فسخ العزائم هو من موارد الحيلولة بين المرء وقلبه .

الكل محتاج لله في جميع الأمور :

عندما يفكر الانسان العاقل في أمر وجوده هو ووجود الآخرين يعلم يقينا أن جميع شؤون وجوده من تنفسه وحتى ارادته كل ذلك مرتبط بالله وهو لا يملك

لنفسه أي شأن وأي استقلال كما يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** ﴾ فاطر ١٥ .

أي أن الإنسان من حيث الذات والصفات والأفعال في كل اللحظات في الدنيا والآخرة مرتبط بالله ومحتاج اليه .

من أدرك لا يغتر :

من اتضح له هذا . . يعلم جيدا أن الايمان الذي يمتلك هو نور أضاءه الله في قلبه وإذا صدر منه فعل خير يعلم أن التأييد والتوفيق الالهي كان حليفه ، واذا تحلى بطبع حسن أو امتلك ملكة فاضلة اعتبر ذلك تزكية الهية وعطاء منه سبحانه وكذلك سائر النعم . . وبناء على هذا لا يغتر ولا يتكبر بل يخاف أن تسلب منه هذه النعمة اذا كفر بها وكذلك اذا وجدت فيه طباع سيئة كالكفر والشرك والنفاق أو صدر منه ذنب وعمل سيء أو سلبت منه نعمة يعلم أن ذلك نتيجة خذلان الله وايكاله الى نفسه لأنه لم يكن أهلاً للعطاء فلم يعطه الله . . وهنا ينبغي أن لا ييأس بل يجب أن يطرق باب رحمة الله ويظهر حاجته ويعلم أنه اذا ألح ولم يتراجع فلن يحرمه الله سبحانه .

وعليه يجب أن يعلم :

الشيء المهم هو أن يدرك الانسان مسكنته واحتياجه في جميع الأمور التكوينية والاختيارية ، ويعرف في نفسه المملوكية والمربوبية . . ويعرف الله سبحانه بالمالكية والقاهرية .

هل يستطيع الانسان يا ترى أن ينير قلبه بنور الايمان في حين أن النور والخير هما فقط في الخزائن الالهية[٣٠] وهل يستطيع أن يطهر نفسه من أنواع

---

(٣٠) من أين لي الخير يا رب ولا يوجد الا من عندك. (دعاء أبي حمزة الثمالي).

الآثام والأدران في حين أن ذلك بيد الله وحده ﴿ **بل الله يزكى من يشاء** ﴾ النساء ٤٩ .

هل يستطيع أن يمنع الخواطر السيئة ، من أن تخطر على قلبه أو هل يستطيع أن يبعد عن نفسه العزم السيء؟ ومن غير الله يستطيع أن يحول بينه وبين قلبه .

فارحمنا . . على مسكنتنا :

والآن أيها القارىء العزيز اذا كنت تحمل هم الدين ، وتخاف أن يدركك الموت وأنت لم تتطهر بعد من شعب الشرك وخيوط النفاق الخفية والتي هي أخفى من دبيب النمل على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء . . فيجب عليك أن تتأمل كثيراً وتفكر فيما تقدم في هذا البحث لتعرف ميزان التوحيد وتواظب على قراءة الأدعية التي وصلتنا عن أهل البيت عليهم السلام المتضمنة للمعارف الالهية وآداب العبودية .

مُدّ يد الحاجة وتضرع بين يدي الغني المطلق واطلب منه النجاة من الأمراض القلبية من الشرك والنفاق وغيرها . . وبخاصة أدعية الصحيفة السجادية التي هي زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم(٣١) .

كلنا مساكين منقطعون فارحمنا اللهم على مسكنتنا(٣٢) .

دعاء الجوشن الكبير ودعاء عرفة :

ومن الأدعية التي تعتبر المواظبة عليها نافعة في التوحيد بشرط التدبر في

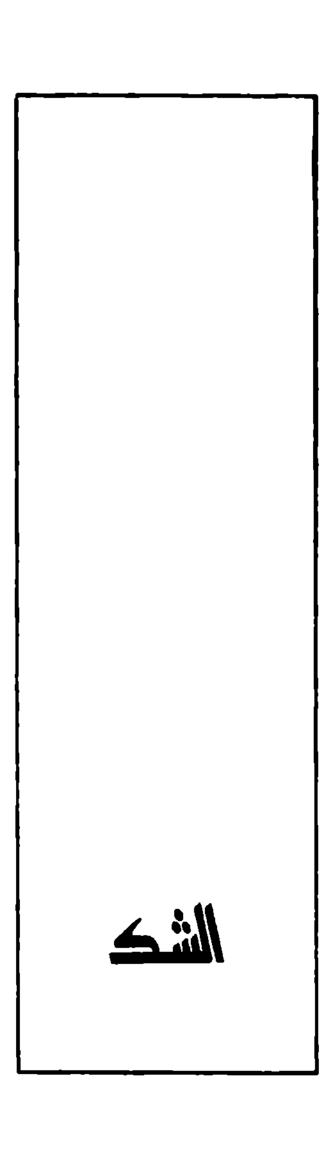
---

(٣١) سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت إجابتهم وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم (الدعاء العاشر من الصحيفة السجادية) .

(٣٢) همه بيچاره ايم ومانده برجاى تو بر بيچارگى ما ببخشاى

معانيها دعاء الجوشن الكبير ودعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام المنصب كله على معاني التوحيد في الأفعال والشؤون الالهية وآداب العبودية . . وحيث أن ذكر فقرات من الدعاءين توجب الاطالة . . فليرجع اليهما القارىء العزيز .

وهنا نختم البحث باسم سيد الشهداء عليه السلام الذي هو مظهر الرحمة الالهية الواسعة آملين ببركته أن يغسلنا الله بماء رحمته ويتفضل علينا بتطهيرنا من أنواع الأدران المعنوية .


الشك

ما هو الشك :

الشك يعني تساوى احتمال وجود شيء وعدمه . . أو احتمال صحة أمر وخطأه واذا تصورنا احتمال الوجود والعدم ككفتي الميزان فلهما ثلاث حالات : اما أن تكون الكفتان متساويتين تماما ، واما احداهما متدنية قليلا والاخرى ترتفع عليها قليلا أو احداهما متدنية تماما والاخرى مرتفعة عليها تماما .

وكلما انصب الاهتمام على احتمال شيء وعدمه أو صحة أمر وخطأه . . فهذا الاحتمال على ثلاث حالات : اما أن كلا الاحتمالين متساويان وهذا يسمى الشك أو الترديد ، أو أن أحد الاحتمالين أكبر فهنا يسمى هذا الاحتمال « الراجح » والمظنون ويقابله « المرجوح » أو الموهوم .

والصورة الثالثة أن يكون أحد الاحتمالين ستعينا تماما بحيث لا يكون وجود لاحتمال مقابله ، مثلا : تكون صحة أمر ما مسلمة تماما ومتيقنة بحث أنه لا يحتمل أبدا عدم الصحة . . فهذه الحالة تسمى باليقين .

فالشك اذن حالة الحيرة والتردد وتوزع القلب والضياع .

الشك علامة مرض القلب :

علامة سلامة قلب الانسان أن يكون عالما كل العلم ومطمئنا بثبوت الحق وصحته وعدم الباطل وخطأه . . كما أن علامة مرض القلب التردد والحيرة في حقانية الحق وبطلان الباطل .

ان القلب الخالي من نور العلم ومعرفة الحق والايمان والاطمئنان به هو قلب خارج من نطاق عالم الانسانية ، محروم من سعادة الحياة الطيبة . . يتخبط في عالم الحيوانية المتدنية .

ومثل هذا المريض كمثل أعمى يشك فيما حوله ويحار فيه لأنه لا يراه . ان من يشك فيما تشهد فطرته ووجدانه والبرهان وعقله على صحته . . هو حتما أعمى القلب محروم من نعمة البصيرة . . وأهم ما يجب عليه بحكم الشرع والعقل أن يعمل على علاج مرض شكه .

خطورة مرض الشك :

يقول تعالى : ﴿ **وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ التوبة ١٢٥ .

أي الذين في قلوبهم مرض تزيدهم آيات الله رجساً .

أما الذين تكون قلوبهم سليمة فان هذهِ الآيات الالهية تزيد نور معرفتهم وبصيرتهم كالعطر يبعث في الانسان السليم النشاط والفرح ويقوى الشم والادراك عنده . . بينما الشخص المبتلى بالزكام يستاء من هذا العطر ويزداد زكامه .

« المطر الذي لا شك في رقته ولطافته ينبت في الحديقة الزهر . . وفي

الأرض المالحة الخس[1] وعن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية : ﴿ **رجسا الى رجسهم** ﴾ أنه قال شكا الى شكهم[2] .

ليس في القلب السليم .. الا الله :

عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ **الا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ ، فقال القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه قال وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط[3] .

القلق في الدين خسارة في الدارين :

﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ أي بعض المسلمين ليس ايمانهم بالله والرسول والقيامة ايماناً قلبياً واعتقاداً يقينياً وتصديقاً علمياً ﴿ **فان أصابه خير** ﴾ من مال ، وسلامة في الحرب ، وسائر الامنيات المادية ﴿ **اطمأن به** ﴾ ثبت على الدين ﴿ **وان أصابته فتنة** ﴾ كالفقر والمرض ﴿ **انقلب على وجهه** ﴾ أي يترك ايمانه ويرجع الى حالته الأولى ﴿**خسر الدنيا والآخرة**﴾ لأنه في الدنيا ساقط ومبتلى وفي الآخرة يواجه العذاب ﴿ **ذلك هو الخسران المبين** ﴾ الحج ١١ .

قال في تفسير المنهج : ومن الناس من يعبد الله ويوحده على حرف التوحيد وحافته لا في وسطه أي أنه لاثبات له على الإسلام بل هو شاك متردد . .وبسبب عدم امتلاكه العلم بالتوحيد فإنه معرض للإنحراف لدى مواجهة أقل شبهة . . إنه على الحافة ولم يتقدم إلى الوسط بقلب قوي .

---

(١) بيت شعر فارسي لسعدي .

(٢) تفسير العياشي .

(٣) الكافي باب الاخلاص .

إنه في تردده وشكه وعدم سكون نفسه واطمئنانها كجندي يقف على طرف الجيش منتظراً هل سينتصر الجيش ليدخل إلى قلبه ويشارك في الغنائم . . أم أنه سينهزم ليختار هو الفرار على القرار .

وفي تفسير أبي الفتوح : نزلت هذه الآية في جماعة من الأعراب قدموا إلى المدينة وآمنوا إيمانا مجازياً . . وظاهرياً لا إيماناً بالقلب واعتقاداً قلبياً علمياً ، وكانوا إذا لم تصبهم مصيبة أو مرض أو آفة وزاد مالهم ووضعت نساؤهم حملها بخير وكذلك خيلهم . . قالوا : محمد هذا رجل مبارك ودينه هذا دين حق واعتناقنا لهذا الدين صواب . . وإذا حدث خلاف ذلك فمرضوا وماتت مواشيهم قالوا : محمد هذا رجل غير مبارك ولا أصل لدينه ونحن منذ دخلنا هذا الدين لم نر إلا الضرر[٤] .

لا تشكوا فتكفروا:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته : لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا .

يقول المجلسي (ره) لعل المقصود بجملة « لا ترتابوا » الابتعاد عن الشبهات التي تؤدي بالانسان الى الشك أو أن المقصود عدم الرضا بقضاء الله الذي هو أيضاً سبب للشك أو التردد الذي هو مقدمة الشك .

الشاك كافر واقعي :

يقول محمد بن مسلم كنت جالسا عند الامام الصادق عن يساره وزرارة عن يمينه . . ودخل أبو بصير . . ثم قال « يا أبا عبدالله (ع) ما تقول فيمن شك في الله فقال كافر يا أبا محمد قال فشك في رسول الله (ص) فقال كافر ثم التفت

(٤) نقل النصان بتصرف.

الى زرارة فقال : انما يكفر اذا جحد »[٥] .

في هذين الحديثين يعتبر الامام عليه السلام الشك بالله والرسول كفراً . . أي من مات وهو شاك فقد مات كافراً . . وأما ما جاء في آخر رواية محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام من قوله : انما يكفر إذا جحد فالمراد بـه أن الشخص الشاك اذا لم يظهر شكه وأقر بالشهادتين ظاهرا فهو في الظاهر مسلم ـ رغم أنه واقعا كافر ـ وعلى المسلمين أن يعاملوه معالمة المسلم . . فاذا أظهر شكه فهو عندها في الظاهر والواقع كافر كما أن صريح الرواية عن الامام الصادق عليه السلام يدل على ذلك وهي قوله (ع) :

من شك في الله ورسوله فهو كافر[٦] .

الشاك في النار . . وأعماله الحسنة هباء :

يقول الصادق عليه السلام : ان الشك والمعصية في النار[٧] .

و . . من شك في الله بعد مولده على الفطرة لم يفيء الى خير الله أبدا[٨] .

و . . من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله عمله[٩] .

ويقول الباقر عليه السلام : لا ينفع مع الشك والجحود عمل[١٠] .

---

(٥) أصول الكافي، باب الشك. أقول: لعل مراد الإمام عليه السلام الإلفات إلى أن الكفار هم عادة شكاك لأنه لا دليل لأحد منهم على كفره، بل هم يستبعدون «هيهات هيهات لما توعدون» بالإضافة إلى إرادته عليه السلام التفريق بين إظهار الشك (الجحود) وعدم إظهاره كما سيصرح المؤلف ـ المترجم

(٦) بحار الأنوار، ج١٥ : باب الكفر.

(٧/٨/٩/ ١٠) أصول الكافي ـ باب الشك.

وعنه (ع) قال كان رسول الله يتعوذ في كل يوم من ست من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد[١١] .

الشاك والهلاك الأبدي :

من المسلم به أن الانسان اذا مات على الشك والظن أي اذا خرج من الدنيا بلا ايمان ولم يأخذ معه علمه بالله فهو هالك أبدا . . ولا نصيب له في النجاة نهائياً . . واذا كانت فيه طباع سيئة وأخلاق رذيلة وكانت له أفعال سيئة فلا خلاص له من عذابها . . كما أن الانسان اذا غادر الدنيا عالما بالله مؤمناً به . . فسوف لن يكون الهلاك الأبدي نصيبه حتما . . ولا يبقى في النار الا غير المؤمنين أما المؤمنون الذين يرتكبون أعمالاً سيئة . . فهم اما أن يوفقوا للتوبة واصلاح أنفسهم في الدنيا . . أو تنقذهم شفاعة قادة الدين أو أنه بعد أن يتعذب في النار بمقدار ما يطهر من ذنوبه والله أعلم بذلك ، ثم ينجو من النار ويدخل الجنة ويلتحق بالمؤمنين .

الخلود في النار لا ينافي كرم الله :

فان سأل سائل : لماذا يُحرم من يموت على غير الايمان من الجنة ونعمها اللامتناهية مع أن الله الكريم والرحيم لو أدخل جميع العباد الجنة فلا ينقص من ملكه شيء ولا يخسر شيئاً وليس ذلك خارجا عن قدرته سبحانه . . كما أنه اذا أدخل جميع العباد النار فلا يزيد ذلك في ملكه شيئاً .

والجواب : حرمان غير المؤمنين من نعم الآخرة سببه أنهم لا يمتلكون قوة ادراك تلك النعم . . وبديهي ان استفادة الانسان من أي شيء تتوقف على ادراكه لذلك الشيء .

---

(١١) أصول الكافي ـ باب الشك.

مثلاً : اذا ألبس حمار لباساً فاخراً وأدخل الى قصر مزيّن بأنواع الزينة وقدمت له مائدة عليها ما لذ وطاب من أنواع المأكولات . . فهل يا ترى يستفيد الحمار من هذا شيئا وهل يتنعم بشيء من هذه النعم وهل هذا التصرف صحيح أصلاً؟ الجواب قطعاً بالنفي بل ان مقتضى الحكمة الحقيقية ووضع كل شيء في محله أن تكون الارواح الرقيقة ، والأبدان المناسبة لأرواحها في الجنة . . والنفوس « الغليظة » والأقسى من الصخر (نفوس الكافرين وغير المؤمنين) مع أبدانها المناسبة لباطنهم في جهنم .

طريق الجنة وارادة الآخرة :

وأيضا ان للجنة طريقاً فمن سلك هذا الطريق وصلها . . كما أن للنار طريقاً من سلكه ومشى عليه فهل يمكن أن لا يصلها . . وهل يمكن أن نقول ان عدم وصوله الجنة حرمان له منها؟ لو أن شخصا زرع بذر الحنظل فأثمر له ثمراً مراً . . هل يصح أن يقال : حرم من الثمر الحلو؟

ونقول أيضاً : وصول الانسان الى شيء وتحقيقه لهدف ما متوقف على ارادته وطلبه ذلك الشيء . . الشخص الذي لم يكن مؤمنا بالله ، لم يطلب القرب منه ولم يرده حتى يصل اليه وينعم به . . ولم يكن يعتقد بالجنة ولا يصدق بها حتى يطلبها ويصل في النتيجة اليها . .

يقول تعالى في القرآن المجيد : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** ﴾ الاسراء ١٩ .

عذاب الآخرة ليس انتقاماً :

مما تقدم يعلم أن عذاب المجرمين على أعمالهم القبيحة ليس من باب التشفي والانتقام بل هو من باب ترتب المسببات على الاسباب مثلا أثر العدل

والانصاف النور والرحمة الالهية في العالم الآخر كما أن أثـر الظلم العـذاب والألم .

من لا ايمان لهم . . هل هم معذورون؟ :

وشبهة أخرى تقول : لا مبرر لعذاب غير المؤمنين على ذنوبهم . . لأنهم لم يعرفوا الله حتى يجتنبوا عصيانه . . مثلاً : اذا تنكر أحد السلاطين وبقي فترة بين الناس ورأى منهم أنواع سوء الأدب وعدم الاحترام . . فلا يحق له فيما بعد أن يعاقبهم ولو فعل لكان ذلك منافياً للعدل . . وسيمكنهم القول : انا معذورون لأنا لم نعرف السلطان .

الله لا يخفى على عاقل :

الجواب أن الجاهل الغافل عن الله ليس معذورا أبدا والتشبيه بالسلطان المتنكر الذي لم يعرفه الناس خطأ لأن الله سبحانه ليس خافياً على أي عاقل واذا لم يعرفه عاقل فلأنه لم يرد أن يعرفه نعم اذا كان محروما من نعمة العقل فهو معذور والا فان العاقل الذي يكتفي في اثبات شيء بدليل عقلي قطعي ويطمئن اليه كيف يشك في الله مع أن نجوم السماء وحبات المطر وأوراق الشجر وكل ذي روح وكل متحرك في البر والبحر وكل ما تلبس بثوب الوجود . . كل ذلك شاهد على كمال علمه وقدرته .

كل نبت من الارض يقول وحده لا شريك له .

كل ورقة من ورق الشجر الاخضر في نظر الفطن دفتر في معرفة الله[١٢] .

يمكن التشكيك في كل شيء الا في الله سبحانه . . ففيه لا مجال لأي شك :

---

(١٢) مضمون بيتين من الشعر الفارسي .

﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ ابراهيم ١٠ .

وهؤلاء المشككون؟ :

قد تسأل : كيف لا مجال للشك في الله مع أننا نرى أكثر بني البشر يشكون في الله بل أن أصحاب اليقين والاطمئنان في غاية القلة ، وكذلك حول القيامة والقرآن المجيد يقول تعالى : **﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾** الحج٧ **﴿ وذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾** البقرة ٢ أي لا مجال للشك فيهما أبدا مع أن كثيرا من غير المؤمنين يشكون في القيامة وغير المسلمين كلهم يشكون في القرآن .

الأعمى لا يرى الشمس :

الجواب ان الله والقرآن والقيامة كل ذلك عين الحق والحقيقة ، بحيث أن أصحاب الفطرة السليمة والعقل الصريح لا يسوغون الشك فيها . . تماما كمن له عين يرى فيها الشمس فلا يسوغ الشك فيها . . أما الذين يشكون في هذه الحقائق الثلاث فهم مبتلون بمرض نفسي . . أي أنهم فقدوا فطرتهم الأولى وأعمى غبش الشهوات والهوى والنزوات عيون قلوبهم بحيث لا يمكنهم بعد رؤية الحقيقة كالاعمى أو السجين في سجن مظلم الذي يشك في طلوع الشمس . . نعم ان ما يملأ كيان هؤلاء هو الشك والاضطراب لا الحق . .

اننا اذا تأملنا في أحوال أهل الشرك لوجدنا أنَّ شكهم ناتج عن أنهم لا يريدون أن يعرفوا الحق . . لأنهم لو كانوا حقا يريدون ذلك وتأملوا بعين الإعتبار في أجزاء عالم الوجود ونظروا في دلائل الحكمة والقدرة فيه . . لما أقاموا على شكهم أبدا . .

أهل الشك مثلهم كمثل قوم وقع في يدهم كتاب قيّم كتبت مضامينه بخط جميل وطبع طباعة أنيقة . . فانشغل جماعة منهم بتأمل الخط وجماله . .

وآخرون بالورق وطباعته في حين ينشغل آخرون بقراءة مضامينه والتأمل فيها .

تأملوا جيدا في كتاب الوجود :

أهل اليقين مثلهم كمثل جماعة يدركون بقراءة هذا الكتاب عظمة مقام مؤلفه العلمي . . ومدى قدرته على سبك المعاني العميقة في قوالب لفظية جميلة . .

من كانت روحه متجلية فكل العوالم لديه كتاب الحق تعالى .

العرض هو الاعراب والجوهر كالحروف والمراتب كآيات الوقوف على الحق .

وكل عالم كسورة خاصة فهذه الحمد وتلك الاخلاص.

معرفة الله بدلاً من معرفة الطبيعة :

في عصرنا هذا يبذل الانسان جهوداً مضنية ويصرف من عمره وماله على التعرف على أجزاء عالم الوجود . . أما خالق هذا العالم فلا يبذلون أي جهد للتعرف عليه . . بل إنه سبحانه لا يخطر ببالهم . .

انا نجدهم يرصدون موازنات طائلة للوصول الى القمر ودراسة طرق استخدامه لأغراض مختلفة ويتحملون مشقات جسام ، ويخسرون الكثير الكثير ولكنهم ليسوا على استعداد لصرف شيء من عمرهم للتعرف على خالق هذه الكرة (القمر) ومحركها بهذا النظام المحير . .

ولهذا السبب فان العلوم العصرية عاجزة عن اسعاد المجتمع البشري وتأمين راحته الحقيقية . . لأن حدَّ العلم البشري هو هذه المخلوقات ولا يتعداها الى الخالق .

﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم ﴾ النجم ٢٩ ـ ٣٠.

تقدم علم التشريح .. والغفلة عن الصانع :

ومثال آخر : في علم الطب أحرز الانسان تقدماً مهماً في مجال تشريح البدن وتحديد أنواع الأمراض ومعالجتها .. ولكنه في غفلة تامة عن صانع هذا الجهاز العجيب وخالقه ، إن علم الانسان يقف عند الله .. أما عنه سبحانه فلا يملك الانسان سوى الجهل والشك والغفلة أي أن الانسان لا يعرف شيئاً أبداً عن خالق العالم وأسمائه وصفاته .. وكذلك الملائكة الذين هم جنود الرحمان وهم في عالم الغيب وملكوت هذا العالم .. وكذلك بالنسبة للأنبياء والكتب السماوية والحياة بعد الموت ومحطة الانسان الأبدية التي يلقى فيها جزاء أعماله ومعتقده .

﴿بل ادراك عملهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ النمل ٦٦ .

أي أنه لا أمل بعد في أن يخرجوا من الشك ويحيطوا بتلك الحياة ويبصروها .

لماذا لا نعمل على معرفة الله :

لماذا يقتصر علم الانسان على ما دون الله .. وأما بالنسبة له سبحانه فلا علم له؟ هل الانسان عاجز واقعا عن العلم بالله .. أم أنه لا يعمل على معرفة الله كما يعمل على معرفة مخلوقاته؟ ولو كان الانسان يستطيع العلم بالله .. فلماذا لا يعمل على تحصيل هذا العلم؟ .

هذه أسئلة يمكن الاجابة عليها بصراحة وما أفهمه هو أنه لا يمكن القول

أبدا إن الانسان عاجز عن معرفة الله ، مع العلم أن أصل خلقه وتزويده بنور العقل انما هو لتحصيل العلم الحقيقي والمعرفة بـالله سبحانـه والتنعم بمقام التقرب منه .

أضف الى ذلك أن العقل يحكم والقرآن الكريم يصرح بأن الله سبحانه خلق كل شيء للانسان وخلق الانسان للمعرفة والـوصول الى مقـام العبوديـة للخالق .

وضاعة الهمة والقناعة بالنفع المادي :

أما لماذا لا يعمل الانسان على معرفة الله ولا يتحمل صعوبات في هذا الطريق فان السبب الوحيد هو الهمة الوضيعة والاقتناع باللذائذ المادية أي أنه يبذل الجهد للوصول الى المنافع المادية وما يتعلق بها من ثروة وجاه وعلوم مادية « علم كل شيء الا الله وما يتعلق به » ولأنه لا يرى في معرفة الله والعبودية له أي نفع مادي وأية لذة حيوانية فهو لا يعمل لأجلها ولا يبحث عنها ويبقى مقيماً على جهله .

بل ان معرفة الله بالاضافة الى انها ليست فيها لذة مادية . . فهي تمنع عن التحلل والعجب وحب الذات ، وتُطوق الانسان بطوق العبودية لله ليصبح مطيعاً لأمره تماما .

وهذا المقام لا يرغب به الا أصحاب الهمم العالية والمَميزون من بني البشر والنخبة منهم .

﴿ بل يريد الانسان ليفجر أمامه ﴾ القيامة ٥ .

نموذج تاريخي للهمم العالية :

وقع اثنا عشر شخصا من جنود الاسلام أسرى بيد الروم وحملهم الروم

الى الامبراطور في العاصمة وكان الامبراطور يفكر في المسلمين وكيف أنهم استطاعوا رغم قلة عددهم احراز هذه الانتصارات فقال لهؤلاء الأسرى المسلمين : دربوا جنودي ليصبحوا مثلكم ولكم مقابل ذلك مبالغ طائلة فقالوا له ان ديننا لا يجيز لنا أن نساعدكم ثم قرؤوا هذه الآية : ﴿ **ربِّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين** ﴾ القصص ١٧ .

فأمر الامبراطور أن يأخذوهم الى الكنيسة ويعرضوا عليهم الفتيات الجميلات ويعدوهن بهن إذا أعجبنهن . . فلما دخلوا الكنيسة ووقعت أنظارهم على الفتيات غضوا أبصارهم وقالوا ليس هذا معبد انما هو مرقص . . فأخبر الامبراطور بذلك فقال قولوا لهم ان لم تقبلوا عرض الملك فليس أمامكم الا القتل . . وعندما قالوا لهم ذلك استبشر الجميع وفرحوا . . وقالوا ان نبينا أخبرنا من يموت على فراشه قد يدخل الجنة وقد لا يدخلها . . اما الشهيد في سبيل الله فهو الى الجنة حتماً .

المال والجاه والشهوة والتهديد :

فليتأمل القارىء العزيز جيداً في شهامة هؤلاء وفتوتهم واستقامتهم على صراط التوحيد والعبودية . . وكيف أن المال والمقام والرئاسة والغريزة الجنسية لم تؤثر عليهم رغم أن كل واحد من هذه الثلاثة كاف وحده في اخضاع الاشخاص الذين تكون همتهم وضيعة وارادتهم ضعيفة وذليلة .

فليتأمل القارىء كيف لم تستطع كل هذه الاغراءات أن تثني هؤلاء الرجال عن طريق العبودية للحق تعالى وكيف أنهم فضلوا الموت على خيانة الاسلام والمسلمين لأن ذلك في الحقيقة خيانة لله سبحانه ومن هنا يعلم سبب قلة أصحاب الحق ومعرفة الله تعالى .

اللذة الروحية أسمى :

يجب أن يكون واضحا أنه وان لم توجد لذة حيوانية ومادية في معرفة الله والعبودية له بل أنه يجب على سالك هذا الطريق أيضا اجتناب اللذائذ غير المشروعة . . الا أن اللذائذ الروحية والنعم المعنوية التي يلتذ وينعم بها المؤمن هي أفضل وأحسن وأكثر وأكمل بحيث أن من يتذوق هذه اللذائذ يعرض في سبيلها عن أفضل اللذائذ المادية .

اذا اعتبرت اللذة ترك اللذة . . . فلن تسمي لذة النفس لذة[١٣] .

كما أنه اذا واجه أنواع الحرمان والضيق . . فان لذة المعرفة والعبودية تعوضه عن ذلك كله .

ولأن الهدف في هذا الكتاب الفائدة العامة . . فبدلا من ذكر البراهين العقلية ، على أهمية اللذة الروحية وتقدمها على اللذة المادية تذكر هنا شواهد تاريخية على ذلك . .

يصيبه السهم ولا يقطع الصلاة :

في احدى الغزوات التي شارك فيها رسول الله (ص) كلف بالحراسة الليلية عمار بن ياسر وعباد بن بشر وقد اتفقا أن تكون الحراسة مناصفة من أول الليل الى منتصفه لعباد والنصف الثاني لعمار . . فنام عمار وفيما كان عباد يصلي توجه يهودي نحو معسكر الاسلام ليغتال النبي (ص) ومن بعيد رأى في المعسكر شيئاً . . ولشدة الظلام لم يستطع أن يميز هل ذلك انسان أم حيوان أم شيء آخر فرماه بسهم فاستقر السهم في جسد عباد فلم يقطع صلاته . . ثم رماه بسهم آخر وثالث واستقرا أيضا في جسده ولم يقطع صلاته أيضا فعجل في

---

(١٣) مضمون بيت شعر فارسي .

صلاته وأيقظ عماراً فلما نظر اليه عمار ورأى الدم يسيل منه عاتبه لم لم يوقظه مباشرة عندما أصابه أول سهم فقال يا عمار كنت أقرأ سورة الكهف ولم أحب أن أقطعها ولولا خوفي أن يقتلني ويصل الى رسول الله وأكون قصرت في واجبي لما تركت قراءة السورة ولما عجلت في صلاتي ولو كان في ذلك حياتي . . ثم مضيا معا وأبعدا العدو عن جند الاسلام .

نظرة الى أبطال كربلاء

تأمل أيها القارىء العزيز في اللذة الروحية للصلاة وكيف أن هذا المجاهد تغلب على جراح السهام . . بل كان مستعدا لبذل روحه ثم لا يقطع الصلاة .

واذا أردت أكثر . . وأردت أن تعلم مدى قوة اللذة الروحية وشدتها فتأمل في أحوال أصحاب سيد الشهداء عليه السلام . . التي هي حقا محيرة . . فقد أعرضوا عن المال والجاه والعيال والأولاد بملء اختيارهم . . واستقبلوا أنواع البلاء والصعوبات ببهجة وسرور باذلين في سبيلها مهجهم . .

ألم تسمع بمزاح برير ليلة عاشوراء حيث قال : « والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلًا ، ولكني والله لمستبشر بما نحن لاقون . . . »[14] .

وهل تدبرت في حالات عابس يوم عاشوراء حيث رمى بدرعه وخوذته ورمى بنفسه في بحر جيش العدو حاسرا غير دارع . .

وبالرغم من أن الامام الحسين عليه السلام أذن لهم ، عدة مرات بالذهاب حيث يريدون ولكنهم لم يتركوه . . وكان بعضهم كالغلام الأسود يترجى الامام (ع) أن يأذن له بالمشاركة في الحرب وكان لسان حالهم جميعا .

---

(١٤) إبصار العين في أنصار الحسين عليه وعليهم السلام/ للسماوي/ ٧٠.

تــركت الخـلق طــرا في هــواكــا ويـتـمـت الـعـيــال لـكــي أراكــا
فــلو قــطعـتـنـي بــالــحـب اربــا لمــا مــال الفؤاد الى ســواكــا[١٥]

العلم المادي يؤيد عبادة الله :

مما تقدم يعلم أن على الانسان أن لا يقصر في الوصول الى منزلة سامية في معرفة الله بل يكون الى جانب تحصيله للعلوم المادية ساعيا للحصول على المعرفة الالهية . . فهذان العلمان لا أنهما ليسا متنافيين وحسب بل أن العلم المادي يؤيد « معرفة الله » كما سيأتي في مبحث علاج الشك .

يجب أن يكون واضحا أن الهدف من ايجاد السماوات والأرض وارسال الانبياء والكتب السماوية . . وصول البشر الى مقام معـرفة الله والعبـودية لـه سبحانه . . وهنا اشارة الى آيتين من القرآن المجيد :

المعرفة هدف الخلقة :

﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمـر بينهن لتعلمـوا أن الله على كل شيء قـدير وأن الله قـد أحـاط بكـل شيء علمـا ﴾ الطلاق ١٢ .

أي أن الهدف من خلق السماوات السبع والأرضين السبع وجميع أنواع التدبير الالهي تعريف البشر بقدرة الله وعلمه اللامتناهيين .

---

(١٥) لم يورد المؤلف هذين البيتين وإنما أورد بيتين فارسيين هذا مضمونهما:
ايهـا الملك إذا أوصلني سريـر فضلك إلى العرش . فـإني أظل مملوكـاً لك محتـاجـاً لبـابـك
نزعتُ قلبي من حبك وصرفتُ حبي عنك فعلى من ألقي حبي . . وأين أذهب بقلبي .

خلق الجن والانس للعبادة :

﴿ **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** ﴾ الذاريات ٥٦ .

أي خلقتهم ليصلوا الى مقام العبودية الذي فيه السلطنة الالهية والهدف من الايجاد وصول الإنسان الى مقام العلم والعمل اللذين هما بمثابة جناحين له ، وبهاتين القوتين يحلق في العالم الأعلى ويصل الى المقامات التي ما رأت عين مثلها ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر .

وهكذا تعلم خطورة مرض الشك والجهل ووجوب تحصيل العلم واليقين . . فيجب التذكير بطريق معالجته .

علاج الشك . . والوصول الى اليقين :

الايمان بالله يعني معرفة الحق واتباعه والايمان ليس شيئاً موجوداً خارج الانسان يدخل الى قلبه عن طريق الحواس كالعين والأذن بل هو أمر تكويني وفطري أعطي للانسان حين خلقه كما أعطي الانسان القدرة على زيادته بحيث أنه يستطيع ببركة اتباع الشرع والالتزام بتطبيق التعاليم الالهية أن يصل إلى درجة اليقين . . بل يمكنه أن يصل إلى أعلى درجات اليقين كما سيأتي .

الايمان كالطاقة الكهربائية :

هذه الفطرة والقدرة على معرفة الله في كيان الانسان هي كالتيار الكهربائي في الاجسام كما أن الاستفادة من الطاقة الكهربائية الكامنة في الاجسام تتوقف على الاسباب والوسائل العلمية والتجريبية فكذلك ظهور نور العلم والايمان المستقر في كيان الانسان والمودع فيه يتوقف على أمور اذا سعى الانسان وعمل على تحصيلها يظهر هذا النور ويظل يزداد حتى يصل الى درجة اليقين . . واذا أهمل الانسان تحصيل هذه الامور يتضاءل هذا النور رويدا رويدا حتى ينطفىء نهائياً .

الطهارة من الأدران :

الأمور التي يتوقف عليها ظهور نور الفطرة هي بشكل عام أمران : « التخلية والتحلية » .

« التخلية » أن يطهر القلب ويفرغ من أنواع الأدران والتلوثات من النزوات والأفعال الحيوانية والشيطانية وباختصار أن يطهر قلبه من الغفلة عن الحق التي طغت على فطرته فأصدأت مرآة قلبه وغطتها بالتفصيل الذي سيأتي .

« والتحلية » أن يقوي نور الفطرة بواسطة التفكير والذكر ليحلو القلب بذكر الله ، كما سيأتي .

الايمان فطري :

فأقم وجهك للدين حنيفا « أي أقبل بوجهك على التوحيد والإسلام الذي هو الدين الحق (الحنيف) والتفت اليه » فطرة الله التي فطر الناس عليها « المراد بالفطرة تلك القدرة على معرفة الله وتوحيده والالتزام بلوازم التوحيد وهذه القدرة أودعها الله في كيان الانسان » لا تبديل لخلق الله « أي أن فطرة الله لا تقبل التغيير أو أن المراد أنه لا يصح لك أن تغير فطرة الله . . أي يجب عليك الثبات على التوحيد وطريقة الاسلام » ﴿ **ذلك الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ الروم ٣٠ .

لا تبديل لخلق الله :

توضيح ذلك أن كل مخلوق خلقه الله سواء كان جمادا أو نباتا أو حيوانا وغير ذلك قد منحه سبحانه قدرة التكامل أي الوصول الى الكمال الذي يناسبه وخلق فيه الحركة نحو هذا التكامل بحيث أن التبديل والتغيير في ذلك محال . . حبة القمح مثلا أودع الله فيها قدرته بحيث اذا توفرت الاسباب أي القاؤها في

التراب ووصول الـري اليها فـانها تنشق ويصبـح نصف منها جـذرا يستقر في الأرض والنصف الآخر يخرج من التراب ويصبح نبتة تعطي من القمح أضعاف الحبة الأصلية . . وهذه السُّنة في حبة القمح لن تتغير أبدا . . أي أن حبة القمح لن تنبت عدساً أو شعيراً أبداً . .

والنطفة الحيوانية مثلاً : اذا استقرت في الرحم فانها ستنمو تدريجيا حتى تصبح على صورة الحيوان الذي انفصلت عنه ولن تظهـر على شكل حيـوان آخر .

الاستقامة على طريق الفطرة . . كمال الانسان :

والانسان قد أودع الله فيه القدرة على التكامل . . وتكامل الانسان في تنظيم حياته المادية وتأمين راحتـه في حياتـه الأبديـة والوصـول الى المراتب الروحية . . وهو لا يبلغ هذا الكمال الا اذا استقام على طريق التوحيد والالتزام بدين الله .

ولأن بلوغ الانسان الكمال الذي يناسبه متوقف على اختياره ورغبته في توظيف تلك القدرة المودوعة فيـه واستخدامهـا حتى يصبح من أهـل الايمان والمعرفة متحليا بالاخلاق الفاضلة . . فمن الواضح جـدا أن الاستقامـة على طريق التوحيد تتنافى مع الميول الحيوانية التي يحتاج الإعراض عنها الى همة عالية كما تقدم .

وخلاصة القول ان بلوغ كل موجود الكمال الذي يناسبه هو أمر حتمي عند توفر الأسباب وفي الانسان يعتبر السبب الرئيس ارادته . . وغالبا ما يقنع الانسان بالمستوى الحيواني . . ولا يطلب « الانسانية » ولا يريدها حتى يصل اليها . . والهدف من كل المواعظ والتحذيرات والترغيب بالثواب والتخويف من العقاب هو ايجاد هذه الارادة والطلب في الانسان . . أي لكي يصبح طالباً الوصول الى

مستوى الانسانية غير قانع بمستوى « الحيوانية » .

من هذا العرض يعلم جيدا جواب السؤال : اذا كان الايمان بالله فطرياً فلماذا نجد أكثر الناس غير مؤمنين . . وخلاصة الجواب أن ظهور الفطرة وبروزها في الانسان تتوقف على ارادته .

لو كان حقا يريد لعرف :

وكل انسان توجد فيه هذه الارادة . . أي أنه حقا يريد أن يصبح من أهل المعرفة ، بالله ويستقيم على هذه الارادة فهو حتما سيصل الى ما يريد . .

ما أكثر الاشخاص الذين قضوا شطرا من أعمارهم أسارى الهوى والعجب والأوهام الباطلة التي نسجها لهم الشيطان والنفس فتصوروها أدلة على عدم وجود الله فأنكروا وجود خالق مدبر لهذا الكون العظيم وأنكروا مرتبة الانسانية السامية واعتبروا الانسان حيواناً بلغ حد الكمال أي ألقى عنه القرنين والذنب والصوف أو الوبر الذي كان يكسوه وتطور من المشي على أربع فأصبح يمشي على اثنتين وأصبح على هذه الصورة التي هو عليها وما أكثر الغافلين الذين قبلوا هذه الأوهام التي تنسجم مع التحلل والعبث واتباع الشهوات واعتقدوا بها وبنوا كل تصرفاتهم وممارستهم على أساس المادية والحيوانية بل ما أكثر الناس الذين هم الى الآن على هذا الطريق يعيشون هذه الأوهام ، بينما نجد أن الذين حملوا راية هذا المنهج الفكري الخاطىء عندما عادوا الى رشدهم وفكروا في أنفسهم أيقظهم وجدانهم وشعورهم الباطني وكشف لهم زيف أفكارهم . . ونذكر هنا كنموذج أسماء عدة منهم :

داروين يعترف :

صاحب النظرية المشهورة « أصل الأنواع » أو التطور « شارلز روبرت

داروين » أو الشخص الـذي أَخذ الإلحـاد عنه في القـرون الأخيـرة قسـم من الملاحدة ومؤسس مدرسة الداروينية التي ملأ ضجيجها الآفاق ركع أخيرا أمام ضغط قوة الفطرة والوجدان . . فهو كما ينقل عنه جان كلو ورمونسـا الكاتب الأميركي المعروف اعترف في أواخر أيام حياته أنه تراجع عن نظريته واعترف بالقوة الالهية الازلية والابدية . . وينقل عنه (بخنر) العالم الالماني في كتاب أصل الأنواع أنه اعترف في رسائله الى أصدقائه أن « من المحال على العقل أن ينكر وجود مبدأ مدبر لهذا الكون وهو يرى فيه هذا النظام والتناسق المحيرين » .

التلميذ يتبع أستاذه :

الفيلسوف الألماني الشهيـر « رئينغ » الـذي كان في البـداية من أتبـاع داروين المتعصبين له اضطر أخيـراً للتسليم والخضوع أمـام ضغط الوجـدان والفطرة وألف كتاباً باسم « الدنيا المخلوقة » واعترف فيه بمنتهى الصراحة بأن لهذا العالم خالقاً .

و« رومين » أيضاً :

فيلسـوف آخر انگليـزى باسم « رومين » الـذي كان من دعـاة الماديـة والالحاد . . حملته تلك القوة المودعة فيه على أن يقول أخيراً : كل الاسس العلمية والفلسفية التي اعتمدتها سابقا في مجـال وجود العـالم من مادة غيـر مدركة . . أسس باطلة ووجود العالم من دون صانع متعال مقتـدر حكيم كما يشهد بذلك احساسي الباطني وتصدقه حكم الوجود محال . . وخـالق العالم حق .

و« فارادي » يركع :

ميكائيل فارادي فيلسوف انكليزي وباحث في علوم الطبيعة والفيزياء والكيمياء كان يعتبر العالم موجوداً من التركيبات التصادفية للمواد لا غير ولم يكن يعتقد بالله الحكيم المدبر وأمضى تمام عمره في أبحاث الفيزياء والكيمياء يقول في أحد أيام عام ١٨٦٧ للميلاد وكان على فراش المرض جوابا لصديقه الذي سأله بأية نظرية تفكر . . يقول : أشكر الله أني لا أفكر بأية نظرية . . أنا أسجد أمام عظمة الله وأركع معترفا بالحق . . اني أفكر فقط بالله الذي تشهد بوجوده فطرتي واحساسي وشعوري الباطني وكل أنظمة العلوم . . أنا أعرف ربي وأنا مطمئن أنه سيغفر لي تقصيري وزلاتي لعجزي وانكساري وتوبتي[١٦] .

التوحيد ، الاسلام ، معرفة الله . . كل ذلك فطري :

في أصول الكافي كتاب الايمان والكفر خمسة أحاديث عن الباقر والصادق عليهما السلام يفسران فيها فطرة الله بالتوحيد والاسلام .

وفي توحيد الصدوق يروى عن الامام الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : كل مولود يولد على الفطرة وهي معرفة الله .

مغيث من لا مغيث له :

في تفسير الامام العسكري (ع) أن شخصا سأل الصادق عليه السلام عن طريق معرفة الله فقال له الامام : « يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال : نعم ، قال : فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال : نعم ، قال : فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من

---

(١٦) نقلا عن كتاب بالفارسية «جاهليت واسلام» بتصرف.

ورطتك؟ قال : نعم قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث »[١٧] .

علم معرفة الله في قلب الانسان :

قال المسيح (ع) : يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من يصعد فيأتي به ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به ولا وراء البحر من يعبر يأتي به العلم مجبول في قلوبكم ، تأدبوا بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين يظهر العلم في قلوبكم .

ويقول الصادق عليه السلام : ليس العلم بالتعلم انما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه[١٨] .

والظاهر أن المراد بهذا العلم ليس العلوم الاكتسابية بـل الايمان بـالله ومعرفة أسمائه وصفاته وما يتعلق به سبحانه .

لماذا نهينا عن التفكير في ذات الله :

ما ذكر من أن الايمان بالله ومعرفته فطريان للانسان . . المقصود به اليقين بأن خالق كل شيء واحد ، عالم ، قادر ، أما معرفة الذات الآلهية وحقيقة الله فذلك فوق مقدور البشر بل وجميع المخلوقات . . بل محالٍ أن يعرف المخلوق ذات الخالق . . لأن معنى معرفة الذات الاحاطة بها ومحال أن يحيط المخلوق بخالقه بل الله محيط بكل شيء :

﴿ **ألا انه بكل شيء محيط** ﴾ فصلت ٥٤ .

ولهذا نهى الشرع المقدس عن التفكير في ذات الله ، وأوجب التفكير في

---

(١٧) بحار الأنوار ج٣/ ٤١ .

(١٨) بحار الأنوار المجلد السابع عشر.

أفعاله ونعمه حيث أن هذا التفكير سبب لزيادة المعرفة به جلت عظمته .

قال الباقر عليه السلام : تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه الا تحيرا[19] .

ويقول الصادق عليه السلام : من نظر في الله كيف هو هلك[20] .

وقد حاول أشخاص هذا الأمر المستحيل أي التفكير في ذات الله فأدى ذلك بهم الى الهلاك والالحاد أي قالوا حيث أننا لم نهتد الى ذات الله فالله غير موجود .

وهل يصح انكار شيء لا نعرفه؟ :

يجب أن يقال لهؤلاء أولا ان تفكيركم في ذات الله خطأ وطلب للمحال لأن المخلوق لا يمكنه الاحاطة بالخالق أبدا ثانياً : بما أنكم لم تعرفوا ذات الحق تعالى فكيف أنكرتموها في حين أنكم لم تعرفوا ذات وحقيقة كثير من الموجودات ومع ذلك لم تنكروها مثلاً : هل عرفتم الى الآن حقيقة النور ، وحقيقة الامواج وكيفية الرؤية ، والقدرة على التفكير وسائر القوى الباطنية . . كل ذلك تعتقدون بوجوده في حين أنكم لا تعلمون شيئا عن حقيقته . . فلو قال لكم شخص : لا عقل لكم ولا فهم . . تتأذون منه وتقولون كيف لا عقل لنا . . فان قال : أنا لم أعرف حقيقة العقل حتى اعترف به . . فهل تقبلون جوابه .

كيف نؤمن بالّه لم نره :

وخلاصة القول إن الانسان الذي لم يدرك حقيقة كثير من الأمور ومع ذلك يعتقد بوجودها بواسطة آثارها . . كيف يأمل أن يدرك حقيقة الله خالق هذه

(١٩/ ٢٠) الكافي .

الأمور . . واذا لم يعرفها فانه ينكر وجوده .

والأسوأ من ذلك ما يقوله بعض الغافلين أصحاب الأفكار المنحرفة : كيف نؤمن برب لم نره؟

ويجب أن يقال لهؤلاء : وهل يصح انكار وجود العقل والذاكرة وسائر القوى الباطنية حيث أنكم لم تروها أنتم ولا غيركم . . وكذا هل يصح انكار الاجسام الشفافة التي لا ترى بالعين مع أنها تشاهد بآثارها . . وآثارها تدل عليها .

عين الانسان الظاهرية لا ترى الا الماديات :

يروى أن أبا حنيفة قال ذات يوم لأصحابه أن جعفر بن محمد (الصادق (ع)) قال كلمات حيرتني انه يقول ان الله لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة وكيف يمكن للموجود أن لا يرى .

ويقول : ان ابليس يعذب يوم القيامة بالنار مع أن ابليس هو من نار فكيف يعذب بما خلق منه .

ويقول : ان أفعال العباد تنسب اليهم مع أن القرآن ينسب أفعال العباد الى الله .

وكان بهلول حاضراً في المجلس فأمسك قطعة طين يابسة وضرب بها رأس أبي حنيفة فسال منه الدم ثم ولى هارباً .

واشتكى أبو حنيفة على بهلول فأحضروه للمحاكمة فقال انه اعترض على الامام الصادق ثلاث اعتراضات وأنا أجبته على هذه الاعتراضات بهذه الضربة .

انه يقول الشيء الموجود لا بد أن يرى وهو يدعي الآن أني آلمت رأسه فليرني الألم . . وحيث أن الألم لا يرى فهو يكذب .

ويقول ان الشيطان من نار ولا يمكن أن يعذب بالنار والطين الذي ضربته به تراب وهو من تراب فيجب أن لا يؤلمه .

ويقول : ان فعل العبد ينسب الى الله . . فلماذا اشتكى علي اذن؟

فأطلق سراح بهلول .

انحراف بعض علماء الطبيعة :

هناك قاعدة بديهية هي : « عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود » أي عدم عثورك على شيء لا يدل على أنه غير موجود . . ورغم أن هذا بديهي فاننا نجد بعض علماء الطبيعة لأنهم احرزوا تقدماً ملموساً في مجال تحليل المادة واكتشفوا بعض خصائصها وآثارها المحيرة ونجحوا في اختراعات مدهشة . . فقد تملكهم الغرور ونسوا هذه القاعدة العقلية البديهية فقالوا : ان عالم الوجود منحصر بعالم المادة التي فهمناها وأخضعناها للبحث والتحليل . . وأنكروا عالم الغيب وما وراء الطبيعة واعتبروا الروح والملائكة والجن وغير ذلك من أمور ما وراء الطبيعة أمورا خرافية وزعموا أنه لا وجود لخالق عالم قادر مجرد عن المادة ومنزه عنها . . وقد فضحوا أنفسهم بين عقلاء العالم بهذا الادعاء .

علمنا قطرة في محيط :

الشكر لله أن أكثر علماء الطبيعة خاصة في عصرنا الحاضر القرن العشرين قد اكتشفوا زيف استار الجهل والغرور هذه وأذعنوا لعظمة الله وقدرته وحكمته واعترفوا ببقاء الروح بعد الموت . . وبعالم الجزاء وهم يقولون : ان معلوماتنا كقطرة . . ومجهولاتنا تشبه المحيط الكبير اللامتناهي .

معلوماتنا كتصورات نملة :

في الجزء الثاني من تفسير الطنطاوي ص٤٨ يذكر اسماء عشرين عالماً

كبيراً من علماء الطبيعة يعتقدون بالله والروح والآخرة منهم اسبنسر الانكليزي الـذي هـو أكبـر فـلاسفـة هـذا القـرن ، والاستـاذ إيلي دوسيـون ولهم كتب ومقالات . . بهذا الصدد لا داعي لنقلها هنا .

وفي ص١٦١ ينقل الطنطاوي قسما من مقالة مطولة للورد أوليـفر لورج الانكليزي يقول فيهـا : ان مقدار علم الانسـان بموجـودات ما وراء الـطبيعة (الأرواح) هو كمقدار علم النملة بحياة الانسان مثلاً : النملة تمر أسفل عمود التلفون وترى منه بمقدار ما ترى عينها ولكنها لا تعلم أن هذا العمود واسطة لتمديد الاسلاك التلفونية التي هي وسيلة ربط المدن بعضها بالبعض الآخر .

وهكذا نجهل نحن عالم الغيب . .

وفي الجزء الأول من دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي وكتب أخرى ذكر أسماء الكثيرين من علماء الطبيعة الذين آمنوا بالله واعترفوا بالحقيقة .

العلم والتوحيد يجتمعان :

يقول هرشل الانكليزي وهو من كبار علماء الهيئة : كلما اتسعت دائرة العلم ازدادت البراهين الساطعة على وجود خالق أزلي قادر غير متناه لأن علماء الجيولوجيا والرياضيات والفلكيات وعلماء الطبيعة كلهم متعاونون على إحكام عرش العلم . . وهذا العرش ليس الا عرش عظمة الالـه الواحـد وليس شيئا آخر .

قوة أبدية فوق الانسان :

يقول العلامة الاجتماعي هربرت اسپنسر : إنا نـدرك من بين كل هـذه الأسرار التي تزداد غموضاً كلما تقدمنا في البحث حقيقة واحدة واضحة وقطعية هذه الحقيقة هي أنه توجد فوق الانسان قوة أزلية وأبدية هي سبب حدوث كل الأشياء .

تناسب الكائنات مع عظمة الخالق :

« لينه » العالم الفيزيولوجي الفرنسي يقول : ان الله الأزلي العظيم الذي يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء قد ثبت عندي واتضح لي بواسطة بدائع صنعه فأدهشني وحيرني وما أعظم القدرات والحكم والابداعات التي أودعها تعالى في مخلوقاته صغيرها وكبيرها .

ثم يقول هذا العالم الكبير : المنافع التي نحصل عليها من الكائنات خير شاهد على عظمة رحمة الله الذي سخرها لنا كما أن جمالها وتناسبها يحكيان حكمته الواسعة . . وصيانتها من التلف والفساد وتجددها وتطورها . . شاهد على عظمته وجلاله .

أقوال موجزة لعلماء آخرين :

يقول العلامة « فونتتل » في دائرة معارفه : ليست أهمية العلوم الطبيعية فقط في أنها تطفىء لهب طموحنا العقلي بل ان أعظم أهمية لها أنها ترشدنا الى خالق العالم وتغمر أرواحنا بالاحساس بجلاله وعظمته .

وبقول « پاسكال » الفيلسوف المعروف : لا شيء غير الاعتقاد بالله يروي ظمأ روحنا ويطفىء لهيبنا الباطني . ويقول « لامنه » ان كلمة تقال في انكار الخالق تحرق شفة قائلها .

ويقول « لوكوردين » الله هو أشعة التوحيد التي تهب أشعة خلوده الموجودات الحياة وتمدها بالقدرة على الاستمرار .

ويقول « فيو » الله عالم بكل شيء ويتصرف بكل شيء وهو رب كل شيء يدبر أمور الموجودات ويديرها .

ويقول « جوردن » الله هو الناموس الأزلي الثابت الـذي تستمد جميـع الكائنات وجودها وتكاملها منه .

وتنقل دائرة معارف القرن التاسع عشر عن العالم الاقتصادي « برودن » أنه قال : الله هو تلك الحقيقة التي لا يحدها ادراك ولا وصف . . ووجودها رغم ذلك بديهي ولا يمكن انكاره .

وقال أيضا : قبل أن تكتشف عقولنا وجود الله فان قلوبنا تشهد بوجـوده ويقول « لامارتين » الشاعر والكاتب الفرنسي الكبيـر ، القلب الخالي من الله كمحكمة بلا قاضي[٢١] .

والهدف من نقل نماذج من آراء العلماء الغربيين ، هو الفـات الشباب الأعزاء الذين يدرسون علوم هؤلاء ويكبرونهم الى أنهم كانـوا معتقدين بـالله معترفين بوجود الخالق جلت عظمته .

التخلية هي التطهير من الأدران :

التخلية هي أن ينظف الانسان نفسه ويخليها من كل ما يمنعه عن معرفة الله وينقي مرآة قلبه من الكدورات والاوساخ المعنوية التي أهمها العجب أي أن يعتبر نفسه مستقلا ويفرح بالموهومات والخيـالات والتصورات الخـاطئة التي عرفها عن طريق تقليده الآخرين وأن يعتبر نفسه عالما لأنه يعرف بعض خصائص الأشياء ويفهم بعض الأمور . . في حين أن نسبة معلوماته الى مجهولاته نسبة المتناهي الى اللامتناهي .

وكيف يمكن أن يعتبر انسان نفسه عالما في حين أنه غافل كليـاً عن أكثر العلوم بداهة . . وأعلاها مرتبة . . أي العلم بـالله سبحانـه وهل يملك هـذا

---

(٢١) نقلاً عن « فرهنـگ، قصص قرآن»/ ٣٥٤ .

الانسان الا الغرور والجهل المركب أي لا يعلم أنه لا يعلم .

علاج العجب :

علاج العجب أن يفكر الانسان باستمرار في مسكنته وضعفه وعدم استقلاله (في الذات والصفات والأفعال) ويعود بتفكيره الى الوراء . . ويتذكر حالاته الأولى حين كان ذرات متناثرة في العناصر . . ثم انتقل الى صلب الأب ورحم الأم . . ثم الى المهد . . وحتى بلوغه الرشد . . ووضعه الفعلي ثم يفكر في مستقبله ويتدبره بدقة حتى ساعة الموت . . وما بعد الموت . . حين يصبح مرة ثانية تراباً وذرات متناثرة كما كان أول مرة ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ طه ٥٥ .

عندها يرجع الى نفسه في حالته الفعلية ويتأمل فيها وكيف أن حياته وموته ، وسلامته ، ومرضه ، قدرته وعجزه ، شبابه وهرمه ، عزته وذلته ، وجميع شؤونه . . كل ذلك ليس بيده ولا باختياره أي ليس تابعا ارادته ورغبته . . وحتى ذاكرته وفهمه ليس بيده فما أكثر الامور التي يجب أن يتعلمها ولكنه لا يستطيع . . وما أكثر الأمور التي تعلمها ولكنه نسيها . . ولا يستطيع تذكرها مهما حاول .

باختصار يجب أن يدرك المعجب بنفسه ضعفه وقصوره من كل الجهات . . وكلما تقدم على طريق الاقرار بعجزه ونقصه كلما أصبح مهيئاً أكثر فأكثر لمعرفة خالقه وخالق كل شيء . . ومعرفة علمه وقدرته اللامحدودين .

معرفة النفس ومعرفة الله :

ولهذا فسر جماعة من المحققين الحديث النبوي المشهور (من عرف نفسه فقد عرف ربه) بأن من عرف في نفسه الحدوث والفناء والزوال فقد عرف

في الله القدم والبقاء والدوام . . من عرف في نفسه الضعف والعجز والجهل فقد عرف في ربه القدرة والاستطاعة والعلم بلا حدود . من عرف أنه مخلوق مربوب مرزوق فقد عرف في ربه الخالقية والربوبية والرازقية . . وهكذا . . .

وبعد التأمل والتدقيق يتضح أن هذا صحيح لا جدال فيه . . حيث أن العاقل عندما يعلم أن وجود بدنه ونفسه ورزقه وتدبيره ليس منه أو من شخص آخر مثله يتيقن أن خالقه ومدبره ومربيه ورب جميع أجزاء العالم ومدبرها هو الله سبحانه لا غير .

من أراد أن يتعمق في معرفة الله يجب أن يفكر في هذه النقطة السالفة الذكر كثيرا . . ومن المفيد لهذا الهدف قراءة مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام والتأمل في معانيها[٢٢] .

لا تعتقد أنك ناجٍ :

سيأتي مزيد توضيح لمرض العجب في مبحث الكبر والعجب من هذا الكتاب إن يشاء الله تعالى . . ويجب أن يعلم اجمالاً أن الانسان ما دام يعتبر نفسه مستقلاً ولا رقيب عليه ولا يرى في عالم الوجود الا نفسه . . فلن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة في عالم المعرفة وعندما يدرك بنور عقله عدم استقلاله . . سيزول عن نور فطرته الحجاب الأعظم . . وسيعرف ربه بكل وضوح . . ويرجع اليه .

وما دام الانسان يعيش في عالم العجب محجوبا عن عالم المعرفة فأبسط

---

(٢٢) اليك بعض فقراتها: مولاي يا مولاي أنت الحي وأنا الميت وهل يرحم الميت الا الحي، مولاي يا مولاي انت الباقي وانا الفاني وهل يرحم الفاني الا الباقي، مولاي يا مولاي انت الدائم وانا الزائل وهل يرحم الزائل الا الدائم، مولاي يا مولاي انت الرازق وانا المرزوق وهل يرحم المرزوق الا الرازق (مفاتيح الجنان اعمال مسجد الكوفة).

الأمور أن لا يعتقد أنه اهتدى طريق النجاة .

اتباع الهوى والأماني الكاذبة تحول دون معرفة الله :

بشكل عام فان اتباع الهوى والركض وراء الأماني الشيطانية والافراط في اللذة الحيوانية كالتخمة والاكثار من النوم ، والثرثرة ـ كثرة الكلام ـ هي عموما حجب تغطي نور الفطرة الانسانية وتجعل الانسان في غفلة عن الله وتسبب مرض القلب والنفس ، والافراط في بعض هذه الأمور اذا تسبب بضرر للبدن ضرراً يعتد به العقلاء فهو حرام والا فمكروه ، عن الصادق عليه السلام :

النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة[٢٣]

فعندما تكون النظرة الحرام سهماً مسموماً من سهام الشيطان يصيب قلب الناظر ونفسه فما هو حال الذنوب الأكبر والأشد يا ترى؟ وما هو حال الشخص الذي يقضي يومه وهو يلوث نفسه بذنب النظر الحرام وما هو حجم مرضه القلبي؟ وبعد كل هذه الممارسات القبيحة والتلويث لنفسه كيف سيشرق نور الفطرة فيه ليتذكر الله ، العين الملوثة النظرات محجوبة عن وجه المعشوق أنظر إلى وجهه من مرآة صافية[٢٤] . وكيف يمكن أن يدرك الحقيقة بقلب استقر فيه السهم أم كيف يستطيع أن يرى الحق ويعرف الله؟ اللهم الا اذا شملته العناية الالهية . . وتندم على ما فعل وتحسر فأحرقت نار الحسرة الحجب التي اكتنفت قلبه وغسله ماء التوبة .

اغتسلت بالدمع غسل العاجز اذ يقول أهل الطريقة تطهر أولا ثم انظر الى ذلك الطاهر[٢٥] .

---

(٢٣) سفينة البحار ج٢/٥٩٦ .

(٢٤/٢٥) مضمون بيتين من الشعر الفارسي .

وباختصار ان كل ذنب يرتكبه الانسان حتى اذا كان صغيراً فانه يغطي من نور فطرته بقدره ويغبش مرآة قلبه ويحجب رؤيته ومعرفته بالله ويبعده عنه سبحانه ، والشواهد على هذا كثيرة من الآيات والروايات ، من جملة ذلك في سورة المطففين يقول تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا انهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون** ﴾ المطففين ١٤ ـ ١٥ .

وفي سورة الروم يقول تعالى : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون** ﴾ الروم ١٠ .

وعن الامام الباقر عليه السلام أنه قال : « ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا أذنب خرج في تلك النكتة نكتةٌ سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد ، فان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى الخير أبدا وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ »[٢٦] .

وعن الصادق عليه السلام قال : وكان أبي يقول ما من شيء أفسد للقلب من الخطيئة إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله[٢٧] .

واذا أصبح أعلى القلب أسفله فلا يستقر فيه حق أبدا ولا يقبل نصيحة . . ولا يعترف بحقيقة . .

أخطر أمراض القلب :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب ولا

---

(٢٦) اصول الكافي .

(٢٧) اصول الكافي ، باب الذنوب.

خوف أشد من الموت وكفى بما سلف تفكرا وكفى بالموت واعظاً[٢٨] .

ويقول عليه السلام : انما أخاف عليكم إثنين اتباع الهوى وطول الأمل اما اتباع الهوى فانه يصدِ عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة[٢٩] .

الآمال تحجبنا عنك :

يقول الامام السجاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي : وان الراحل اليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن عبادك الا ان تحجبهم الأعمال (الآمال) دونك .

إن الراحل اليك قريب المسافة لأن طريق الله هو طريق القلب . . ولا شك في أن المخلوق الذي يعبد مولاه ويكون على اتصال دائم به . . فان خالقه أقرب اليه من كل أحد ومن كل شيء . . .

وانما هي الأعمال والآمال تزرع الحجب بين الله وعباده وتمنعهم من رؤيته .

الصاحب أقرب مني اليَّ والأعجب أني بعيد عنه[٣٠] .

الملهيات تصرفنا عن ذكر الله :

مما تقدم يعلم أن أهم عقبة تحول بين العبد وربه هي العجب واتباع الهوى والنزوات . . بل جميع الذنوب الجسمية والقلبية حجب وعقبات تمنع القلب من معرفة الله .

---

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) نفس المصدر، باب اتباع الهوى .

(٣٠) مضمون بيت شعر فارسي .

واذا نظرنا في أحوال مجتمعنا اليوم نعلم أن عدم الايمان والبعد عن الله المخيمين على المجتمعات البشرية ليس لهما من سبب الا اشاعة الفحشاء واشاعة المنكرات واتباع الشهوات وأنواع الملاهي أي التي تتسبب بغفلة الانسان عن الله والآخرة كدور السينما وسائر ما يحرك الشهوة في الانسان . . بحيث يصبح الانسان حيث اتجه لا يرى الا أسباب الغفلة ولا يسمع سواها . . ويصبح هم جميع الناس الحصول على مستوى مترف من العيش مليء بالكماليات والتجملات والنفع والادخار وحب الجاه .

ويبذل الجميع جهودا مضنية ولكن من أجل الوصول الى أهداف دنيوية زائلة .

أضعنا الطريق :

انهم فرحون مغتبطون عندما يحققون رغبة مادية . . ومحزونون مولولون عندما يصيبهم مرض دنيوي . . يتذكرون كل شيء الا الله ، يبذلون الجهد ويتحملون المشقات للحصول على رغباتهم المادية ، اما في مجال المعنويات فكأنّهم لا علم لهم بها . . تراهم يشكون لفقد أي شيء . . الا لفقدهم صفات الانسانية . . يجتنبون كل خطر ويفرون منه ، إلا خطر الذنب والضرر الأخروي تراهم متيقظين حذرين فيما يتعلق بزيادة ثروتهم وممتلكاتهم الدنيوية ولكنهم غافلون تماما عن ثروتهم الأبدية ورأس مالهم الحقيقي الذي هو الايمان . . انهم لا يفكرون به أبدا ولا يخشون نهائيا أن يقل ويتضاءل . . وان يموتوا غير مؤمنين .

والعجيب في هؤلاء أنهم مع هذه الصفات يشكون باستمرار ويئنون من ضغط الحياة عليهم . . وهم يعانون من أنواع الأمراض النفسية والجسدية باستمرار ، وليست المستشفيات فقط هي التي ملئت بهم . . بل انهم لم يدعوا

مكانا في دور المجانين أيضا وعدد مرضاهم في ازدياد دائم . . ومع ذلك فانهم لا يقلعون عن اتباع الشيطان ولا يتوبون ولا يذكرون الله الذي هو شفاء كل ألم . . ولا يعالجون اضطراب قلوبهم وحيرتها وهلعها بذكر الله حتى يدخلوا وادي الأمن وينعموا به .

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ الرعد ٢٨ .

حقاً إن أحوال الناس اليوم كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام وحيث يقول : «وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، ولا الشر فيه إلا إقبالا ، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً ، فهذا أوان قد قويت عدته ، وعمَّت مكيدته ، وأمكنت فريسته (أي استسلم الناس لاصطياد الشيطان لهم بحيث أنه يصطادهم بكل يسر) أضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً (أي فقيراً لا يصبر على فقره) أو غنياً بدَّل نعمة الله كفرا (أي أن الغني لا يؤدي حق شكر النعمة بأن يصرف ماله في مرضاة الله على الفقراء بل يصدر منه ما يدل على كفران النعمة) .

أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً (اتخذ البخل طريقاً لزيادة ثروته) أو متمرداً كأنَّ بأذنه عن سمْع المواعظ وقرا »[٣١] .

هل يجب اجتناب الناس :

وقد يسأل سائل عندما يكون وضع المجتمع هكذا . . وتصبح العقبات التي تحول بين الانسان ومعرفة الله كثيرة لا تحصى فماذا يفعل من يريد المعرفة . . والوصول الى مرتبة اليقين وتأمين آخرته؟ هل يجتنب الناس ويعيش وحيداً ويترك الكسب والعمل . . ويترك جميع اللذائذ ، أم يتبع من يدّعون

(٣١) نهج البلاغة خ ـ ١٢٩ .

« الارشاد » من فرق الصوفية؟ .

شرور النفس والعزلة أكثر :

والجواب : ليس هذا طريق معرفة الله والوصول الى منزلة الانسانية ، ان العقل والشرع يرفضان هذا المسلك ، هل من الممكن يا ترى أن تكون العزلة سببا للإيمان والعلم والتحلي بالفضائل ، وهل أن فرار الشخص من الناس ، واختياره العزلة يخلصه من الشر في حين أن منبع كل شر أي النفس والشيطان هما معه دائما . . وما لم يتطهر ويترك (بالتفصيل الذي سيأتي) فلن يصدر منه الا الشر .

إذا كنت ملتزماً بمضمون الصلاة والصوم فيجب أن تجد حلاً لنفسك المكارة[٣٢] .

بل ان اختيار العزلة هذا عندما يكون وفقا لهوى النفس ورغبتها هو عين الشر .

احذر اتباع النفس التي هي أخطر على سالك طريق الله من غول الصحراء[٣٣] .

صلاة الجماعة والحج شعار الاسلام :

أعظم الفرائض الالهية . . الصلاة . . وهي ينبغي أن تؤدى جماعة . . وفي سورة البقرة يأمر الله سبحانه صراحة بذلك : ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ . البقرة ٤٣ ، ويلي الصلاة الحج الذي يجب ان يجتمع له الناس في وقت خاص لأدائه مجتمعين . . واذا تأملنا جيدا في الخيرات التي يعود بها التجمع

(٣٢/٣٣) مضمون بيتي شعر فارسي .

والاختلاط بالناس لوجدنا أن شيئا منها لا يتحقق عن طريق العزلة .

ثم ان اتباع من يدعي مرتبة الارشاد من فرق الصوفية لا يعود على صاحبه الا بالضرر والضلال . . ذلك ان هذا الداعي هو نفسه لم يصل بعد الى درجة اليقين وما يزال أسير النفس وكيف يستطيع طالب مقام وشهرة وكثرة أتباع ومريدين أن يرشد غيره ويحرره من قيد النفس « أعمى صار يقود أعمى آخر » .

اذن . . ما العمل :

يجب أن نعلم أن الخالق العليم والحكيم الذي يعلم داء عباده ودواءهم أحسن منهم قد أضاءَ طريق النجاة بواسطة أنبيائه وأوصيائهم ولم يترك عباده هملا . . بل أمرهم أوامر امر وعيّن لهم واجبات بحيث أن كل كلمة يقولها الانسان أو نظرة ينظرها أو لقمة يبتلعها . . أو مكان يذهب اليه أو يجلس فيه . . أو شخص يتعامل معه ، لكل ذلك ، ولكل حركة وسكون قد جعل الله حكما من الاحكام الخمسة : (الحرام ، الواجب ، المستحب ، المكروه ، المباح) حتى التخلي قد ذكرت أحكامه . . كما هو مذكور في الرسائل العملية .

تطبيق أحكام الدين :

على هذا . . فان واجب الجميع أن يقدروا نعمة الله ويشكروها وينعموا بها . . وذلك بتعلم أحكام الدين أولا (بطبيعة الحال ما هو محل الابتلاء بالدرجة الأولى) وبعدئذ يحملون أنفسهم على تطبيق ما تعلموه . . أي أن لا يفوت الانسان المتعلم واجب ولا يرتكب حراماً ولا يقصر في ترك المكروهات وفعل المستحبات ، بمقدار استطاعته .

ومن المؤكد أن الشخص الذي يحيط علماً بأمر الدين ويعمل به سوف لن يتلوث لوجوده في هذا المجتمع الملوث . . بل ان التلوثات والأدران الموجودة

في نفسه ستزول و« تزكية النفس بإكسير[٣٤] الشرع حتمية » بل إنه ببركة الشريعة المقدسة لن يجد أمامه الا طريق تزكية النفس والتفصيل في هذا يستدعي الاطالة وكنموذج تذكر هنا بعض الأحكام .

الاغتسال خمس مرات في اليوم والليلة :

مثلاً : من الأحكام الآلهية الصلوات الخمس في أوقاتها الصبح ، الظهر ، العصر ، المغرب ، العشاء فمن واظب عليها وأداها أول وقتها مراعياً آدابها والشرائط ، وخصوصا الجماعة يطهر من الادران التي تصله من المجتمع بين أوقات الصلاة .

وقد روي عن النبي (ص) أن « مثل المواظب على أوقات الصلوات الخمس كمثل من يغتسل من اليوم والليلة خمس مرات »[٣٥] . . فهل يرى في بدنه وسخ كذلك قلب المصلي . .

لكل حكم أثره الخاص :

وكالصلاة ، الصوم ، الزكاة ، الحج ، وسائر الواجبات فان لكل منها أثره الخاص في تزكية النفس وعلاج مرض القلب الذي لا يوجد ، في الحكم الآخر . . بحيث أنه اذا أدى كل الواجبات الا واجباً واحداً فانه يحرم من خاصية ذلك الواجب ويظل مبتلى بمرض القلب ومعذباً بمقدار ذلك الواجب الذي تركه ولن يعوضه عن ذلك شيء .

---

(٣٤) الإكسير مادة لها تأثير سحري قيل إنها تحول المعدن إلى ذهب وهو أيضا اسم شراب قيل إنه يطيل الحياة.

(٣٥) لم أجد هذا الحديث . . وهناك عدة أحاديث بمضمونه في ميزان الحكمة ج٥ /٣٧٣.
ومن لا يحضره الفقيه ج١ / ٢١١ ومستدرك الوسائل ج١ / ١٦٩ .

كما أن في ترك كل حرام حيلولة دون مرض القلب وتلوث النفس والابتلاء بعذاب الآخرة .

ذكر الموت يطهر القلب :

وفي القيام بكل مستحب أيضاً أثر في تزكية النفس ليس موجودا في المستحب الآخر وهو أيضا يوجب الثواب والأجر الأخروي . . وفي تركه حرمان لا يعوض مثلاً : من المستحبات التي هي تزكية للنفس وازالة للعقبات التي تمنع من معرفة الله كثرة ذكر الموت . . في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة تجد ان الخطب التي لم يأمر بها سلام الله عليه بذكر الموت قليلة جدا من ذلك قوله (ع) :

وأوصيكم بكثرة ذكر الموت واقلال الغفلة وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم .

ويقول عليه السلام في رسالته لعامله على مصر محمد بن أبي بكر : فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم اليه أنفسكم من الشهوات ، وكفى بالموت واعظاً ، وكان رسول الله (ص) كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت ويقول : أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : سئل النبي (ص) أي المؤمنين أكيس قال : أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم له استعداداً[٣٦] .

وستذكر خواص تذكر الموت في بحث قسوة القلب وعلاج ذلك ان شاء الله .

---

(٣٦) الكافي.

أكلك ونومك يبعدانك عن مرحلة العشق :

واجتناب المكروهات هو أيضا لمنع تلوث النفس ومرض القلب فمن يفعل مكروهاً يترك ذلك فيه أثرا سيئاً (طبعا لا يكون بمقدار أثر الحرام) ويوجب قلة الأجر والثواب الأخروي . . مثلا من جملة المكروهات التخمة ، كثرة الأكل وادخال الطعام على الطعام ، هذا فيما اذا لم يكن مضراً ضرراً يعتد به والا يصبح حراماً ، وكذا كثرة النوم وكثرة الكلام (فيما اذا لم يكن الكلام محرما والا فان الكلمة الواحدة منه حينئذ حرام) .

يقول تعالى في سورة الأعراف **﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾** الأعراف ٣١ .

ويقول الصادق (ع) : ان الله يبغض كل أكول نؤوم[٣٧] .

ويقول الرسول (ص) : وعليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك[٣٨] .

والروايات كثيرة في ذم الإفراط في الأكل والنوم وكثرة الكلام . . وكذلك في مدح الاعتدال في كل منها . . واجمالاً يجب العلم أن للاعتدال في كل منها (الأكل ، النوم ، الكلام) تأثيراً كبيراً في طهارة القلب وتزكية النفس واشراق نور الفطرة ، وبالاضافة الى هذا فإن التجربة والوجدان أكبر شاهدين على صحة هذا الكلام .

---

(٣٧) فروع الكافي .
(٣٨) سفينة البحار ج٢/٥٠ .

الصلاة وقت السحر ولذة المناجاة :

أيها القارىء العزيز جرب واقتصد في طعامك ونومك واستيقظ وقت السحر وصل بضع ركعات . . وانشغل بمناجاة خالقك والتضرع اليه . . ولا تكتف بليلة وليلتين بل اجعل ذلك عادتك . . عندها ستدرك قرب الله وتتذوق حلاوة ذكره . . وستفهم الى حد ما معنى المقامات الروحية .

اقتصد قليلاً في النوم والأكل واحمل هدية للقائه .

صر قليل النوم « مما يهجعون » وكن ممن هم « بالأسحار يستغفرون »[39] .

احياء الليل وصوم النهار سلاح المؤمن :

يقول الإمام الصادق عليه السلام : ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله من النفس والهوى وليس لقتلهما سلاح وآلة مثل الافتقار الى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل[40] .

« احذر اتباع النفس فهي أخطر على سالك طريق الله من غول الصحراء » .

صعب ولكنه يستحق :

تزكية النفس أي تطهير الانسان نفسه من أنواع الأدران المعنوية طبق أوامر الشرع المقدس كما تقدم باختصار . . وان كان صعبا على النفس وعزيزاً عليها

---

(٣٩) مضمون بيتين من الشعر الفارسي .
(٤٠) سفينة البحار ج ٢ /٦٠٣

ولكن . . بما أنه الطريق الوحيد للسعادة[٤١] والوسيلة الوحيدة للوصول الى الحياة الانسانية الطيبة[٤٢] فيجب على الانسان تحمل أنواع الصعوبات وبذل الجهود للحصول على ذلك . . على أمل أن يحصل على السعادة الأبدية .

« بدون المشقة لا يمكن الحصول على الكنز . . وحقك يا أخي إن من يعمل يأخذ الاجرة» .

ومن الطبيعي ان الانسان عندما يحصل على فوائد هذا الطريق ويتذوق لذائذه من الحياة الطيبة والثواب الالهي في الآخرة فستعوض عليه كل تلك المشقات التي تحمل والصعوبات التي اجتاز .

التحلية . . . بالفكر والذكر :

بعد إزالة العقبات التي تمنع من معرفة الله تجب المواظبة على شيئين : التفكير ، والذكر .

يقول تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ان في خلق السماوات ﴾ (والكواكب التي تظلنا بأسرارها وعجائبها) و(في خلق) ﴿والأرض﴾ (التي نعيش عليها بما فيها من عجائب المخلوقات) ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ (وفق هذا النظام الثابت) ﴿ لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾(اي يذكرون الله في جميع حالاتهم وعلى جنوبهم تعني حالة النوم والاستراحة) ﴿ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ (فيدركون أن هذا العالم العظيم لم يخلق عبثا بل خلق لهدف سام هو وصول الانسان الى مقام المعرفة والعبودية ومن ثم الى السعادة الأبدية) ويقولون:

---

(٤١) ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ الشمس ٩.

(٤٢) ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾. النحل ٩٧.

﴿**ربناما خلقت هذا باطلاً سبحانك**﴾ (انت منزه عن العبث) ﴿ **فقنا عذاب النار** ﴾ (ودلنا على طريق المعرفة وثبتنا عليه) .

ويقول تعالى : ﴿ **أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون**﴾ الروم ٨ .

والمراد بقوله تعالى ﴿ **الا بالحق** ﴾ أي ان الله سبحانه لم يخلق السماوات والأرض الا لهدف ثابت لا يمكن أن يتغير ، كما أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **وأجل مسمى** ﴾ أي أن هذا العالم يستمر مدة يعلمها الله ثم يفنى . . فعالم الآخرة هو الذي لا يفنى .

التقدم الدنيوي والتأخر المعنوي :

أيها القارىء العزيز : تأمل جيدا في هذه الآية الشريفة : ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ الروم ٧ .

أليس أكثر الناس اليوم كذلك . . كل علومهم تنصب على عالم الدنيا والحياة المادية . . وقلما تجد موضوعا لم يحرزوا فيه تقدماً مذهلاً . .

مثلاً : في علم الزراعة ، وعلم النبات . . وصلوا الى حد الكمال . . في علم الطب والجراحة . وطريق تشخيص المرض والدواء لبدن الانسان . . أحرزوا تقدما هائلاً بحيث يمكنهم اجراء عملية جراحية للقلب أو استبداله .

وفي مجال اختراع لوازم المعيشة وتأمين وسائل الراحة . . ابتكروا أشياء لم تكن تخطر لهم على بال .

وقد تجاوزوا الارض لتسخير الفضاء وقطعوا مسافة أكثر من ثلاثمائة وعشرين واثنين وعشرين ألف كيلو مترا وحطوا على سطح القمر .

ولكن ياللاسف . . بالرغم من كل هذه العلوم عن ظاهر هذا العالم فانهم يجهلون كل شيء عن باطن العالم وخالقه . . وهم لا يعتقدون بفناء هذا العالم وزواله . . رغم أن العلماء في هذا العصر وصلوا الى هذه الحقيقة وقالوا إن للارض أجلاً وعمراً تتلاشى بعده . . وقالوا ان منظومتنا الشمسية هي الان في سن الشيخوخة والهرم .

وأوضح من هذا كله فناء كل فرد . . فلا بقاء لأحد هنا ، ولكن هذا لا يؤثر في قلوبهم حتى يبعثهم على التفكير بحياة ما بعد الموت .

اذن . . هناك عالم آخر :

انهم لا يفكرون أيضا أن خلق هذا العالم المليء بالحكمة انما هو لهدف مهم ونتيجة ثابتة وهي أن بعد هذا العالم الفاني عالم باق خالد . . وما إن يتخلص الناس من هذا العالم المزعج فانهم يردون ذلك العالم ويبلغون منتهى السعادة أي أنهم يصلون الى الراحة التي لا تعب بعدها . . واللذة التي لا حرمان بعدها والسرور الذي لا حزن بعده .

عالم الخلق ، لمعرفة الحق :

الخلاصة إن على الانسان أن يفكر في عظمة الكون في السماوات والأرض وما فيهما[٤٣] . . كي يدرك أن خلق كل جزء صغير من أجزاء الوجود انما أوجد لحكمة . . اذن فكل عالم الوجود قد أوجد لحكمة مهمة .

ولأجل معرفة هذه الحكمة يجب الرجوع الى كلمات الله والرسول وأهل البيت عليهم السلام .

---

(٤٣) ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ يونس ١١٠ .

عالم الوجود مخلوق للانسان والانسان مخلوق لمعرفة الله وعبادته ، والمعرفة والعبودية بمثابة جناحين يحلق بهما الانسان في العالم العلوي للوصول الى الحياة الطيبة التي فيها لذائذ وبهجات لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر .

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[٤٤] السجدة ١٧ ، وبعبارة أخرى ان الهدف من خلق الله الانسان والعالمَيْن الفاني والباقي هو :

أولاً وبالذات اظهار الصفات الجمالية (أي قدرة الله اللامتناهيه وفضل وجوده وكرمه) . . وسيتجلى ذلك بصورة كاملة في جزاء أهل الإيمان والخير من البشر في عالم الآخرة وما هو في الدنيا من ذلك ليس الا نموذجا .

ثانياً وبالعرض : ظهور الصفات الجلالية للحق تعالى أي العدل الحقيقي والقهارية الشديدة الذي يتجلى بصوره كاملة في جزاء الأشرار والكافرين من البشر وسيذكر مزيد توضيح لهذا المطلب في مكانه المناسب .

والآيات القرآنية في الأمر بالتفكير والتعقل والنظر والتدبر كثيرة . . الا انه يكتفى بما ذكر .

التفكير في الخلق أفضل العبادات :

« كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبِّه بالتفكر قلبك . . . . »[٤٥] .

ويقول الصادق عليه السلام : أفضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي

---

(٤٤) للشيخ البهائي عليه الرحمة بيان جميل لشأن الإنسان في عالم الوجود والمرتبة التي يجب أن يصل إليها حيث يقول : (شعراً بالفارسية وهذه ترجمته)

(٤٥) أصول الكافي ـ باب التفكر، ج٢ .

قدرته [٤٦].

وعن الرضا عليه السلام : ليس العبادة بكثرة الصلاة والصوم انما العبادة في التفكر في أمر الله [٤٧] .

وعن الصادق عليه السلام ايضا : كان أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله الفكر والاعتبار .

تفكر ساعة خير من عبادة سنة ﴿ انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ [٤٨] .

لعل معنى هذا الحديث أن تفكير ساعة في صنع الله قد تكون نتيجتها معرفة لا يمكن أن يبلغها الانسان من عبادة سنة بدون تفكر [٤٩] ويقول أمير

(٤٦/٤٧) أصول الكافي ـ باب التفكر، ج٢.
(٤٨) البحار ج١٥/ ١٩٥.

«يا مركز دائرة الإمكان ويا زبدة عالم الكون والإمكان».

«أنت ملك الجواهر الناسوتية وشمس المظاهر اللاهوتية».

«حتى م تبقى بسبب العلائق الجسمية في بئر الطبيعة».

«إلى كم تقنع في التربية البدنية بالخزف بدلاً من الدر العدني».

مائة ملك تنتظرك وترنو إليك فاخرج من البئر يا يوسف مصر».

«عندها ستصبح والي مصر الوجود وسلطان سرير (عرش) الشهود».

«أنت بعيد عن المعارف العقلية مغرور بزخارف عالم الحس».

«لا يخطر لك الموطن الأصلي ببال مسرور دائماً باللهو واللعب».

«ثب الى رشدك لحظة وانظر اي شخص أنت بماذا تعلق قلبك ومن تصاحب».

(٤٩) للشيخ البهائي عليه الرحمة بيان حول هذا الحديث ونظائره خلاصتة أن العبادة توصل إلى ثواب الله، أما التفكر فيوصل إلى الله تعالى وفرق كبير ما بين يوصل إلى الله وما يوصل إلى ثوابه عزّ وجلّ.

المؤمنين عليه السلام :

ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق .

أي لأدركوا أن وراء هذا العالم عالم جزاء وثواب وعقاب . . ولخافوا منه .

الطرق المتعددة للتفكر :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : التفكر يدعو الى البر والعمل به .

يقول العلامة المجلسي (ره) في شرح هذا الحديث : كأن التفكر المذكور في هذا الحديث يشمل جميع أنواع التفكير السليم كالتفكير في عظمة الله الذي يدعو الانسان الى طاعة الله وخشيته . . وكالتفكير في فناء الدنيا ولذاتها الذي يدفع الانسان الى تركها وكالتفكير في عاقبة من مضى من الصالحين فإنه يدفع الانسان الى الالتزام بنهجهم واقتفاء آثارهم . . وكالتفكير في عاقبة المذنبين الخاطئين فإنه يدفع الى اجتناب أعمالهم وكذلك التفكير في آفات النفس البشرية وعيوبها فهو يدفع الى اصلاحها .

وكالتفكير في أسرار العبادات وأهدافها فإنه يحمل على أدائها بشكل أفضل ، وكالتفكير في درجات الآخرة وعليين . . الذي يُرغِّب الانسان في العمل للحصول عليها ، وكالتفكير في الاحكام والمسائل الشرعية الذي يدعو الانسان الى العمل بها . . وكذلك التفكر في الاخلاق الحميدة الذي يدعو الانسان الى تحصيلها والتحلي بها . . . .[٥٠] .

---

(٥٠) مرآة العقول، ج٣٤٢/٧ بتصرف.

أين الماضون؟ :

يقول الحسن بن صيقل : سألت أبا عبدالله (ع) عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة قلت كيف يتفكر قال (ع) يمر بالخربة أو بالدار فيقول أين ساكنوك؟ اين بانوك؟ مالك لا تتكلمين؟[٥١] .

ومما تقدم يعلم فضل التفكير ودرجاته وأنواعه ، وحيث أن التفكير هو الطريق الوحيد لمعرفة الله يذكَّر هنا بطريقة التفكير باختصار :

طريق التفكير ومعرفة الله :

كل موجود يراه الانسان صغيراً كان أم كبيراً[٥٢] .. يجب أن يلتفت الى كيفية كونه آية ودليلا على وجود الله .. بان يفكر الانسان بأن لكل ظاهرة موجد ، ولكل متحرك محرك .. وحيث أنه يرى أن لكل موجود منافع وهدفاً ..

---

(٥١) الكافي باب التفكر ج٢ .

(٥٢) «ڤولتر» أشهر الفلاسفة والكتاب الفرنسيين (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) الذي يعتبر من أكبر العقول البشرية، يقول في كتابه «القاموس الفلسفي».

الطريق الطبيعي للوصول إلى معرفة الله وأفضل الطرق لتنمية المدارك والمشاعر العامة هي أن لا نحصر تأملنا وتفكيرنا بنظام الخلق والإيجاد بل نوجه فكرنا وذهننا إلى الأهداف والحِكَم التي خلق لأجلها كل من الموجودات ويضيف:

عندما أنظر إلى الساعة التي يدل عقربها الصغير على الأوقات المختلفة .. أصل حتماً إلى نتيجة هي أنه قطعاً هناك عقل وفكر رتب عجلات هذا الجهاز بحيث يستطيع العقرب بسبب ذلك النظم والترتيب تعيين الساعات المختلفة..

كذلك عندما أنظر في أعضاء البدن أصل إلى مثل هذه النتيجة وهي أنه قطعاً هناك عقل نظم هذه الأعضاء والأجزاء والأجهزه وجعلها جاهزة للحياة.

«فرهنگ قرآن» ٣٥٦.

فيعلم أن صاحب هذا العالم ذو ارادة وعلم وقدرة لا متناهية . . . خصوصا اذا كان التفكير بالموجودات ذات الارادة والعلم والقدرة كالحيوانات أو ما فوقها وهو الانسان .

هل يا ترى يعقل أن يكون الانسان ـ وهو ظاهرة من ظواهر الكون ـ ذا ارادة واحساس . . ثم يكون خالقه فاقدا للارادة والاحساس ، في حين أن هذه الارادة والاحساس من الظواهر التي خلقها خالق هذا الكون سبحانه .

نظرة على أجزاء ساعة :

مثلا الساعة التي تشتمل على أجزاء دقيقة مختلفة الأحجام بما في ذلك العقارب ولوحة الارقام . . وكل جزء منها صغير أم كبير له خاصيته بحيث اذا لم يكن يختل عمل الساعة ويتوقف هذا الجهاز كله . . هل يستطيع عاقل أن يقول ان الساعة وجدت هكذا . . . وقد تراكمت اجزاؤها وانتظمت صدفة؟ هل يمكن القول أن صانعها لم يكن يمتلك الارادة والشعور . . إن هذا غير معقول . . فكل عاقل يتيقن عند رؤية الساعة أن صانعها حي مريد وقادر . . وسوف لن يعتريه في هذا أدنى شك .

هل أجهزة البدن أقل أهمية من ساعة :

هنا نقول : هل أن بدن الانسان بما فيه من أجهزة مدهشة : التغذية ، الهضم ، التصفية ، النمو الانتاج ، الدم ، القلب ، الكبد ، الكلية ، السمع ، البصر وأعجب من ذلك كله جهاز الذهن ومركز الادراك و . . هل هذا كله أقل أهمية من جهاز ساعة . . ألا يجب أن يتيقن الانسان العاقل لدى التـأمل أن صانع هذا البدن ذو ارادة وشعور وقدرة لا متناهية هذا بالرغم من أن هذه الساعة وأمثالها هي أيضا من صنع الله سبحانه قال تعالى :

﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ الصافات ٩٦ .

لأن الاجزاء الأصلية لكل شيء يصنعه البشر هي مما خلق الله سبحانه بالاضافة الى أن الارادة والشعور والفهم والقدرة التي اعتمدها الانسان في صناعته هي أيضا مخلوقات الله .

نظر عادة لا عبرة :

كل ما في الامر أن الانسان عندما يولد ويبدأ يرى الموجودات لا يكون قد امتلك بعد القدرة على التمييز ، والعقل ، حتى يستطيع أن يعرف الله بواسطتها . . وعندما يبلغ مرحلة التمييز والعقل ، تتملكه عادة رؤية هذه الموجودات طيلة سنين دونما اعتبار بها . . فيصبح أسيراً لهذه العادة ويصبح نظره الى الأشياء لا يرشده الى وجود خالق عظيم عالم قدير . . . باختصار يصبح نظره اليها نظر عادة لا عبرة .

يدلنا على ذلك أن الانسان اذا رأى شيئا لم يره من قبل تراه يقول مباشرة « الله أكبر » ما أعجب هذا المخلوق . . في حين أنه هو أعجب .

والخلاصة ان واجب الانسان بعد أن يبلغ مرحلة العقل أن يعتبر بكل ما يراه ويتنبه لدلالته على وجود الله وعظمته وقدرته وعلمه .

﴿ وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ يوسف ١٠٥ .

ما أكثر الآيات التي يعرض الناس عنها فلا يعرفون الله من خلالها .

يجب التأمل بدقة في كتاب الوجود ليدرك الانسان عظمة الله ووحدانيته .

« من كانت روحه متجلية فان كل العالم لديه كتاب الحق تعالى » .

اقرأ « توحيد المفضل » :

لكي تتعلم طريقة التفكير في آيات الله وتتدرب عليها . . اقرأ الكتاب الشريف « توحيد المفضل » الـذي يشتمل على حـديث الامام الصـادق عليه السلام على أربعة مجالس في بيان آيات الله في السماء والارض وما فيهما . . وبيان علائم قدرة الله وعلمه في خلق البشر ، ولزيادة البصيرة في طريق التفكير تذكر هنا عدة قصص :

قصة السلطان الكافر والوزير المؤمن :

يحكى أنه كان في قديم الزمان ملك كافر وكان له وزير موحد مؤمن وذات يوم فكر الوزير بطريقة لهداية الملك وحمله على التفكير ، فأمر باقامة بناء فخم في صحراء مقفرة ، وأمر أن تغرس حوله أنواع الشجر والورود . . وبعد اكتمال البناء والغرس . . مر الملك والوزير في طريقهم الى الصيد بالقرب من ذلك البناء . . فتعجب السلطان وسأل من بنى هذا؟ لقد مررت من هنا كثيراً وما رأيت بناء؟ . .

فقال الوزير لعله وجد صدفة دون أن يبنيه أحد . .

فقال الملك : وهل هذا ممكن أو معقول؟

قال الوزيـر : نعم فهنا مجـرى السيل ولعـل السير اقتلع الصخـور من الجبال . . وتكسرت في الطريق . . واقتلع الاشجار من الغابة فتقطع بعضها ليصبح أبوابا وبقي البعض الآخر سـالمـا لينغـرس هنـا . . والـطين احتمله السيل . . وعندما وصل الجميع الى هنا . . انتظم هذا البناء بهذا الشكل .

فقال السلطان : ما من عاقل يقبل بهذا الكلام . ان هذا البناء يشهد بأن مهندساً ومعماراً مدركين عاقلين بنياه . .

يجب أن تبحث عمن بنى هذا البناء هنا .

قال الوزير : انت تقول ان العاقل لا يمكنهُ التصديق بأن بناء كهذا وجد من غير صانع مدرك وعاقل . . فهل هذا البناء أكثر أهمية من بناء جسدي وجسدك وسائر الناس والحيوانات وأنواع النباتات . . وعالم الوجود بهذا النظام البديع المحير . . فهل يا ترى يمكن لعاقل ان يقول ان هذا كله وجد صدفة . . وأن ليس له علة ومُنشىء مريد ، عالم ، ارادة وعلما غير محدودين .

وهكذا استطاع الوزير بهذا العرض الطريف أن يحرك فطرة الملك فأشرق نورها في نفسه وعرف به ربه .

مناظرة علي بن ميثم مع ملحد :

ينقل الشيخ المفيد أن أبا الحسن علي بن ميثم من علماء الشيعة في عصر المأمون دخل ذات يوم على الحسن بن سهل وزير المأمون وإلى جانبه ملحد قد عظمه والناس حوله فتألم ابن ميثم لذلك وقال للوزير :

« لقد رأيت ببابك عجباً . . قال : وما هو؟ قال رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب بلا ملاح ولا ماصر (حبل يوضع بين جانبي النهر لتعبر بواسطته السفينة) .

فقال الملحد للوزير : إن هذا أصلحك الله لمجنون قال ابن ميثم فقلت : وكيف ذاك؟ قال : خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل كيف يعبر بالناس؟

فقال أبو الحسن (ابن ميثم) : فأيما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى ، وهذا النبات الذي يخرج من الأرض والمطر الذي ينزل من السماء تزعم أنت أنه لا مدبر لهذا

كله وتنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر وتعبر بالناس .

قال : فبهت الملحد »[٥٣] .

بياض البيضة وصفارها :

دخل أبو شاكر الديصاني وهو زنديق على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : يا جعفر دلني على معبودي فقال أبو عبدالله عليه السلام : إجلس ، فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال أبو عبدالله عليه السلام : ناولني يا غلام البيضة فناوله إياها ، فقال أبو عبدالله عليه السلام :

يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة ، تختلط بالفضة الذائبة ، ولاالفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبراً ، فأطرق ملياً ثم قال :

أشهد أن لا إلّه إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه ، وأنا تائب مما كنت فيه[٥٤] .

لا نفاد لكلمات الله :

من نافلة القول أن الانسان لا يستطيع احصاء آيات الله وشواهد وحدانيته

---

(٥٣) الفصول المختارة للشيخ المفيد/٤٦ وبحار الأنور ج١٠/٣٧٤ وتجد فيهما عدة مناظرات لعلي بن ميثم رضوان الله عليه تدل على قوة شخصيته وحجته، وقد ذكره في تنقيح المقال تحت الرقم (٨٥٣٥) وقال إنه «إمامي جليل».

(٥٤) بحار الأنوار ج٣/ ٣١-٣٢.

ولو أن الاشجار صارت أقلاماً . . والبحار حبراً . . تنفد الأقلام وتنفد البحار ولكن آيات الله لا تنفد ولا تنتهي . .

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ الكهف ١٠٩ .

ذلك ان كل موجود هو كلمة من كلمات الله تشهد على علم خالقها وقدرته ووحدانيته وعدم محدوديته ذاتا وصفاتا .

« كل ورقة من ورق الشجر الأخضر هي لدى العاقل دفتر في معرفة الخالق » .

لا بد من قوة فوق الانسان :

أيها القارىء العزيز : تأمل جيدا في حالاتك أنت والآخرين . . ما أكثر الأعمال التي ينوي الانسان نية قاطعة على انجازها . . ثم بعد برهة قصيرة تنتفي هذه النية تماما ، وما أكثر الأمور التي ينوى الانسان تركها بكل تأكيد ثم يفعلها ، وما أكثر الأمور التي يهيء مقدماتها بحيث يصبح تحققها قطعياً لكنها لا تتحقق ، بل أحيانا يتحقق ضدها . .

أليست هذه التغيرات شاهداً كبيراً على وجود قدرة فوق قدرة الانسان . . وهي قدرة الله رب العالمين كما تقدم في مبحث الشرك .

« اذا كان محول الحال هو الناس لا القضاء فلماذا تسير الأمور خلاف رغبة الناس ، اننا ننوي ألف نية ولا يتحقق منها شيء كما نتصور ، ولا يستطيع أحد أن يعترض فيقول : كيف ولماذا ، لأن تقدير الأمور ما وراء الكيف واللماذا »[٥٥] .

---

(٥٥) مضمون ثلاثة أبيات من الشعر الفارسي .

ولمزيد من التوضيح يشار الى بعض القصص الدينية المشهورة :

شداد لا يرى الجنة التي بناها :

خلاصة قصة شداد المذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ كما يلي :

بنوا له بأمره مدينة كل ضلع منها أربعون فرسخا . . وكانت مبانيها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وزينوها بأشجار من الذهب الأحمر والأسلاك البيضاء . . ووضعوا عليها بدل الفواكه الجواهر . . وصبوا في القنوات عوضا عن الحصى اللؤلؤ والمرجان .

وعندما تم بناؤها أخبروا شداداً ليذهب لافتتاحها . . ولكنه جاء أجله ومات قبل أن يصل اليها .

يطارد بني اسرائيل ولكن :

طارد فرعون النبي موسى (ع) وبني اسرائيل بجيش قوامه ستمائة ألف مقاتل حتى يرجعهم ويعذبهم . . وكان متأكدا أنه منتصر عليهم لا محالة . . وعندما وصل الى النيل رأى أنه قد فُتح في النيل اثنا عشر طريقا سلكها بنو اسرائيل ونجوا ، فسلك فرعون وجيشه تلك الطرق وعندما أصبحوا جميعا وسط البحر أطبق الماء عليهم بأمر الله وغرقوا جميعاً .

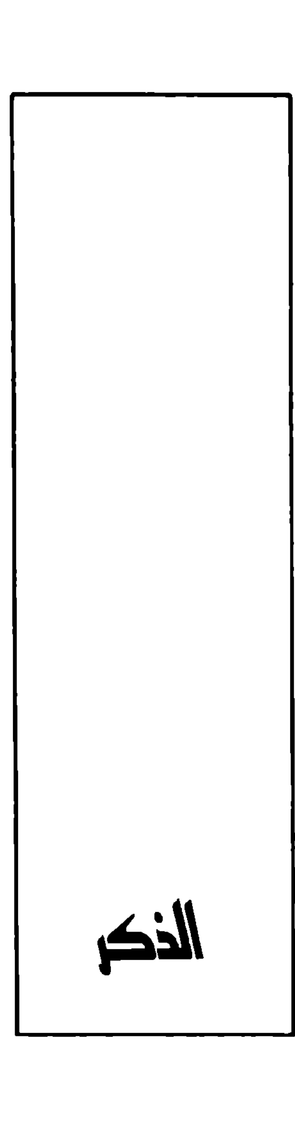
نمرود ، أبرهة ، سليمان (ع) :

القى نمرود النبي ابراهيم في النار المضطرمة ليقتله . . ولكن ابراهيم لم يحترق وخرج منها سالماً . . وقتل نمرود بالنتيجة على يد أضعف مخلوق وهو البعوضة .

وأبرهة توجه نحو مكة على رأس جيش جرار مستخدماً الفيلة المدربة على

الحرب . . بهدف هدم الكعبة المعظمة . . ولكنه لم يحقق غايته وأرسل الله عليهم طير السنونو . . يحمل كل طير ثلاث حصيات وضربوا بها ذلك الجيش فمزقوه شر ممزق .

والنبي سليمان عليه السلام قال ذات يوم : أريد أن أستريح اليوم فلا يراجعني أحد بحاجة وصعد الى سطح القصر واتكأ على عصاه فجاءه ملك الموت وقبض روحه .


الذكر

عندما ترى المخلوق . . تذكر الخالق . . . :

ذكـر الله على قسمين : واجب ومستحب . . والواجب منـه في ثـلاثـ موارد :

الأول : عند مشاهدة المخلوقات . . فانه يجب أن يتذكر الإنسان خالقه وموجدها فيعرف قدرته وحكمته اللامتناهيتين . . وكذلك سائر صفاته الكمالية . . ويُدرك أن نعمه التي لا تحصى هي منه تعالى فيستشعر حبه تعالى .

وعندما يعرف الانسان الله ويحبه عن طريق ذكره عند رؤية مخلوقاته . . فإن استمرار هذه الحالة فيه مستحب . . أي يستحب أن يذكر الله عندما يرى أي شيء من مخلوقاته . . وعندما يواجه أية نعمة من نعمه . . ولا ينسى الله أبدا بوجه من الوجوه[1] .

---

(١) المراد أن غير المؤمن بالله تعالى يجب عليه ذكر الله تعالى عند رؤية مخلوقاته سبحانه حتى يصل إلى الإعتقاد به عزّ وجلّ ويحبه فإذا بلغ هذه المرتبة يصبح ذكر الله عند رؤية مخلوقاته مستحباً بالنسبة له. (المترجم).

وهذه المرتبة من الذكر هي أفضل العبادات كما مر عند الكلام على التفكر ، وقد أشير في عدة آيات من القرآن المجيد الى هذه المرتبة من ذلك قوله تعالى : **﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾** آل عمران ١٩١ .

أي الذين لا ينسون الله سبحانه ولا يغفلون عنه نهائياً وفي أية حال .

ويقول تعالى : **﴿ فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾** الاعراف ٧٤.

وفي هذه الآية اشارة الى أن في ذكر الله الصلاح . . وفي الغفلة عنه الفساد .

ويقول تعالى : **﴿ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾** البقرة ٢٠٠ .

ذكر الله أكثر من ذكر الأب :

كان العرب في الجاهلية يقضون أياما في منى بعد انتهاء أعمال الحج وينشغلون فيها بالتفاخر شعراً ونثراً . . وفي هذه الآية المتقدمة يأمر الله سبحانه المسلمين أن يشتغلوا بذكر الله بعد انتهاء أعمال الحج أكثر مما كان العرب في الجاهلية يذكرون آباءهم في هذه الفترة . . لأن الأب واسطة في التربية ليس الا . . وهو في هذا مسخر من الله سبحانه . . وهذه التربية هي في الحقيقة كسائر النعم التي لا تحصى وكلها من الله سبحانه . . فاذن يجب شكره هو سبحانه والافتخار به والاتكال عليه .

﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ البقرة ١٩٨ ، أي ويجب ذكره سبحانه في نعمة الهداية التي هي من النعم المعنوية . . وعدم الغفلة عنها . . والالتفات انها من

الله عز اسمه .

﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ الجمعة ١٠ .

استمرار ذكر الله عند كل نعمة :

وخلاصة القول أن ذكر الله عند كل نعمة حيث أنه وسيلة معرفته سبحانه وحبه والايمان به فهو واجب . . أما الاستمرار في الذكر عند كل نعمة فهو مستحب وموجب للقرب منه تعالى وسبب للاستفادة من منزلة الشاكرين . . ولكن يجب أن يعلم أن استمرار الذكر عند كل نعمة أمر صعب وشاق ولا يقدر عليه الانسان . . لأن النعم الالهية على كل انسان لا تحصى ولا تعد[٢] . . وغفلة الانسان اللااختيارية كثيرة جداً .

فمثلاً احدى النعم الالهية جهاز التنفس الذي يعمل في اليوم والليلة ـ ٢٤٠٠٠ ـ مرة بسهولة في حين ان قسماً مهماً من عمله يكون أثناء النوم ، وفي اليقظة تمنع الانشغالات الانسان عن الانتباه الى هذه النعمة وقد أجاد سعدى الشيرازي في بيان هذه النقطة :

كل نفس ينزل يمد الانسان بالحياة . . وكل نفس يصعد يفرح الانسان . اذن في كل نفس نعمتان . . وكل نعمة يجب الشكر عليها . .

«يد من ولسان من يمكنهما أداء حق شكره » .

« العبد الأفضل هو الذي يعتذر لله عن تقصيره » .

« والا فإن أحداً لا يستطيع القيام بحق الألوهية » .

---

(٢) **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** ابراهيم ٣٤.

« نحن وجميع كروبيي الملأ الأعلى لا نستطيع وصف حمدك »[٣] .

نسوا أنفسهم :

كما ان ذكر الله سبب في ازدياد المعرفة والحب والسعادة في الدارين : ففي مقابل ذلك الغفلة عن ذكر الله التي هي سبب الشقاء والحرمان ونسيان الإنسان نفسه . . أي لأنه نسي الله فسينسيه الله نفسه ويحرم في النتيجة من منزلة تحصيل السعادة التي هي الإيمان والعمل الصالح .

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ الحشر ١٩ .

أي لم يستفيدوا من الدنيا أي فائدة أخروية .

لا يفهم من نفسه الا البدن :

توضيح الفكرة : إن من الثابت بالبراهين العقلية والنقلية أن حقيقة الانسان هي هذه النفس ، والبدن بمنزلة واسطة نقل ووسيلة أعمال النفس . . وكل حركات البدن فانما هي من النفس ، وبفساد الجسد وموته تنفصل الروح عنه ولكنها لا تفنى ، بل تبقى في عالم الملكوت وتخلد وتظل تتنعم بآثار أعمال الخير التي أدتها بواسطة الجسم كما أنها اذا كانت قد أدت أعمال شر فانها تظل في عذاب دائم .

الانسان الذي نسي الله في الدنيا ولم يعرفه ، ولم يتجه اليه ، فهو في النتيجة ينسى أيضا ذاته وحقيقته هو ويظن أنه هو فقط ذلك الجسد ، وحياته فقط بضعة أيام في الدنيا ، انه يحسب أن الموت فناؤه الحقيقي ، وهو لذلك يجعل كل همه تأمين حياته المادية وسلامة جسده ، بحيث أنه يجتنب أصغر الأمور

(٣) مضامين أبيات لسعدي الشيرازي .

التي يعتبرها مؤثرة على سلامته البدنية ، ولكنه لا يجتنب أبدا الأشياء (الذنوب) التي تقضي على سلامة نفسه . .

اذا ابتلي بمرض عادي بسيط فإنه ينهمك بعلاجه بواسطة الطبيب أو الدواء أو عملية جراحية . . ولا يتردد في صرف المال والوقت لذلك أبدا . . أما مرضه النفسي الذي سيظل يعاني العذاب من أجله آلاف السنين في عالم البرزخ . . فإنه لا يحسب له أي حساب .

ان من الواضح أن هذا ناتج عن نسيان الذات الذي هو نتيجة طبيعية لنسيان الله .

لا نقول اذا مرض البدن فلا يداوه ، بل تجب معالجته حتى يتمكن فعل الخير بواسطة البدن السليم . . ولكن المفروض أن يكون الاهتمام بمرض النفس أكثر بآلاف المرات .

وطبيعي أن الانسان يفعل ذلك عندما يعرف نفسه ولا ينساها وهذا انما يكون فيما اذا عرف ربه وجعله نصب عينيه دائما .

« لا تبن بيتاً في أرض الناس وانصرف إلى عملك لا تشتغل بشيء غريب عنك » (لا علاقة لك به) .

« من هو هذا غريب جسدك الترابي (الروح) الذي أنت مغموم لأجله » (أي الجسد الترابي) .

« ما دمت تقدم لبدنك الدسِمَ والحلو فلن ترى جوهر الروح سميناً » .

« ولو أن الجسد وضع في المسك فعند الموت سيدب إليه العفن » .

« لا تمسح المسك على الجسد بل امسحه على القلب وليكن مسك الإسم الطاهر ذي الجلال » .

« أنت يا أخي هذا « الفكر » والباقي عظم وألياف » .

« إذا كان الفكر ورداً فأنت زهرية (مزهرية) وإذا كان شوكاً فأنت حطب الموقد »[٤] .

ذكر الله عند الواجبات والمحرمات :

المورد الثاني من موارد وجوب الذكر . . هو حينما يواجه الانسان واجبا أو محرما . . فهنا يجب ذكر الله وأداء ذلك الواجب وترك المحرم . .

مثلاً : في شهر رمضان . . لا يترك الصيام ، وفي موسم الحج ، يؤدي الحج اذا اجتمعت فيه شرائط الوجوب ، في موعد رأس سنته المالية ، اذا وجب عليه خمس أو زكاة فليؤد ذلك فورا ، وعند حلول بلاء ومصيبة . . فليذكر الله وليصبر على ما أصابه . . وليطمئن قلبه بأمل حصوله على الثواب . .

واذا واجه مستحباً . . فليذكر الله بمقدار استطاعته وليؤد ذلك المستحب . . مثلاً : عندما يلتقي بالمسلمين لا يترك الابتداء بالسلام . . واذا سلموا عليه فيجب أن يرد السلام حتما . أو صلة الرحم . . اذا كانت بحيث يعتبر تركها عرفا قطع رحم فهي واجبة . . مثال ذلك عيادة الرحم في مرضه أو مساعدته على مصيبة ألمت به . . وفيما عدا ذلك فان صلة الرحم مستحبة ، والاهمال فيها لا ينبغي . . .

وكذلك عند مواجهة أي محرم . . فان من الواجب أن يتركه . . ولا ينسى الله وعند مواجهة المكروهات فلا يهمل قدر المستطاع وليتركها مثلاً : اذا

---

(٤) مضامين سبعة أبيات من الشعر الفارسي .

سنحت نظرة حرام فليذكر الله وليغض بصره ، واذا تناهى الى سمعه غناء محرم فلا يستمع اليه . . أو فليبتعد عنه ويتخلص منه . . واذا وقع في يده مال حرام فلا يتصرف به . . . واذا خطرت له كلمة حرام فلا يُجْرها على لسانه ولا يتلفظ بها . . وباختصار : لا ينسى الله في أية حال وليطع أوامره سبحانه ، (وكذلك في المكروهات) .

وهذا هو المراد من الذكر الكثير في القرآن الكريم حيث ورد مراراً ﴿ واذكروا الله كثيراً ﴾ وقد ورد بيان هذا المعنى في عدة روايات عن الامام عليه السلام .

أحسن الأعمال وأصعبها :

عن الامام الصادق عليه السلام (وفي رواية أخرى أصعب الأشياء) التي أوجبها الله على عباده ، ثلاثة ، وفي رواية أخرى : ما امتحن المؤمن بشيء أصعب من ثلاثة :

١ ـ الانصاف مع الناس : أي أن تنصف الناس في سلوكك معهم فلا ترضى لهم بشيء الا اذا كنت ترضاه لنفسك .

٢ ـ المواساة : أي واس أخاك في الدين في مالك . . ابذل له اذا كان فقيراً . . أو محتاجاً .

٣ ـ ذكر الله في كل حال وليس المراد به أن يدور اللسان بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (مع أن هذا ذكر) لكن المراد أنك اذا واجهت شيئا أمر الله بادائه أديته . . أو أمر بتركه تركته[٥] .

---

(٥) قال الصادق عليه السلام : سيد الأعمال ثلاثة ، انصاف الناس من نفسك ، حتى لا ترضى بشيء الا رضيت لهم مثله ، ومواساتك الأخ في المال ، وذكر الله على كل حال ليس =

وقد جاء في أصول الكافي أربعة أحاديث بهذا المضمون .

أهم أقسام الذكر :

بناء على هذا ، تعلم جيدا أهمية هذه المرتبة من الذكر . . بل انه اذا لم يراع الحلال والحرام في القول والعمل ، فان العبادة البدنية والأذكار اللسانية . . اما لا فائدة فيها ، أو فائدتها قليلة . . وقد ذكر بيان هذا في أول كتاب « الذنوب الكبيرة » وهنا يكفي التذكير بهذه الآية الشريفة :

﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ المائدة ٢٧ .

هذه هي المراقبة :

هذه المرتبة من الذكر أي الالتفات في جميع الأحوال الى أن الله حاضر وناظر وعدم مخالفة أوامره . . هي المراقبة التي هي الوسيلة الوحيدة للنجاة من كل تهلكة والوصول الى أية درجة .

أي كما أن الله سبحانه رقيب (ناظر) على عباده دائما . . وقد وضع على أعمالهم وأقوالهم حفظة حراسا من الملائكة ليسجلوا ذلك كله فعليٌّ ان أكون مراقبا لحضوره ورقابته ملتفتا ان لا تصدر مني في حضرته أية معصية . .

ومن أجل التنوع في مضامين الكتاب تذكر هنا عدة قصص :

درس من قصة يوسف وزليخا :

يقال ان زليخا عندما اختلت بالنبي يوسف عليه السلام وغلقت الابواب

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فقط ولكن اذا ورد عليك شيء أمر الله به أخذت به، واذا ورد عليك شيء نهى الله عزّ وجلّ عنه تركته (اصول الكافي/ الايمان والكفر/ باب الانصاف والعدل).

رفعت حجابها عن رأسها فجأة ووضعته على الصنم الذي كان منصوبا في تلك الغرفة . . فسألها عليه السلام عن سبب ذلك فقالت أردت أن اعانقك وخجلت ان يراني واستحييت منه فغطيته . .

فقال عليه السلام : أنت تخجلين من جماد صنعه البشر . . ولا أستحيي أنا وأخجل من حضور رب العالمين . . ثم ولى هاربا . . وفي النتيجة شهد الطفل في المهد ببراءته وطهارته . . ومن ثم أصبح سلطانا بالتفصيل المذكور في القرآن المجيد[٦] ، وتزوج زليخا بالطريقة المشروعة .

التلميذ المؤمن :

كان أحد العلماء يكرم تلميذاً من تلامذته أكثر من زملائه ويهتم بتربيته ويبالغ بالعناية به وعندما سئل عن السبب قال : ستعرفون يوماً ما ، وذات يوم أعطى لكل من تلامذته دجاجة وقال : اذبحها حيث لا يراك أحد فذهبوا جميعا ثم عادوا وقد ذبح كل منهم دجاجته الا ذلك التلميذ الذي كان الاستاذ يكرمه ويهتم به فانه أرجع الدجاجة حية دون ان يذبحها فسأله استاذه عن السبب فقال : أمرتني أن أذبحها حيث لا يراني أحد . . وحيثما ذهبت رأيت أن الله حاضر وناظر فقال الاستاذ : ان وعيه لرقابة الله . . ومراقبته لحضوره سبحانه هو سبب اهتمامي به أكثر من زملائه[٧] .

كلام الراعي مع ابن عمر :

يقال ان ابن عمر رأى غلاماً يرعى غنماً ، فقال له : بعني شاة . . قال الراعي : ليس الغنم ملكي . . ولم يأذن لي المالك بالبيع . . فقال ابن عمر :

---

(٦) إحياء العلوم للغزالي .

(٧) لوامع البينات للفخر الرازي ص٢٠٦ .

بعني الشاة وخذ ثمنها وقل للمالك : أكلها الذئب . . فقال الراعي : فأين الله؟ .

أي اذا لم يكن المالك موجوداً . . فإن الله حاضر ناظر . .

وقد كان لمراقبة هذا الراعي لحضور الله سبحانه أثر كبير في نفس ابن عمر بحيث أنه ذهب الى مالكه واشتراه وأعتقه . . ثم اشترى قطيع الغنم من المالك ووهبه لذلك العبد المحرر . . وكان ابن عمر فيما بعد يردد كلمة هذا الراعي ويقول : « فأين الله »[٨] .

يسلم الغنيمة النفيسة :

عندما دخل المسلمون المدائن . . وغنموا ما استطاعوا جمعه . . جاء رجل يحمل صندوقاً ليسلمه لبيت المال . . فشك المسلمون فيم يكون هذا الصندوق الذي لم يروا مثله . . وسألوا الرجل هل أخذت منه شيئا . . فقال لولا أني أؤمن بالله وأني اعتقد أن الله مطّلع على خفايا أعمالنا . . لما جئتكم بهذا الصندوق . . فسألوه عن اسمه . . فأقسم بالله أن لا يذكر اسمه حتى لا تنقل قصته فيمدح فيدخله الغرور . . ولما رجع لحق به من يراقبه ليعرفه فاذا هو عامر ابن عبد قيس[٩] .

الذكر اللساني الواجب : الصلاة :

القسم الثالث من ذكر الله ، الذكر اللساني ، والواجب منه الصلوات الواجبة أي الصلوات الخمس في اليوم والليلة وصلاة الميت ، وصلاة الطواف والقضاء عنه أو عن والديه بالتفصيل المذكور في الرسائل العملية .

---

(٨) نفس المصدر.

(٩) الطبري ج٤ ص١٦ . (بتصرف).

وقد ذكرت أهمية الصلاة وعظمتها وثوابها وشدة عقوبة تركها في كتاب «الذنوب الكبيرة» .

والدليل على ان الذكر اللساني الواجب هو الصلاة الواجبة أنه تعالى يقول في سورة الجمعة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ﴾ الجمعة ٩.

وفي سورة طه يقول : **﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾** طه ١٤ .

التسبيحات الأربع ، الدعاء ، الصلوات :

الذكر المستحب أيضا أنواع : التهليل : أي الشهادة بوحدانية الله . التحميد : حمد الله والثناء عليه . والتسبيح : الشهادة بتنزيه الله . التكبير : الشهادة بعظمة الله . ومختصر ذلك كله : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكذلك قول : لا حول ولا قوة الا بالله ومن ذكر الله أيضاً : الدعاء ومناجاة قاضي الحاجات جلت عظمته ومن الدعاء الصلاة على محمد وآل محمد ، ومن الذكر تلاوة القرآن المجيد .

ذكر الله كلما كان أكثر فهو أحسن :

ينبغى أن يعلم أنه ليس لذكر الله حد . . وكلما انشغل الانسان بالذكر أكثر . . كلما كانت فائدته أكثر .

يقول تعالى في سورة الاحزاب : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾** الاحزاب ٤١ ـ ٤٢ .

وقد أورد في « عدة الداعي » الروايات في فضيلة الذكر ولم تنقل هنا

رعاية للإختصار ويكفي ان نعلم أن الفلاح الدائم والسعادة الحقيقية يتحققان عن طريق زيادة الذكر ويقول تعالى : ﴿ **واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ الجمعة ١٠.

وقد ورد عن أهل البيت من أنواع الصلوات المستحبة والأدعية والمناجاة وأقسام الذكر ما لو أراد انسان أن يقضي جميع ساعات ليله ونهاره بالذكر لأمكنه ذلك . .

نسأل الله توفيق الطاعة .

صلاة الليل والمقام المحمود :

لا يفوتنا التأكيد هنا أن أفضل الصلوات المستحبة وأكثرها أثراً النوافل اليومية ، خصوصا نافلة الليل التي هي احدى عشرة ركعة ووقتها النصف الثاني من الليل الى طلوع الفجر ، والآيات والروايات كثيرة حول فضيلة القيام بالاسحار وصلاة الليل والاستغفار بالاسحار .

وخلاصة القول ان كل شخص يبلغ أي مقام في عالم العبادة فان ذلك ببركة القيام بالأسحار كما يستفاد ذلك من الآية الشريفة :

﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ الإسراء ٧٩.

أي ان عليك واجباً اضافياً عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً أي المقام الذي يحمدك عليه جميع الخلق وهو مقام الشفاعة الكبرى ويستفاد من هذه الآية أن صلاة الليل كانت واجبة فقط على رسول الله (ص) ولم توجب على أمته تسهيلاً عليهم بل هي مستحب مؤكد أي اذا سهروا حتى الصباح ولم يصلوا صلاة الليل فلا يستحقون العذاب لذلك . . ولكن ذلك يتسبب بحرمان لا يمكن

أن يجبر . . حرمان من الوصول الى المقامات والدرجات التي أساسها أن يصبح الانسان من شيعة آل محمد .

الروايات والتأكيد على صلاة الليل :

عن الصادق عليه السلام أنه قال : ليس من شيعتنا من لم يصل صلاة الليل[١٠] .

وعن الباقر عليه السلام : من كان يؤمنن بالله واليوم الآخر فلا يبيتن الا بوتر[١١] .

وفي التوقيع المبارك الصادر من الامام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف الى ابن بابويه رحمه الله يؤكد الامام (عج) ثلاث مرات : وعليك بصلاة الليل .

القرآن يثني على القائمين بالاسحار :

أثنى الله سبحانه على القيام بالسحر وصلاة الليل في عدة مواضع من القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾السجدة ١٦-١٧ .

﴿ ما أخفي لهم ﴾ : أي ما ادخر لهم جزاء بما كانوا يعملون من ذلك القيام بالسحر وصلاة الليل .

---

(١٠) البلد الامين للكفعمي .
(١١) علل الشرائع .

وفي مكان آخر يقول تعالى :

﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ الزمر ٩ .

ويعلم من هذه الآية الشريفة جيدا ان الإتيان بصلاة الليل والتضرع بين يدي الله خوفاً وأملاً ، هو علامة العلم والمعرفة والتعقل ، كما ان عدم الاعتناء بذلك علامة الغفلة وعدم التعقل .

« عندما يدرك الشخص طرفا من الحقيقة (ويشم رائحتها) يصبح طبعه قيام الليل »[١٢] .

﴿ ان المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ الذاريات ١٥ـ ١٩ .

والعلامة المجلسي في الجزء الثامن عشر من البحار بعد أن أورد الآيات القرآنية في فضل صلاة الليل أورد أكثر من سبعين حديثاً ونحن نكتفي هنا بذكر واحد منها .

٢٦ ـ خصوصية لصلاة الليل :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاة الليل مرضاة الرب ، وحب الملائكة ، وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وراحة الأبدان ، وكراهية الشيطان ، وسلاح على الأعداء ، وإجابة للدعاء ، وقبول

---

(١٢) مضمون بيت فارسي .

الأعمال ، وبركة في الرزق ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب مع منكر ونكير ، ومونس وزائر في قبره إلى يوم القيامة .

فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه ، وتاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه ، وستراً بينه وبين النار ، وحجة للمؤمن بين يـدي الله تعـالى ، وثقـلاً في الميـزان وجـوازاً على الصـراط ومفتـاحـاً للجنة . . . . »[١٣] .

ذكرت في هذا الحديث ٢٦ خصوصية لصلاة الليل ، أهمهما جميعا نور المعرفة . . اذن من أراد المعرفة واليقين يجب أن لا يفرط بالقيام في السحر وصلاة الليل بل يداوم على ذلك ويواظب حتى يصل الى ما يريد ان شاء الله .

كيفية صلاة الليل :

هي ثمان ركعات بنية صلاة الليل كل ركعتين معا كصلاة الصبح ، تقرأ فيهما بعد الحمد أية سورة أردت بعد ذلك ركعتان بنية الشفع وبعد السلام ركعة بنية الوتر . . واذا كان متسع من الوقت تستغفر في قنوت الوتر سبعين مرة أو مائة أو تقول ثلاثمائة مرة العفو وتطلب المغفرة لأربعين مؤمناً فهو حسن جـداً . . والأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام خاصة الدعاء ٣٢ من الصحيفة السجادية والادعية المنقولة في البحار الجزء الثامن عشـر (ج٨٧ من الطبعـة الجديدة) . . هذه الأدعية ثوابها كبير . . نسأل الله التوفيق للجميع .

مراتب الايمان وقلة اليقين :

قال الامام الرضا عليه السلام : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى

(١٣) بحار الأنوار ج٨٧/١٦١ .

فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسم بين العباد بشيء أقل من اليقين وفي حديث آخر : قلت واي شيء اليقين قال التوكل على الله والتسليم الى الله والرضا بقضاء الله والتفويض الى الله[١٤] .

وقد نقل المجلسي (ره) في شرح هذا الحديث عن بعض المحققين ان العلم والعبودية جوهران وكلما ترى أو تسمع في الكتب الدينية وبيانات العلماء ومواعظ الواعظين فانما هو لاجل هذين (العلم والعبودية) بل ان مجيء الانبياء وبعثتهم وانزال الكتب السماوية أيضا لأجلهما . . بل ان خلق السماوات والأرض وما فيهما هو كذلك من اجلهما . . ويكفي لمعرفة أهمية شرف العلم هذه الآية الشريفة :

﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ﴾ الطلاق ١٢

فقد ذكر سبحانه في هذه الآية الشريفة أن الهدف من ايجاد العالم هو العلم بالله وادراك علمه وقدرته اللامتناهيين كما مر .

ويكفى لبيان شرف العبادة هذه الآية الشريفة : **﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾** الذاريات ٥٦ .

(والعلم والعبادة هما لازم وملزوم وسبب ومسبب . . لأن العلم سبب زيادة العبودية والعبودية سبب زيادة العلم) . والمراد بالعلم هو الدين أي معرفة الله والملائكة الذين هم واسطة الوحي ، ومعرفة كتاب الله أي القرآن ومعرفة يوم الجزاء كما قال هو سبحانه : **﴿ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾** البقرة ٢٨٥ . وقال تعالى : **﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله**

---

(١٤) أصول الكافي ـ كتاب الايمان والكفر.

واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيدا ﴾ النساء ١٣٦ .

ومرد الايمان العلم لأن الايمـان هو التصـديق بشيء على واقعة ولازم التصديق بشيء تصوره حسب الإستطاعة والتصور والتصديق معاً هما العلم .

والكفر مقابل الايمان وهو بمعنى تغطية الحق وعدم قبـوله ومـرد الكفر الجهل .

والايمان في الشرع مختص بالتصديق بهذه الخمسة التي ذكرت : الله ، المـلائكـة ، الكتب السمـاويـة ، الأنبيـاء ، يـوم الجـزاء ، فـالعلم بهـا اذن واجب[١٥] .

وهذا هو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . . طبعاً كل انسان حسب طاقته **﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾** البقرة ٢٨٦ . لأن للعلم والايمان مراتب في القوة والضعف ودرجات في الزيادة والنقصان بعضها أعلى من بعض كما توضح ذلك الاخبار الكثيرة والسبب في ذلك أن الايمان يكون بمقدار العلم الـذي تكون به حياة القلب ، وذلك النور الذي يضيء في القلب بواسطة رفع الحجاب بين العبد وربه كما قال تعالى : **﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾** البقرة ٢٥٧ .

وقال تعالى : **﴿ اومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾** الانعام ١٢٢ .

وعن الامام الصادق عليه السلام : ليس العلم بكثرة التعلم ، انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه .

---

(١٥) الاعتقاد بالائمة الاثنى عشر يتفرع على الاعتقاد بالنبوة.

وهذا النور كالانوار الاخرى منها القوي والضعيف والقليل والكثير .

قال تعالى : ﴿ **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** ﴾ الانفال ٢ .

وقال سبحانه : ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ طه ١١٤ .

وبمقدار ما يرفع الحجاب يزداد هذا النور ويقوى ويتكامل . الى أن يضيىء جميع جنبات القلب وعندها يحظى الانسان بنعمة شرح الصدر ويفهم حقائق الاشياء ويكشف له الغيب (ما وراء المادة والطبيعة) ويرى كل شيء على حقيقته وبمقدار ما يكون حظه من النور وشرح الصدر يتضح له صدق الانبياء فيما أخبروا به اجمالاً وتفصيلاً . . وينبعث فيه الداعي (الميل والارادة) للعمل بكل ما أمروا به واجتناب كل ما نهوا عنه أي توجد فيه ملكة التقوى . . ومن ثم يزداد نور معرفته بأنوار أخلاقه الفاضلة وطبائعه الكريمة .

قال تعالى : ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ التحريم ٨ .

وقال تعالى : ﴿ **نور على نور** ﴾ النور ٣٥ .

وكل عبادة تؤدّى بشكل صحيح تهب القلب صفاءاً وتهيؤه لتقبل افاضة النور عليه وشرح الصدر والمعرفة واليقين . . وبعبارة أخرى فان نور هذه العبادة يحمل على زيادة النور وشرحِ الصدر والمعرفِة وقوةِ اليقين ، وهكذا الى ما شاء الله وعلى كل من ذلك شواهد من القرآن المجيد . والروايات .

واعلم أن أوائل درجات الايمان هي التصديقات المختلطة بالشكوك والشبهات على اختلاف مراتبها . . ويمكن أن تكون مختلطة بالشرك كما قال تعالى :

﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾ يوسف ١٠٦ .

ويعبر عن مراتب الايمان هذه غالباً بالاسلام كما قال تعالى :

﴿ قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ﴾ الحجرات ١٤ .

وأواسط درجات الايمان هي التصديقات المطهرة من كل شك وشبهة كما قال تعالى :

﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ الحجرات ١٥ .

وغالبا ما يطلق لفظ الايمان على هذه الدرجة من الايمان كما قال سبحانه :

﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ الانفال ٢ .

وأواخر درجات الايمان هي هذه التصديقات المطهرة من كل شك وشبهة ولكن باضافة الكشف والشهود ، والذوق ، والعيان ، أي الرؤية بعين القلب وبذائقة القلب ، ومحبةُ الله التامة والشوق التام اليه سبحانه كما قال تعالى :

﴿ يحبّهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ المائدة ٥٤ .

ويعبر عن هذه المرتبة من الايمان باليقين كما قال تعالى :

﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ البقرة ٤ .

كما يعبر عنها بالاحسان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه[١٦] .

وقد أشير الى هذه المراتب الثلاث للايمان في هذه الآية الشريفة :

---

(١٦) أصول الكافي .

﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ المائدة ٩٣ .

وكما أن الايمان ثلاث مراتب بالتفصيل المذكور فان الكفر كذلك له ثلاث مراتب أشير اليها في الآية الشريفة :

﴿ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ النساء ١٣٧ .

اذن نسبة الاحسان واليقين الى الاسلام كنسبة الايمان الى الاسلام .

ولليقين أيضا ثلاث مراتب : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين كما أشير اليها في هذه الآيات :

﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين، لتروّن الجحيم، ثم لترونها عين اليقين ﴾ التكاثر ٥ ـ ٧.

﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ الواقعة ٩٥ .

والفرق بين هذه المراتب الثلاث يتضح بذكر مثال : مثلا علم اليقين : عندما ترى دخاناً يتصاعد يحصل لك العلم بوجود النار . وعين اليقين يحصل عند رؤية النار نفسها . . وحق اليقين يحصل عند الاحتراق بتلك النار وليس فوق هذه المراتب الثلاث شيء وليست قابلة للزيادة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

(انتهى ما أورده العلامة المجلسي رحمه الله)[١٧] .

---

(١٧) مرآة العقول ج٧/٣٢٨ ـ ٣٣١ (بتصرف).

للفكر ثلاث مراتب :

مقابل درجات الايمان الثلاث التي ذكرت . . فان للكفر أيضا ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى : الشك والترديد والوسوسة في أحد الأمور الخمسة (الله ، الرسول ، الملائكة ، القرآن ، الآخرة) كما يقول تعالى في القرآن المجيد : ﴿ **وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ﴾ التوبة ٤٥ .

المرتبة الثانية : الانكار أي أنه رغم كونه شاكاً في الحق متردداً ولا يعلم صحته أو عدم صحته فانه ينكره كما في القران المجيد : ﴿ **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون** ﴾ النحل ٢٢ .

وأكثر ما يطلق لفظ الكافر على هذه المرتبة .

المرتبة الثالثة : معاداه الحق . . أي بالاضافة الى شكّه وانكاره . . يتصدى لمخاصمة الحق ويعمل على اثبات أنه باطل ليقضى عليه كما يقول تعالى :

﴿ **ان الذين يحادّون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين** ﴾ المجادلة ٥ .

وكما تتفاوت درجات السعادة والثواب الاخروي باعتبار درجات الايمان كذلك تتفاوت دركات الشقاء والعذاب الاخروي باعتبار مراتب الكفر .

وفي كل مراتب الكفر اذا طابق الظاهر الباطن . . أي طابق قوله وفعله شكه وترديده أو انكاره أو مخاصمته فهو كافر . . أما اذا خالف ظاهره الباطن ، فهو منافق .

وعليه فللنفاق ثلاث مراتب : اظهار الايمان رغم الشك في الباطن ،

التصديق بالحق ظاهراً رغم الانكار القلبي ، اظهار موافقة الحق وتأييده رغم العداء الباطني . . وعذاب المرتبة الثالثة أشد أنواع الوان العذاب ودركه هو الاسفل[١٨] .

﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ النساء ١٤٥ .

نموذج لأهل اليقين :

« قال إسحاق بن عمار ، سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه (أي يغفو) مصفراً لونه ، قد نحف جسمه ، وغارت عيناه في رأسه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وأله من قوله وقال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي ، وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها ، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم ، وكاني أنظر الى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ، ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون ، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون ، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان ، ثم قال له : إلزم ما أنت عليه ، فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي

---

(١٨) أي ان المنافق الذي يظهر الإيمان هناك ثلاث حالات قلبية له: ١ ـ أن يكون في قلبه شاكاً بالحق. ٢ ـ أو منكراً للحق دون إعلان للحرب عليه. ٣ ـ أو منكراً للحق معلناً للحرب عليه وهذه المرتبة هي الأشد.

صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر »[١٩] .

العين والأذن واللسان تصبح إلّهية :

عن الإمام الباقر عليه السلام : لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال يا رب ما حال المؤمن عندك؟ إلى أن يقول : وما يتقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت إذاً سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته[٢٠] .

ضلال الصوفية :

قال المجلسي رحمه الله في شرح هذا الحديث : « وقال الشيخ البهائي برّد الله مضجعه : هذا الحديث صحيح السند وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصة والعامة وقد رووه في صحاحهم باختلاف يسير » ثم أورد شرح الشيخ البهائي رحمه الله لفقرات هذا الحديث ومنها قوله في شرح فقرة « سمعه الذي يسمع به » حيث يقول : «تمسك بعض الصوفية والإتحادية والحلولية[٢١] والملاحدة بظواهر تلك العبارات وأعرضوا عن بواطن هذه الإستعارات فضلوا وأضلوا » إلى أن يقول : لهذه العبارات « معان واضحة ظاهرة تقبلها الأذهان ومبنية على مجازات واستعارات شائعة في الحديث والقرآن » .

---

(١٩) الكافي ـ كتاب الإيمان والكفر ـ باب حقيقة الإيمان/ ج٢ وفي حديث آخر في نفس المصدر أن هذا الشاب هو حارثة بن مالك ابن النعمان الأنصاري.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) الصوفيون أو المتصوفة يراد بهم الذين يميلون إلى الزهد ويتجاوزون في مسلكهم الأحكام الشرعية ولا يتقيدون بها، والإتحادية القائلون بوحدة الله ومخلوقاته، والحلولية القائلون بحلول الله في مخلوقاته.

وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله آراء العلماء في شرح هذا الحديث وذكر رأيه هو ، ورعاية للإختصار يذكر هنا المعنى الذي نقله عن الشيخ البهائي عليه الرحمة .

من ذاق علم :

يقول الشيخ البهائي رحمه الله : لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنية وإشارات سرية وتلويحات ذوقية تعطر مشام الأرواح ، وتحيي رميم الأشباح ، لا يهتدي إلى معناها ولا يطلع على مغزاها إلا من أتعب بدنه في الرياضات وعنىً (اتعب) نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم ، وأما من لم يفهم تلك الرموز ولم يهتد إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدنية وانهماكه في اللذات البدنية فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردي في غياهب الإلحاد والوقوع في مهاوي الحلول والإتحاد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ونحن نتكلم في هذا المقام بما يسهل تناوله على الأفهام :

كناية عن كمال الحب والقرب :

ويضيف عليه الرحمة هذه التعبيرات مبالغة في القرب ، وبيان لاستيلاء سلطان المحبة على ظاهر العبد وباطنه وسره وعلانيته ، فالمراد والله أعلم أني إذا أحببت عبدي جذبته إلى محل الأنس وصرفته إلى عالم القدس وصيرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت وحواسَّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت ، فينبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه ويمتزج بالمحبة لحمه ودمه إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حسه فيتلاشى الأغيار في نظره حتى أكون له بمنزلة سمعه وبصره كما قال من قال :

جنوني فيك لا يخفى ونـاري منك لا تخبو

فأنت السمع والأبصار والأركان والقلب

انتهى[٢٢] .

والروايات في درجات الإيمان ومقامات أهل اليقين كثيرة فليراجعها من أرادها في كتاب الإيمان والكفر في أصول الكافي .

والهدف هنا تذكير القارىء العزيز بأن لا يقنع بأي مستوى كان من مستويات الإيمان ومراتبه ، بل ليطلب اليقين وليطور مراتبه الثلاثة ، ولترغيب القراء يذكر هنا باختصار قسم من آثار اليقين وبركاته وردت الإشارة إليها في كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام .

الآثار العظيمة لليقين :

إذا شمل لطف الخالق سبحانه عبداً ، وأفاض على قلبه نور اليقين بحيث يضيء جميع جنبات قلبه ، فإنه يطهر من جميع الرذائل ويتحلى بجميع الأخلاق الفاضلة ﴿ **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ الفرقان ٧٠ .

قال الإمام الصادق عليه السلام : اليقين يوصل العبد إلى كل مقام سني ومقام عجيب كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عظيم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى بن مريم كان يمشي على الماء قال لو زاد يقينه لمشى في الهواء[٢٣] .

وفي مقدمة هذا الكتاب نقلت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها إن من آثار التوكل الرضا والتسليم والتفويض .

---

(٢٢) مرآة العقول ج٧ / ٣٩٠ـ٣٩١ ولم يورد الشهيد دستغيب البيتين اللذين أوردتهما هنا .

(٢٣) سفينة البحار ج٢ / ٥٣٤ .

علامات اليقين :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : يستدل على اليقين بقصر الأمل وإخلاص العمل والزهد في الدنيا[٢٤] .

وقد روي عنه عليه السلام أن الصبر والزهد والصدق والرضا ثمرة اليقين أي أن شجرة اليقين الطيبة عندما تزرع في أي قلب فإن ثمرتها هذه الصفات الفاضلة والملكات المحمودة .

الراحة في اليقين والهم في الشك :

قال الصادق عليه السلام : إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرَّوح والراحة في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[٢٥] .

توضيح ذلك . ان صاحب اليقين يعلم أن جميع الأمور بيد الله القادر ، وكل ما لم يقع فلأنه سبحانه لا يريده ، وكل ما وقع فلأنه أراده وهو أيضاً يعلم أن الله حكيم رؤوف ، ولذا فهو لا يحزن لعدم وقوع ما كان يحب وقوعه ولا يقول يا ليته كان وقع ، كما أنه لا يتحسر على وقوع ما لا يحب ولا يقول : يا ليته لم يقع .

﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ الحديد ٢٢-٢٣ .

يعلم من هذه الآية الشريفة أن أهل اليقين كما أنهم لا يحزنون على أي

---

(٢٤) الغرر للآمدي .

(٢٥) الكافي .

شيء لا يحصلون عليه أو يخسرونه فإنهم لا يفرحون بما يصلهم ولا يتكبرون أو يصيبهم العجب لما يحصلون عليه لأنهم يعرفون أنهم عبيد الحق تعالى ، وكل ما لديهم ملكه ، ولا يرون لأنفسهم أي استقلال في مقابله كي يعتريهم الكبر أو يصيبهم العجب .

الإطمئنان في جميع الأحوال :

وصاحب اليقين أيضاً لا يعرف الإضطراب إلى نفسه سبيلاً مهما كانت النوازل والمصائب لأنه لا يرى نفسه وحيداً ، ويعتقد أن جميع الأمور من الله فلا يفسح مجالاً لأي اضطراب بل يكون في قمة الأمن والإستقرار ينتظر ما يفعل به الخالق العالم القادر .

إنه يعلم أنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإرادة الله وإرادته سبحانه لا تقضي إلا بما فيه الخير والصلاح ولذا فإنه مطمئن لا يعرف الإضطراب . . وهذا السبب هو الذي يجعل المرض والصحة ، العزة والذلة ، الثراء والفاقة ، الرفعة والضعة ، المدح والذم الحياة والموت كلها على حد سواء عنده .

حقاً إن السعادة والإطمئنان الواقعيين في الدنيا والآخرة ليسا إلا لأهل اليقين .

﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ الأنعام ٨٢ .

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ الفتح ٤ .

وخلاصة القول إن الإطمئنان والإستقرار والأمن وراحة القلب هي من آثار اليقين كما أن الوحشة والإضطراب والحزن والهم من آثار الشك .

لا يخشى إلا الله ولا يرجو غيره :

وصاحب اليقين كذلك لا أمل له ولا طمع بأي مخلوق ولا يخشى أي مخلوق ، إن خوفه فقط من ذنوبه . . كما أن أمله فقط بعطاء ربه وفضله .

﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ آل عمران ١٧٣ - ١٧٤ .

قيمة العمل باليقين :

يجب الانتباه الى ان مقامات الاخرة ودرجاتها هي بحسب اليقين ومراتبه . . وكذلك الأجر والثواب على العبادات . . أي كلما كان يقين العابد أقوى كلما كان ثوابه أكثر وقيمة عمله أهم قال الصادق (ع) : إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين[٢٦]

وقال(ع) : ان امير المؤمنين (ع) قال : لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وان الضار والنافع هو الله عز وجل[٢٧]

اهتمام أولياء الله باليقين :

« سمع امير المؤمنين (ع) رجلاً من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال (ع) : نوم على يقين خير من صلاة في شك » .

والآيات والروايات في فضل الايمان واهله وشرف العلم وأهله ينصب

---

(٢٦) المصدر السابق حديث ٧ .

(٢٧) نهج البلاغة .

أكثرها على اليقين . ومن هنا كان الانبياء والاولياء يسألون الله تعالى هذه المرتبة .

قال الصادق (ع) : ثلاث تناسخها الانبياء من آدم حتى وصلن الى رسول الله (ص) كان إذا أصبح يقول : اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي[٢٨] .

قال الكليني عليه الرحمة وقد زاد بعض الاصحاب في هذا الدعاء « حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت يا حي يا قيوم برحمتك استغيث ، أصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين أبداً وصلى الله على محمد وآله» .

وكان رسول الله (ص) يقرأ هذا الدعاء دائماً : « اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما يبلغنا رضوانك ومن اليقين ما يهوّن به علينا (كذا) مصيبات الدنيا اللهم أمتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا يا ارحم الراحمين» وقد ذكر هذا الدعاء في مفاتيح الجنان في أعمال ليلة النصف من شعبان والمداومة على هذين الدعاءين ودعاء مكارم الاخلاق من الصحيفة السجادية نافع جداً .

وصية الإمام الباقر (ع):

كان جابر الجعفي من خواص شيعة الإمام الباقر (ع) وقد زوده سلام الله عليه بست نصائح ولانها طريق السعادة في الدارين وضالة كل عاقل كان لا بد

---

(٢٨) الكافي ، كتاب الدعاء حديث/ ١٠ .

من إيضاحها :

قال (ع) لجابر الجعفي :

١ ـ وتخلص الى راحة النفس بصحة التفويض .

التفويض هنا هو إيكال الامور كلها صغيرها وكبيرها الى الله وعدم طلب ما لم يرده سبحانه .

حيث ان رغبات الانسان لا تنتهي وحيث ان عالم المادة محدود مليء بالمنغصات ولا يصل الانسان فيه الى واحد من الالف من رغباته . . فإن الاستقرار الحقيقي للبشر محال قطعا . . اللهم إلا إذا وصل بنور المعرفة الى مقام « التفويض » أي يتخلى عن رغبات نفسه ولا يريد إلا ما أراده له الله العالم والحكيم ويقنع بما يحصل عليه ويرضى ولا يتحسر على ما فاته كما تقدم في الحديث النبوي المشهور : أول العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الامر اليه .

وهل تنفع العبد الاماني :

نقل عن احد الاعاظم ان احد العبيد كان سبب يقظته من نوم الغفلة ودفعه نحو تحصيل المعرفة والعبودية فقد رأى ذات يوم في سوق النخاسين عبدا واراد ان يشتريه فاقترب منه وقال :

ما اسمك؟

قال : أي شيء تناديني به .

ـ أشتريك؟

ـ إذا أردت .

ـ ماذا تأكل .

ـ أي شيء تطعمنيه .

ـ وماذا تلبس؟

ـ أي شيء ألبستني .

ـ وما هي مواصفات سكنك؟

ـ حيث أسكنتني .

ـ وما هذه الاجوبة أيها العبد؟

ـ وهل تنفع العبد الاماني .

وكأنما كان ذلك الشخص نائما وانتبه . . فلطم على رأسه قائلا :

يا ليتني تعاملت في كل عمري يوما واحدا مع مولاي الحقيقي هكذا .

٢ ـ واطلب راحة البدن باجمام القلب .

كلما كان الانسان حريصا على الدنيا وازداد سعيه للوصول الى الآمال والاهواء فسيتجلى ذلك حرمانا له من نعمة الطمأنينة وهدوء الأعصاب . . وهذا يترك آثاره السلبية على جهازه الهضمي وسائر أجهزته فيربكها ويتعب الجسد ولا علاج لراحة الجسد وسلامته أفضل من إجمام القلب باجتناب التشتت بين الآمال والاهواء(٢٩) .

---

(٢٩) لدى ملاحظة معاني جمّ وأجمّ نجد أن الاساس فيها الجمع والراحة وكأن مراد الامام (ع) هو جمع القلب المشتت بالرغبات ليتسنىّ له أن يستريح فيرتاح البدن وهو المعنى الذي اختاره المؤلف الشهيد رحمه الله راجع المعجم الوجيز والتحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي (المترجم).

٣ ـ وتخلص الى اجمام القلب بقلة الخطأ

غير خاف ان كل نكبة وشقاء يحل بالانسان فهو من آثار الذنوب . . وإذا تأملت في احوال الاشخاص الذين يبتلون بأمراض الحرص ، البخل ، الحسد ، الحقد ، الكبر ، سوء الظن وحب الدنيا يتضح لك هذا الأمر بكل جلاء أية آلام يحملها هؤلاء . . . وأي شقاء وعذاب يعانون . . . بحيث يصل الأمر بهم الى الرضا بالموت وقد اشير الى ذلك في عدة مواضع من هذا الكتاب .

٤ ـ وتعرض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات

يأتي الكلام عن رقة القلب في القسم الثاني من الكتاب واعظم وسيلة للتحلي بها هي ذكر الله في الخلوات خصوصا في حال السجود فقد روي « إن العبد اذا أطال السجود حيث لا يراه أحد قال الشيطان واويلاه أطاعوا وعصيت وسجدو وأبيت»[٣٠] .

وروي عن الإمام الصادق (ع) إن أبي كان يقول : اقرب ما يكون العبد من الرب وهو ساجد يبكي[٣١] .

وفي القرآن الكريم : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾

الحزن ينير القلب :

٥ ـ واستجلب نور القلب بدوام الحزن

أي أن أفضل سبل الوصول الى إنارة القلب هي دوام الحزن والمراد به هو

---

(٣٠) ثواب الأعمال للصدوق /٥٦ عن أمير المؤمنين (ع) .

(٣١) عدة الداعي ـ ١٦١ .

طلب نور اليقين كالأم التي ضلَّ عنها ابنها العزيز وقلبها دائما معه يبحث عنه ويعمل للعثور عليه كذلك ينبغي ان يكون المؤمن يبحث دائماً عن نور اليقين ويفتش عنه وكل همه الوصول إليه وما دام لم يصل فهو لا يعرف الاستقرار ابداً وهذه الحالة علامة من هو من اهل الآخرة كما أن علامة من هو من أهل الدنيا أنه إذا وصل الى بغيته المادية اطمأن ولا يبقى في قلبه أي حزن وغم إلا الوصول الى هوى آخر من أهوائه

﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ يونس ٧ .

ينبغي اخفاء الحزن :

لا بد من التذكير بأن الحزن من العبادات القلبية وقد روي : إذا اراد الله بعبدٍ خيراً جعل في قلبه نائحة من الحزن[٣٢] وعليه فلا يصح أن يظهر المؤمن حزنه القلبي للناس حذراً من الرياء والابتلاء بمعصية الشرك بل ينبغي أن يكون ظاهره بخلاف باطنه أي أن قلبه مليء بحزن الآخرة وظاهره مسرور كما روي :

- « المؤمن حزنه في قلبه وبشره في وجهه » .

٦ ـ وتحرز من ابليس بالخوف الصادق .

أي أن الشخص الذي يخاف حقيقةً من الله تعالى ويحترق بنار الخوف . . لا يمكن أبداً أن يغويه الشيطان . . . وفي نهاية المطاف لن تضره نيران الشياطين ويأتي مزيد إيضاح لذلك في القسم الثاني .

نحو فهم أفضل لليقين:

اليقين الذي هو الطريق الوحيد للسعادة والوصول الى الدرجات والذي هو

---

(٣٢) عدة الداعي .

أمنية جميع العظماء هو نور يسطع في القلب من قبل الله تعالى . . . وبسببه يتضح الحق والواقع للانسان ويعتقد به بحيث لو أن المنكر للحق طرح عليه مئات الشبهات والوساوس فلن يؤثر فيه ذلك أبداً ولا يغير من قناعاته على الاطلاق .

تماماً كالشخص الذي يرى من بعيد دخاناً والسنة اللهب ، فيعتقد أن في ذلك البيت ناراً . . . عندها لن يستطيع احد أن يصرفه عن هذا الاعتقاد .

اليقين الصادق :

وبسبب النور الذي أضاءه سبحانه في قلب الانسان ستوجد في قلبه كذلك الآثار واللوازم لذلك الذي عرفه واعتقد به كالشخص الذي يرى ألسنة النار من بعيد تتصاعد من بيته ويتيقن أن بيته يحترق فلازم هذا اليقين أن يبادر الى إطفاء النار فإذا لم يبادر لذلك ولم يهتم أبداً فهو إما قد سيطرت عليه الغفلة أو أن شبهة ما جعلته يعتقد أن أثاثه لا يحترق ولذا لم يصدر عنه أي ردُّ فعل ومثل الشخص الذي يخاف من جنازة ميت وضعت معه في غرفة مظلمة ومقفلة مع أنه موقنٍ أن الميت لا يستطيع ان يفعل شيئاً أو يتحرك . . . ولو كان حيّاً لما خاف منه فلماذا يخاف منه الآن وهو ميت؟

إذن سيطرت قوة وهمه على قوة عقله . . . وأصبح لا يمكنه أن يعمل بلوازم يقينه التي منها عدم الخوف من الموتى .

ولعل جملة « ويقيناً صادقاً » الواردة في آخر دعاء أبي حمزة إشارة الى اليقين الذي لا ينفك عن آثاره ولوازمه .

مثلاً : اليقين بأن الله تعالى عالم بصير وحاضر ناظر لازمه الخجل من حضوره وترك ما يتنافى مع الأدب والعبودية كما أن لازم اليقين بالقدرة التي لا تتناهى التوكل عليه في كل الأمور وعدم الخوف من غيره .

ولازم اليقين بأنه الرازق عدم تجرع الغصص من أجل الرزق . . . كما أن لازم اليقين بأن كل الامور بتقديره وتدبيره لا يقدر لعباده إلا ما فيه حكمتهم ومصلحتهم ـ لازم هذا اليقين ـ الصبر والرضا والتسليم والتفويض وترك الحرص والبخل . . .

وكذلك أنواع اليقين الأخرى التي تأتي الاشارة اليها .

منزلة شرح الصدر :

وقد أشار القرآن المجيد الى نور اليقين هذا في عدة مواضع :

١ ـ ﴿ **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه** ﴾ الزمر ٢٢ .

٢ ـ ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**(أي يرى به الحق) **كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ الانعام ١٢٢.

٣ ـ ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله** (أي يكله الى نفسه) **يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾الانعام ١٢٥ .

« لما نزلت هـذه الآية سئـل رسول الله (ص) عن شـرح الصدر مـا هو فقال (ص) نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح صدره وينفسح قالـوا فهل لذلك امارة يعرف بها؟ فقال (ص) نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت »[٣٣] .

شبهة الجبر :

حيث ان هذه الآيات الشريفة تبين أن نور اليقين وشرح الصدر والهداية

---

(٣٣) مجمع البيان.

هي من الله (تعالى) وكذلك الظلمة وضيق الصدر والضلال بالنسبة للكافر ـ فهي ايضاً من الله . . . فقد تطرح في ذهن القارىء شبهة الجبر فيقول :

بناءً على هذا فإن المؤمن لا يستحق مرتبة ودرجة كما أن الكافر لا يستحق العقوبة والعذاب لان هداية المؤمن وضلال الكافر ليسا باختيارهما .

وإضافة الى ذلك فإن اضلال الكافر يتنافى مع العدل . . . والخلاصة قد يتبنى شخص هذا الرأي الموافق لمذهب الجبر وهو خلاف الوجدان القطعي والعقل الصريح والأدلة النقلية . . .

من هنا كان لابد من بيان معنى الهداية باختصار ليتضح أن الأمر ليس جبراً .

الهداية التكوينية للجميع :

الهداية التي هي من افعال الله على نوعين : تكوينية وتشريعية .

الهداية التكوينية الإلّهية هي أن الله الحكيم هدى جميع أنواع المخلوقات وأرشدها الى طريق الوصول الى الكمال حيث تظهر خصائصها وأرشدها الى طريق الحصول على ما ينفعها والتخلص مما يضرها وقد أودع في كيانها هذه الهداية حين خلقها كما يتضح ذلك جيداً لدى التأمل في رشد أنواع النباتات ونموها وظهور خصائصها ، والتأمل في ابدان الحيوانات وكيفية توالدها وتناسلها ، وتأمين المسكن ، والبحث عن الغذاء ، واظهار خصائصها مثل صناعة العسل وبناء خلايا النحل وتشير الى هذا النوع من الهداية الآية الشريفة :

﴿ **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ طه ٥٠ .

أي : أعطى كل شيء من أنواع المخلوقات الصورة المناسبة لحاله

المنسجمة مع كماله المطابقة للمنفعة المرتبطة به ثم هداه ودله على كيفية الاستفادة من ذلك والوصول الى الكمال اختياراً وبالطبع

﴿ **والذي قدر فهدى** ﴾ الأعلى ٣ .

الهداية التشريعية عامة وخاصة :

الهداية التشريعية الإلٓهية هي من الأمور التي يجب أن تنفذ باختيار الانسان وارادته وهي التي تؤمن سعادته الحقيقية وحياته بعد موته وهي عبارة عن الاعتقادات الصحيحة والاعمال الحسنة التي من أجلها كان مجيء الانبياء والأمر والنهي وقيام القيامة والثواب والعقاب .

هذا النوع من الهداية على قسمين : عامة وخاصة .

الهداية العامة بمعنى الارشاد وإراءة طريق النجاة والسعادة مثلاً : فقير يريد أن يوصل نفسه الى شخص كريم ليقضي حاجته ، أنت تعطيه العنوان الصحيح والعلامة المميزة لمنزله وتخبره بالوقت الذي يمكنه ان يراه فيه بحيث أنه إذا التزم بذلك سيصل الى ما يريد .

الهداية الخاصة هي أن لا تكتفي باعطاء العنوان والعلامة بل تذهب معه وفي الطريق تقوي أمله وتذلل له الصعاب وتساعده الى أن يحقق ما أراد .

الفطرة ، الأنبياء ، الكتب السماوية ـ هداية عامة

الهداية العامة هي تلك التي أودعها الله تعالى في فطرة الإنسان وكيانه وأوضحها اكثر واتم حجته على جميع الخلق بارسال الانبياء والكتب السماوية .

بعبارة ثانية جعل سبحانه جميع الاعتقادات الصحيحة وتمييز الأعمال السليمة والميل إليها أمراً فطرياً للإنسان ثم ارسل النبي والكتاب لشرح تلك الفطريات وبيانها وتشير الى هذه المرتبة من الهداية الآية الشريفة : ﴿ **إنا هديناه**

السبيل إما شاكراً وإما كفورا ﴾ الدهر٣.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ البلد ١٠ .

وهذا النوع من الهداية يتساوى فيه جميع البشر وحجة الله على جميع الخلق تامة ولا عذر لأولئك الذين لم يسيروا ويصلوا الى النجاة والسعادة إلا أولئك الذين يعانون نقصاً عقلياً أو لم يصل إليهم أبداً ما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم ، هـذان القسمان معـذورات ولأن حجة الله عليهم ليست تامة فهم لا يعذبون ويعاملهم الله برحمته الواسعة ، هذان القسمان يوصف كل منهما بأنه « جاهل قاصر » فيما يوصف كل من أولئك الذين رفضوا الهداية بأنه « جاهل مقصّر »

بعد هذه المقدمة يعلم أن الآيات التي ورد فيها أن الله تعالى لا يهدي الكافرين ، الفاسقين ، الظالمين ، يراد بها الهداية الخاصة والمرتبة الثانية من شعب الفضل الإلّهي وهي زائدة على العدل .

متى تحصل الهداية الخاصة :

حينما يقبل العبد الهداية الأولى ويؤمن . يشمله الله بالطافه ويؤيده بتوفيقه ويحفظه من وسوسات إبليس الى أن يصل الى حيث ينير الله قلبه بنور اليقين ويمنحه شرح الصدر . . .

وفي المقابل إذا لم يقبل العبد الهداية الأولى بل أنكرها يكله الله الى نفسه جزاء لأعماله ولا يهبه التوفيق ويختم على قلبه ويتركه في ظلمات الجهل والغفلة الى حيث يصل انى مرحلة لا يـرى فيها الحق أصـلاً ولا يبحث عنه ويصبح قلبه مركز وسوسة الشيطان . . . هذا معنى إضلال الله وهدايته .

﴿ **يثبت الله الذين آمنوا** (قبلوا الهداية الاولى) **بالقول الثابت** (العقائد

الصحيحة) في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين (الذين لم يقبلوا الهداية الاولى) ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ ابراهيم ٢٧ .

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ محمد (ص) ١٧ .

﴿ ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه ﴾ التغابن ١١ .

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴾ يونس ٩ .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت ٦٩ .

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ الانعام ١٢٥ .

جزاء القبول والإنكار :

بعد التأمل في هذه الآيات ونظائرها يتضح جيداً أن زيادة الايمان ونور اليقين وشرح الصدر وسائر التوفيقات والالطاف المعنوية وباختصار : « الهداية الإلّهية الخاصة » تأتي في مرتبة بعد الهداية الأولى التي هي عامة وأن كل ايجابيات الهداية الخاصة هي جزاء للإيمان والتسليم في مقابل الحق وكما أن ما يقابلها وهو ضيق الصدر وظلمة القلب وعمى الباطن والإضطراب الداخلي والوساوس الشيطانية وباختصار : « الإضلال الإلّهي » كل ذلك يأتي بعد انكار الحق وعدم قبوله وهو جزاء له كما يقول الحق سبحانه :

- ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ البقرة ٢٦ . .

- ﴿ كذلك يضل الله الكافرين ﴾ غافر ٧٤ .

- ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ ابراهيم ٢٧ .

- ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ التوبة ١٩ .

- ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ النحل ١٠٧ .

- ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ﴾ النحل ١٠٤ .

هذه الآيات الشريفة وغيرها صريحة في أن الهداية الخاصة وإلاضلال الإلهي (الترك) ليس جزافاً وبلا مبرر وما لم توجد قابليته وطلب حقيقي له فلن يتحقق أي أن العبد إذا قبل مرتبة من مراتب الهداية الأولى التي اعطيت للجميع يصبح جاهزاً لمرتبة من مراتب الهداية الثانية (الخاصة) .

الطريق الى الهداية الخاصة:

إذا حصل الالتزام والعمل بما تقدم حول مرض الشك من التخلية والتحلية والفكر والذكر تصبح جاهزية الإنسان واستعداده كاملين لتلقي إفاضة اعلى مراتب الهداية الخاصة وهي عطاء نور اليقين ومراتبه والخلاصة كل شيء يهتم العبد به ويحصل على الإستعداد له ويصبح هو مطلبه الحقيقي فإنه يعطى له . . إذا كان مطلبه هو درجات الهداية يرفع . . . وإن كان ما يطلبه دركات الإضلال يهوي .

﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ الاسراء ٢٠ .

ما يجب اليقين به:

تقدم ذكر وجوب تحصيل اليقين وعظمته وآثاره ومراتبه وطريق الوصول اليه وتقدم أيضاً أن من الواجب أن يكون اليقين صادقاً وتاماً بحيث يسطع نوره في جميع أنحاء القلب وتتجلى فيه آثاره والآن يجب ان نعرف ما هي الامور

التي يجب اليقين بها وعليه نقول :

كل الامور الاعتقادية التي أمر في القرآن المجيد والسنة القطعية بالعلم بها واليقين بها ، يجب تحصيل اليقين بها وقد أشير اليها في هذا الكتاب وتذكر هنا كفهرست لتذكير القارىء :

١ ـ التوحيد الذاتي :

أي اليقين بأن حضرة واجب الوجوب الذي جميع عالم الخلق مخلوق له والكل قائم به ومرتبط بـه هو« واحـد » بالتفصيـل الذي مـر في بحث الشرك ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا هو** ﴾ محمد ١٩ .

٢ ـ التوحيد الصفاتي :

وهو اليقين بأن جميع الصفات الكمالية مثل العلم ، السمع ، البصر ، الكلام ، الأزلية ، الأبدية وكل كمال مرجعه الى علمه وقدرته كل ذلك عين ذاته المقدسة جل جلاله :

﴿ **هو بكل شيء عليم** ﴾ الحديد ٣ ﴿ **وهـو على كل شيء قـدير** ﴾ الحديد ٢ .

﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾ الإسراء ١ . أي يعلم بجميع مـا يرى ومـا يسمع دون حاجة الى عين وأذن كالإنسان .

﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ النساء ١٦٤ أي أوجد كلاماً بدون حاجة الى آلة أي لسان كلسان الانسان .

﴿ **وتوكل على الحـي الـذي لا يمـوت** ﴾ الفـرقان ٥٨ أي كـان دائماً وسيكون وينبغي اليقين بأن ما في المّخلوقات من صفات كمالية إلهية كله من عطائه سبحانه :

﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة** ﴾ الروم ٥٤ .

﴿ **نجعلناه سميعاً بصيرا** ﴾ الانسان٢ .

﴿ **علمه البيان** ﴾ الرحمن ٤ أي الكلام والخلاصة ان أي مخلوق نال خطأً من أصل الحياة وشؤونها وكمالات مراتبها فكل ذلك فيض عطاء الحي بالذات جل جلاله .

ويجب اليقين أيضاً بأن كل نوع نقص وضعف في المخلوقات لا وجود له في الله مثلاً ليس جسماً ، ليس مركباً من شيء ، ومن هنا فلا يرى بالعين الحيوانية ، وليس له مكان بل هو خالق المكان ، ليس محلاً لعروض أية حادثة ، لا سبيل للنوم والتعب والضعف إليه ، فهي من لوازم الجسم وباختصار : لا يتصور فيه جل جلاله أي نوع احتياج ومن هنا يعلم ان الصفات الإلهية لا حدّ لها ولا نهاية أي لا يمكن القول أن قدرة الله وعلمه هما الى الحد الفلاني .

وبعد اليقين بتوحيد الصفات الإلّهية يجب السعي لكي يكون هذا اليقين صادقاً أي مستقيماً وصحيحاً بمعنى أن يستقر نوره في القلب ويتغلب على الوهم والخيال ثم تظهر آثاره .

مثلاً الشخص الذي يعتقد أن الله عالم وقادر بلا حدود ورحيم بعباده . . . يجب إذن أن يكون اعتماده عليه وأن يكون خوفه ورجاؤه مرتبطين به وراضياً بما أراد لعبده كما أن من لوازم اليقين بأن الله لا مكان له وهو مع المخلوقات في كل مكان ، حياء حضور الله في الجلوة والخلوة وعليه يجب ان لا يصدر منه ما ينافي أدب العبودية .

﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ الحديد ٤ .

كما أن من لوازم اليقين بأن العزة والعلم والعظمة والكبرياء من الصفات

المختصة بالله أن لا يرى الموقن لنفسه ولا لأي من المخلوقات عزة وعظمة . . . فإذا كان في قلبه ذرة من كبر فإن ذلك يتنافى مع اليقين المذكور . . . بل يجب أن يكون دائماً وفي جميع الأحوال متواضعاً .

﴿ وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ الجاثية ٣٧ .

٣ ـ التوحيد الأفعالي:

وهو اليقين بأن كل ما ارتدى لباس الوجود في عالم الخلق وكل خاصية تظهر من أي مخلوق بل كل حالة وعارضة هي جميعها من الله . مثلاً : نبات ينبت من الأرض . . . الله أنبته ، شكله وجماله من الله ، رائحته العطرة من الله ، خاصية الشبع ، أو الشفاء ، التي تحصل في بدن الحيوان والانسان من أكله هي من الله ، النحلة ، أصل وجودها من الله ، ذكاؤها وتمييزها في بناء خليتها ووقوعها على النبات العطر ، والعسل الذي تعطيه ، كل ذلك من الله ، وكذلك أثر العسل في البدن وشفاؤه بعض الأمراض أيضاً في ظروف خاصة ، ذلك أيضاً من الله ، بدن الانسان أصل خلقه وتركيبه العجيب من الله ، وظهور خاصية كل عضو منه هو أيضاً من الله ، الحالات العارضة عليه كالنوم ، واليقظة ، الصحة والمرض ، الحزن والفرح ، الضحك والبكاء ، الثراء والفقر ، العزة والذل ، النصر والهزيمة ، الخوف والأمن ، الشبع والجوع تمييز الحسن والقبح ، القوة والضعف وغير ذلك ، كله من الله إلى حدّ أن كل الأفعال الإختيارية أي الأعمال التي يقوم بها الإنسان باختياره وارادته كالمشي والجلوس ، والكلام ، الكتابة ، الاكل الشرب ، اللبس ، البناء ، الخياطة ، وسائر الامور الإرادية كل ذلك متوقف على ادامة القدرة والإرادة والمشيئة الإلّهية والخلاصة كل عمل يريد الانسان القيام به متوقف على دوام إعطاء الله له الحياة

والقدرة وأن يكون ذلك الفعل مطابقاً لمشيئة الله وإرادته وإلا فلا يتحقق . إن خالق جميع الكائنات والعوارض والحالات هو الله كما أن الرازق لها هو الله ومحييها ومميتها هو الله ولا شريك له في أصغر تصرف في عالم الوجود ، وكل شيء بإذنه ومشيئته وإرادته وقضائه وقدره ،(بيده الملك) ، والتصرف بشكل عام في عالم الخلق ، هو فقط بيد الله المقتدرة . وأما اليقين الصادق بالتوحيد الأفعالي فإن الشخص الذي أيقن بأن كل شيء هو من الله بالتفصيل الذي مر . . فإن كل ما يصيبه إذا كان مريحاً أي نعمة فيجب ان يشكر الله ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ النحل ٥٣ . وإذا لم يكن مريحاً فيجب ان يصبر لان فعل الله ليس بلا حكمة ومصلحة وهذا البلاء اختيار ﴿ **ولنبلونكم بالشر والخير فتنة** ﴾ الأنبياء ٣٥ .

وكثيراً ما يكون هذا البلاء كفارة ذنب او سبباً في حصول ثواب وكل بلاء يصيب أي إنسان في هذا العالم فانه سيعوّض .

﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ البقرة ١٥٥ - ١٥٧ . وكذلك من أيقن أن الله هو الرازق وأدرك بحكم العقل وصريح القرآن أن رزق كل متحرك هو في عهدة خالق العالم ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ هود ٦ . وكما ان أصل الرزق من الله فكذلك تقسيمه وقلته وكثرته بحسب مصالح المرزوقين هو أيضاً من الله ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم** ﴾ الزخرف ٣٢ . من أيقن بذلك فإن من لوازم هذا اليقين عدم الحرص وعدم العجلة في طلب الرزق والقناعة بما يصل اليه وعدم الحزن على ما فاته وأن لا يحمل هم المستقبل وأن لا يحسد من كان نصيبه من الرزق اكبر وان لا يستبد به الغضب لذلك أبداً .

وأيضاً من أيقن أن وصول أي شخص الى أي خير ونجاته من أي شر كل ذلك من الله والاسباب كلها مسخرة وخاضعة لإرادة الخالق سبحانه فإن من لوازم هذا اليقين دوام حالة الانقطاع الى الله أي ان لا يخضع ولا يتذلل لأي سبب في أية حالة ونتيجة أية حاجة وأن لا يمد يد الحاجة إلا الى الله تعالى ولا يدعو غيره وعندما يقبل على أي سبب فيجب ان يكون أمله في ذلك هو فقط مسبب الاسباب وأن يكون منتظراً لظهور ما أراده الخالق عز وجل .

ومن لوازم اليقين بأن المنعم في عالم الوجود هو الله فقط أن لا يكون في القلب محبة غير الله وآثار قدرته بمعنى أن لا تكون في القلب محبة أي مخلوق على نحو الاستقلال وأن يكون سبب كل حب في القلب أنه آثار قدرة الله ونعمة المنعم جل جلاله « انا سعيد بالعالم لأن العالم السعيد منه وانا عاشق لجميع العالم لأن كل العالم منه »[٣٤].

وما ذكر من آثار التوحيد الصفاتي والأفعالي فهو نموذج وتذكير ، وما لم يذكر يترك لنور فطرة القارىء العزيز وقلبه المنير وتأمله في آيات القرآن المجيد .

٤ ـ اليقين بالعدل :

بعد اليقين بالتوحيد الأفعالي يجب اليقين بأن الله عادل في جميع الأفعال أي أنه لا يوجد في عالم التكوين وعالم التكليف مثقال ذرة ولا أقل من ذلك من الظلم والجور أما في عالم التكوين فكل مخلوق قد أعطي كل ما له قابلية واستعداد له وكلما يطلبه لسان حاله ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ إبراهيم ٣٤. الذي وضع الأقاليم السبعة أعطاها كل ما يليق بها ولو أن للحمار

(٣٤) مضمون بيت شعر فارسي .

قرني الثور لما ترك الحمار انساناً سالماً ولو أن للقط المسكين ريشاً لمحى العصافير من الوجود[٣٥] وأما في عالم التكليف فأولاً جعل سبحانه الانسان في أعماله قادراً مختاراً ليكون حراً مستطيعاً في طريق الخير والشر وثانياً فإن جميع التكاليف التي كلف الله بها الإنسان عبر النبي لاجتياز طريق الخير هي دون طاقة الانسان ولم يكلف عز اسمه بأي تكليف لا يطاق .

وثالثاً : وقد تجلى كمال عدله في آثار أعمال الانسان أي الثواب والعقاب أو الأجر على الطاعة والعقاب على المعصية بحيث أن عمل الإنسان يحسب له حتى إذا كان أقل من ذرة .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ الزلزلة ٧ ـ ٨ .

بل وعد الله اهل الايمان بالفضل أي الاجر الذي يزيد على الاستحقاق . . . بل إنه سبحانه سيعطي بغير حساب .

﴿ إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ الزمر ١٠ .

٥ ـ التوحيد في الطاعة والعبادة :

أي اليقين بأنه لا أحد غير الله يستحق الطاعة والعبادة .

ومن لوازم هذا اليقين أن لا يطيع الموقن أي مخلوق إلا الذي أمر الله بطاعتهم من النبي والإمام ونائب الإمام والوالدين والزوج بالتفصيل الذي ذكر في كتاب « الذنوب الكبيرة » كما أن من لوازم اليقين بالتوحيد في العبادة ترك عبادة كل مخلوق على نحو الاستقلال بالتفصيل الذي تقدم في بحث الشرك أو

(٣٥) مضمون ثلاثة ابيات.

على نحو الاشتراك بالتفصيل المذكور في بحث الرياء من « الذنوب الكبيرة » .

﴿ آمرَ أن لا تعبدوا إلا إيّاه ﴾ يوسف ٤٠ .

يجب ان يكون العبد خالصاً لله وتقدم معنى الاخلاص في العبودية في بحث الشرك ومما تقدم ـ هنا ـ من آثار اليقين الصادق يُعلم جيداً أن الاخلاق الفاضلة والملكات الحسنة التي هي من العبادات القلبية ومن لوازم الايمان وتحصيلها واجب كالخوف والرجاء ، التسليم ، الاخلاص ، وأمثالها ـ هي جميعاً أوراق وأغصان شجرة اليقين الطيبة بحيث إذا استقام في القلب اليقين الصادق بالتوحيد وشع نوره في جميع أرجائه تتجلى فيه جميع هذه الصفات الحسنة كما أن أضدادها أي عدم الورع ، اليأس ، عدم الحياء ، الكبر ، القسوة ، الجزع ، الكفران ، الحرص ، العداوة ، عبادة الهوى وأمثالها هي جميعاً أوراق وأغصان شجرة الكفر الخبيثة .

ومن هنا كان التأكيد كثيراً في هذا الكتاب على لزوم تحصيل اليقين الصادق على أمل أن يعمل القارىء العزيز بما ذكر وأن لا يقر له قرار قبل ان يصل الى اليقين الصادق ويتحلى ببركته بالاخلاق الفاضلة التي تتضمن سعادة الدنيا ودرجات الآخرة ويتطهر من الرذائل ، وقد أشير في هذا الكتاب الى كل واحد من الاخلاق الحسنة وإذا أراد القارىء المزيد من الاطلاع عليها فليراجع كتاب المحجة البيضاء أو كتاب « معراج السعادة » [٣٦] .

٦ ـ اليقين بالنبوة :

بعد اليقين بأن الله حكيم بحيث أن أصغر جزء من عالم الوجود لم يخلق بدون حكمة وغرض وبعد التفكير وإدراك أن نتيجة الخلق والغاية منه في الأرض

---

(٣٦) معراج السعادة للمولى النراقي (فارسي).

هو الانسان أما النتيجة والغرض من خلق الإنسان فإذا كان هو هذه الحياة المادية المحدودة بحيث يخلق من تراب ثم يدفن فيه ويفنى فإن خلقه ـ إذا كان الأمر كذلك ـ عبث ولغو بل هو اكبر ظلم يقع عليه لأن من لوازم الحياة المادية للإنسان تلك الإبتلاءات المختلفة والمشقات المتنوعة من الأمراض وما شابه كما تقدمت الإشارة الى ذلك .

بعد هذا يوقن العقل بأن للبشر حياة خالدة تنتظره وهو لن يفنى بالموت وستظهر في ذلك العالم الأبدي سعادته التامة التي هي الغرض والهدف من ايجاده ثم يعلم أن على الله تعالى أن يعرف شخصاً من بني البشر تفصيل الحياة الابدية وطريق الوصول الى السعادة الدائمة ليقوم هذا الشخص باطلاع سائر البشر على العالم الأبدي ويفيض عليهم من علمه ويرشدهم الى طريق سعادتهم ويضع القوانين الكفيلة بتنظيم حياتهم الاجتماعية ويقيم لهم الحكومة الإلهية .

ولأجل أن يطمئن الناس الى صدق أقواله ويوقنون أنه من قبل الله تعالى يجب أن تكون معه قدرة من القدرة الإلهية اللا متناهية يعجز سائر الناس عن مثلها أي ينبغي ان تكون معه معجزة .

وبعد العلم بما ذكر والرجوع الى القرآن المجيد والعلم بأنه معجزة بالنحو الذي تقدم في بحث الكفر ، يعلم بيقين أن سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي بالحق ورسول الله وكل ما قاله صدق وما أمر به فاطاعته واجبة ومن جملة الأخبار التي وردت في القرآن المجيد والسنة القطعية المتواترة التصريح بأنه آخر الانبياء ولن يرسل الله رسولاً بعده وقد بين ما يحتاج البشر لعلمه إلى يوم القيامة ومن لوازم هذا اليقين أنه إذا ادعى بشر النبوة بعد رسول الله محمد (ص) وقال أنا مرسل من الله يوحى إليّ ويجب أن يتبعني الناس فهو يقيناً كاذب وادعاؤه باطل ، وإذا صدرت منه ـ نتيجة مجاهدة النفس والرياضات الباطلة وتعلم بعض العلوم الغريبة ـ بعض الاعمال العجيبة والغريبة

أو أخبر بأمور خفية فذلك سحر قطعاً ومن الشياطين وإذا امكن الحؤول دون فساده فإن قتله واجب .

٧ ـ الإمامة :

بعد الرجوع الى الأدلة العقلية والنقلية التي ذكرها العلماء في بحث الامامة (راجع كتاب كفاية الموحدين) وبعد الرجوع الى الروايات المتواترة القطعية يعلم علم اليقين أن أوصياء رسول الله اثنا عشر نفراً ، الثاني عشر منهم أي حضرة المهدي بن الحسن العسكري منحه الله عمراً طويلاً حتى يظهره عندما يرى المصلحة في ذلك ويملأ الأرض عدلاً ، وامامته (ع) متصلة بالقيامة وكل واحد من الأئمة الاثني عشر الذين تجمع كل الفرق الاسلامية على فضيلتهم وعلمهم وورعهم كانت له معجزات قاهرة دونتها الكتب (راجع كتاب مدينة المعاجز) ومن لوازم اليقين بإمامة هؤلاء العظماء اليقين بصدقهم وأن قولهم هو قول رسول الله كما أن قول رسول الله (ص) هو من الله إذن ما هو ثابت وقطعي هو أن قبول توجيهاتهم واطاعتهم واجب ومن جملة ذلك الاخبار بظهور المهدي«عج» بعد غيبة طويلة بالتفصيل الذي ورد في كتب الروايات وتتساوى عند أهل اليقين الغيبة والحضور اللهم عجل فرجه .

٨ ـ البرزخ :

أي الحياة الإنسانية منذ ساعة الموت وحتى القيامة ﴿ **ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** ﴾ المؤمنون ١٠٠ .

يجب اليقين بأن الإنسان لا يفنى بالموت ، وموت الإنسان هو الفصل بين الروح والبدن والقطع التام لعلاقة الروح بالجسد وبعد هذا الفصل يتلف الجسد في التراب ويتلاشى ثم يصبح تراباً بينما تحل الروح في بدن شفاف له شكل الجسد الدنيوي وصورته وهو لشدَّة شفافيته لا يرى بالعين الحيوانية .

ويجب اليقين بأن بعد الموت ستوجه للانسان أسئلة عن عقائده وأعماله ، ويجب ان يعد أجوبة عليها ، وأما معرفة كيفية ذلك وتفصيله فليس واجباً

ويجب اليقين أيضاً بأن في البرزخ ـ إجمالاً ـ ثواباً وعقاباً ، أي أن الإنسان يواجه آثار عقائده وأفعاله ، حتى يصل الى القيامة الكبرى والثواب الكلي الإلهي والجنة الخالدة ، أو نعوذ بالله العذاب الدائم ، وكثير من المؤمنين الذين كانت لهم أعمال قبيحة يسوى حسابهم بذلك العذاب البرزخي بحيث أنهم في القيامة لا يواجهون أية مشكلة وقد ذُكرت شؤون البرزخ في كتاب المعاد فليراجع .

ولازم اليقين المذكور السعي في تمتين المعتقد الحق بحيث يستقر في القلب حتى لا يبقى الانسان عند السؤال عن معتقده (في القبر) مرتبكاً وحيراناً وكذلك لكي يصبح من المبادرين الى كل عمل خير من الواجبات والمستحبات . . . والحاصل أنه ينبغي للإنسان ان لا يغفل لحظة واحدة عن الزرع لحياته بعد الموت لأن الوقت ضيق وموسم الحصاد قريب لأن المسافة بين الانسان وحصاد نتائجه ليس إلا الموت فقط وهو يتهدد الانسان في كل لحظة .

٩ ـ اليقين بالقيامة :

أي اليوم الذي يبعث فيه الأولون والآخرون من البشر ويجمعون ، اليوم الذي يطمس فيه نور الشمس والقمر ، اليوم الذي تنسف فيه الزلازل المتلاحقة الجبال وتذرها كالرمل الناعم ، اليوم الذي تبدل فيه الارض والسماء ، اليوم الذي يتسلم فيه فريق بكل اطمئنان وسرور وابيضاض وجه صحائف اعمالهم بأيمانهم ، وفريق آخر يتسلمونها بمنتهى الشدة والاضطراب والحزن واسوداد الوجه بأيسارهم ، وباختصار إنه اليوم الذي وصفه رب العالمين بأنه « عظيم » بحيث أن عظماء الدين كانوا يخافون عند ذكره ويحزنون ويبكون

ويصرخون . . . وحقاً إن كل صاحب قلب متيقظ يقرأ أوصاف ذلك اليوم في القرآن المجيد ويتأملها لا يقر له قرار ، ويصرف قلبه عن حب الدنيا وشهواتها ويتعوذ بالله تعالى من هول ذلك اليوم .

ولا داعي أبداً لمعرفة متى تقوم القيامة وكذلك معرفة بعض خصوصيات ذلك اليوم وكيفياته فإنه لا لزوم له ولا نفع بل إن السؤال عن ذلك لا مبرر له لأنه من العلوم المختصة بالله .

نعم ينبغي العلم ببعض مواقف ذلك اليوم التي صرح بها القرآن المجيد بل يجب اليقين بها ، وهذه المواقف عبارة عن الميزان ، الصراط ، الحساب ، الشفاعة ، الجنة والنار كما سيأتي .

١٠ ـ الميزان :

﴿ **والوزن يومئذ الحق** ﴾ الاعراف ٨ .

يجب اليقين بأن جميع العقائد والأخلاق والأقوال والافعال لكل شخص توزن في يوم القيامة أي يوزن مقدار قيمة الصالح منها ومقدار الطالح واستحقاق العقوبة عليه . . . وفي صورة اختلاطها يوزن كل منهما ليتضح أيها اكثر وقد تكرر ذكر الميزان في يوم القيامة في القرآن المجيد أما كيفية الميزان وكيف توزن الاعمال وبأية واسطة يتم هذا التدقيق فلا داعي أبداً للعلم به وحيث أنه لم يرد بيانه في القرآن او السنة القطعية فإن السؤال عنه في غير محله .

الواجب هو أن يبحث كل شخص بحثاً دقيقاً في أعماله وعقائده وأخلاقه وأقواله وسلوكه ويزنها بميزان القرآن وآل محمد عليهم السلام وأيضاً : يدقق في ذنوبه في الدنيا ويتوب من كل ذنب توبة تطهره منه قبل أن يحضروه في موقف الميزان .

في تفسير المنهج أن رسول الله (ص) قرأ هذه الآية ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وكان اعرابي حاضراً فقال : يا رسول الله : وهل يعتني الله في القيامة بمثقال ذرة ويعاقب عليه فقال رسول الله (ص) نعم فبكى الاعرابي وارتفع نشيجه وهو يقول : واسوأتاه وافضيحتاه فقال رسول الله (ص) عرف قلب الإعرابي الايمان[٣٧] ذلك ان علامة الايمان واليقين بالميزان الإلهي في القيامة هي التفكير بالذنب وفضيحته هناك . . . لا الأسئلة العبثية مثل السؤال عن جنس صحيفة الأعمال وكيفية ثبت الملائكة وتدوينهم للاعمال ، وكيف تدون جميع أقوال الشخص وأفعاله ، مع الغفلة عن أن هذه كلها أمور ملكوتية وهي فوق الإدراك البشري . . . ويجب على الإنسان الايمان بها اجمالاً واليقين بما اخبر به الله تعالى منها والسعي في محو ذنوبه بالتوبة . . . تلك الذنوب التي دونت في صحيفة عمله وتسلم له غداً .

١١ـ الصراط :

من الواجب اليقين بأنه يوضع جسر على جهنم . . . ويجب ان يمر الخلائق عليه . . . وكل من هو من أهل جهنم يسقط عن ذلك الجسر في جهنم وكل من هو من اهل الجنة يجتازه بسلامة حتى يصل الى الجنة ، والعبور على الصراط مختلف فريق يمر كالبرق الخاطف وفريق آخر يمر على الأيدي والأرجل وفريق ثالث يسحب نفسه ويحبو على الأرض كالطفل . . . ويجعل الله الصراط للمؤمنين عريضاً وللعاصين ضيقاً . . . وسهولة الصراط ووعورته وظلمته ونوره متناسبة مع حالات المارين عليه .

وقد ورد في الروايات أن عقبات المحشر هي على الصراط واهمها عقبة

---

(٣٧) هذا النص بالمضمون وتجد ما يشبهه ـ ولعله هو ـ في نور الثقلين وتفسير كشف الاسرار (فارسي) في تفسير سورة الزلزلة.

المرصاد التي يحاسب فيها على المظالم أي ظلم الناس بعضهم بعضاً . . . ويتجلى فيها العدل الإلّهي وقد ذكر في الروايات أنه يؤخذ من حسنات الظالم بمقدار ظلمه ويعطى للمظلوم ، وأن بعض أهل الايمان الذين يقفون عاجزين في هذه العقبة يرضي الله تعالى خصماءهم وينجيهم بفضله .

١٢ ـ الكوثر والشفاعة :

يجب اليقين بالكوثر وهو نهر في الجنة أو حوض في المحشر طوله ما بين إيلة في البصرة وصنعاء في اليمن ، ماؤه أشد بياضاً من الحليب وأحلى من العسل وأطيب من المسك ، حصاه الياقوت والمرجان والزبرجد فيه من الأقداح عدد نجوم السماء يوجد ريحه من مسيرة ألف عام تفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه : ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلا ، وهو لرسول الله (ص) والساقي عليه أمير المؤمنين (ع)[٣٨] .

وأما الشفاعة فيجب الاعتقاد بأن رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام يشفعون يوم القيامة لأهل الايمان ممن هم على الحق إلا أن بعض الذنوب الكبيرة احاطت بهم . .

ومعنى شفاعتهم لهم أنهم يطلبون لهم من الله النجاة ثم يأخذونهم ويوصلونهم الى الجنة قال رسول الله (ص) في حديث متواتر : ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي[٣٩] .

قال بعض العلماء يستفاد من الروايات ان شفاعة رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام خمسة أقسام :

---

(٣٨) حق اليقين للسيد عبدالله شبر ج٢ / ٢٠١ .

(٣٩) بحار الانوار ج٨ / ٣٤ وحق اليقين ٢ / ٢٠٦ .

١ ـ شفاعتهم للخلاص من هول المحشر وهذه الشفاعة تشمل كل الامم .

٢ ـ شفاعتهم لبعض اهل الإيمان حتى يدخلوا الجنة بغير حساب .

٣ ـ شفاعتهم لرفع العذاب عن مؤمنين استحقوا العذاب بسبب الكبائر .

٤ ـ شفاعتهم لإخراج بعض المؤمنين من النار وقد سقطوا فيها بسبب ذنوبهم .

٥ ـ شفاعتهم لرفع درجة ومنزلة المؤمن الذي تكون درجته متدنية ويجب أن نعلم أن الشفاعة ثابتة في الآيات والروايات لعدة اصناف أي أن الله يأذن لهم بالشفاعة منهم الانبياء ، الشهداء ، الملائكة ، العلماء ، والمؤمنون الكاملون .

ومن الجدير بالذكر أن الاعتقاد بالشفاعة ليس سبباً للغرور والجرأة على الذنب كما قال بعض الجهلة ظناً منهم أن الشفاعة تشمل كل شخص مهما كانت ذنوبه وتجيره من العذاب . لو كانت الشفاعة كذلك لاصبحت سبباً في الجرأة على الذنب والواقع أن الشفاعة مشروطة بالموت على الايمان والدين الحق ومن هو الذي يتيقن أنه سيموت مؤمناً خصوصاً مع ما ورد في القرآن والأخبار من أن ارتكاب الذنوب وعدم الورع وعدم التقيد بالاحكام الشرعية ينتج عنها زوال الايمان والموت على الكفر .

ثم أن الإنسان نتيجة كثرة ذنوبه قد لا تشمله الشفاعة في أوائل مواقف القيامة . . . بحيث يبقى سنين في جهنم ثم يخرج منها بسبب الشفاعة . . . والحاصل ان الأمل بالشفاعة سبب لتقوية الرجاء بالرحمة الإلهية مع الخوف أي الخوف من أن لا تناله الشفاعة . . . ومن هنا أمرنا ان نطلب من الله أن تنالنا الشفاعة .

اللهم ارزقنا شفاعة محمد وآل محمد .

١٣ ـ الجنة :

من الواجب اليقين بأن الله أعد لاهل الايمان مقراً متناسباً مع عظمته وفيه أنواع الضيافات من الأطعمة والأشربة والالبسة والمرئيات والمسموعات والزيجات وانواع اللذائذ الروحية كلقاء العظماء وفي مقدمتهم سيدنا محمد وآل محمد عليهم السلام بالتفصيل الذي ذكر في القرآن المجيد والروايات وهذه النعم واللذائذ هي بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما دام في الدنيا ومن هنا فإن السؤال عن حقيقة الجنة ومكانها وبعض خصوصياتها سؤال في غير محله لأن ذلك فوق إدراك البشر وما لم يصل إليه لا يمكنه إدراكه .

نعم هناك عدة أمور حول الجنة يمكن فهمها وقد اشير اليها في القرآن المجيد ويتم هنا التذكير بها باختصار ودون ذكر شواهد :

أحد هذه الأمور ان الجنة أبدية أي أن كل شخص يتم اسكانه في الجنة فلا مدة لبقائه فيها ولا حد ـ بل يبقى فيها دائماً ولا تسلب منه ـ .

الثاني أنه ليس في الجنة تضاد وتنافر لا في الذوات ولا بحسب الحالات أما في الذوات فإن جميع اهل الجنة منسجمون مع بعضهم وهم في قمة المحبة والانس بحيث ان سعادة ودلال ونعمة كل منهم هي عين سعادة الآخر الى حد أن من الملذات الروحية لأهل الجنة هي الالتقاء والتقابل وتبادل الاحاديث . . والخلاصة لا وجود في الجنة لشخص واحد ليس منسجماً مع الآخر وأما في الحالات فإن اهل الجنة وبمجرد دخولهم الجنة في فرح وسرور لا تواجههم لحظة غم وحزن وهم أيضاً من أول دخولها يمتلكون قوة وقدرة لا يعتريها آن من الضعف . . . وهم شباب لا سبيل للشيخوخة اليهم . . .

وأصحاء سالمون لا مرض يصيبهم . . . مرفهون متنعمون مستغنون لا يشعرون بأية حاجة اعزاء لا يعرفون شيئاً من الذل . . . انهم في حياة لا موت فيها ابداً . . . وسلاطين لا يعزلون والسلطنة على الدنيا كلها لا قيمة لها أمام سلطنة اهل الجنة لأن سلطان الدنيا يتهدده في كل لحظة العزل والمرض والموت . . . ثم إنه يموت قبل ان يصل الى واحد من ألف من امنياته . . . بينما سلطنة أهل الجنة نموذج للسلطنة الإلهية وهي أبدية لا ينغصها شيء والسلطان يحكم هناك في كل لحظة بما أراد . . لغرفته ألف باب تدخل عليه الملائكة بعد استئذان ـ من كل باب يحيونه ويهنونه وإذا اراد استضافة جميع اهل الجنة فباستطاعته ذلك وقد جاء في الروايات وصف سعة ملك اهل الجنة[٤٠] بالتفصيل وتكفي الدقة في هذه الآية :

﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ الإنسان ٢٠ وقد وصف القرآن المجيد الحياة الدنيا وملكها بالنسبة الى الآخرة باللهو واللعب .

ثم إن النعم واللذائذ في الجنة ليست على نسق واحد . . . بل في كل لحظة ـ إذا شاء ـ نعمة جديدة ومظهر مفرح جديد . . .

وفي كل جمعة يزداد كل شخص سبعين ضعفاً . . . ولا يوجد في لذاتها أي نوع من الألم أي أن من هو من أهل الجنة يستطيع أن يباشر في أي وقت اشتهى الأكل والشرب والمواقعة وسماع الانغام المطربة ويمكنه ان يباشر ذلك باستمرار . . . ولا يعرف اهل الجنة الجوع والعطش وألم المعدة وعدم الاشتهاء والتعب والضعف وليس فيهم شيء من القاذورات والاوساخ . . حتى الشعر والظفر لأن كل النعم خالصة وصافية[٤١] .

---

(٤٠) تجد بعض ذلك في تفسير نور الثقلين ج٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ .

(٤١) قد يستغرب أحدنا بعض هذه الأمور . إلا أن ذلك يشبه استغراب الجنين في بطن أمه

وايضاً فإن جميع الموجودات في الجنة وبتأثير الحياة التامة والحقيقة لأهل الجنة تتحلى ـ الموجودات ـ كلها بالشعور بحيث أن طيور الجنة تتحدث مع أهل الجنة واوراق الأشجار تتحرك عندما يهب نسيم الجنة وتغمر النغمات المفرحة لتسبيحها الله وحمدها له قلوب أهل الجنة بالسرور .

كنت احب كثيراً ان اكتب في أوصاف الجنة اكثر من هذا . . . ولكن حيث ان البناء على الاختصار والفهرسة يقتنع بهذا المقدار ولكن أيها القارىء العزيز « متى كان السماع كالمشاهدة » اسع في هذه الايام القليلة التي أنت فيها في الدنيا لتجهز نفسك للوصول الى مضافة الله هذه ، أي تجنب كل نوع من أنواع التلوث والقذارة وأنواع الذنوب وقوِّ روحك بأنواع الطاعات والعبادات واصقل مرآة قلبك وركز فيه محبة الله وأحبائه . . . وتقرب إليه عن هذا الطريق . . . وباختصار تطهر لتحشر في محل طاهر مع الطاهرين ، قم بواجب العبودية لله لتصل الى السلطنة الإلهية كن غلامه وعبده لتصبح السيد المطلق .

١٤ ـ النار :

يجب الاعتقاد بالنار في عالم الآخرة وهي حفرة لا نهاية لها فيها انواع الآلام والعذاب والصعوبات الخارجة عن ادراك البشر بالتفصيل الوارد في القرآن المجيد والروايات وهي في مقابل الجنة ـ التي هي المضافة الإلَهية ـ السجن الإلهي للمتمردين والطاغين من الجن والإنس .

وايضاً في مقابل الجنة التي هي دار السلام ومحل اللينين واصحاب القلوب اللينة والطاهرين فإن النار مستشفى ومحل الغلظاء والفظين والمرضى فالاشخاص الذين لا مجال لعلاج مرضهم القلبي وهم الذين ماتوا على الكفر

= أنه ذات يوم سيتغذى بفمه بدلاً من السرة. . . ومن الخطأ قياس أمور الآخرة بمقاييس الدنيا. (المترجم).

والعناد وهؤلاء ـ بحكم العدل الإلهي الذي هو وضع كل شيء في مكانه المناسب ـ يجب أن يبقوا في المستشفى دائماً ولأنهم لا وجود فيهم لشيء من الانسانية فيجب أن يسلط عليهم مالك النار .

والاشخاص الذين يمكن علاج مرضهم وهم الذين يوجد في قلوبهم ايمان بالحق إلا أنهم لا يمتلكون القلب السليم أي ابتلوا بالمرض القلبي والطباع الحيوانية والأفعال غير الانسانية باختصار العاصون . . . هؤلاء يجب ان يبقى كل منهم في النار بمقدار ما يطهر من تلك الادران إلا إذا نالته الشفاعة قبل الوصول الى الحد الذي قرره له العدل الإلهي وطهرته واوصلته الى الجنة .

ويجب أن نعلم أن ما تقدم ذكره حول أهل الجنة فإن لأهل النار ضده فهم دائماً جائعون عطاشى لا كجوع الدنيا وعطشها . بل إنهم نتيجة ضغط الجوع يرضون باكل الزقوم[٤٢] ولأجل تهدئة عطشهم يرضون بشرب الحميم (ماء النار المغلي) وهم من حيث المكان في ضنك وضيق يشبه ضيق المسمار المثبت في الحائط . . . وهم في ظلام دامس بحيث لا يرى احدهم يده . . . وأما الغصة والحسرة والذلة التي يقيمون فيها فهي خارج ادراك البشر .

وباختصار فإن انواع العذاب في النار التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والروايات هي بحيث اذا اطلع عليها الإنسان وقرأ عنها بقلب خال من القسوة يقف شعر بدنه ويقشعر جلده وينخلع فؤاده . . . ومن هنا كان عظماء الدين عندما يتذكرون ذلك يصرخون ويولولون وأحياناً يغمى عليهم لشدة التأثر والدهشة . . . وذكر احوالهم في ذلك يوجب الإطالة ويجب العلم أيضاً بأن في النار بالاضافة الى أنواع العذاب الجسدي عدة انواع من العذاب الروحي وهي

---

(٤٢) جاء في القرآن الكريم حول الزقوم : ﴿ . . . **شجرة الزقوم، انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين**﴾ الصافات ٦٢ و٦٤ ـ ٦٥ . ﴿ **إن شجرة الزقوم، طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون**﴾ الدخان٤٣ ـ ٤٥ .

أشد من الجسدي . . . ومنها اليأس من النجاة .

توضيح ذلك أن المذنبين الذين يدخلون النار إذا كان في قلوبهم إيمان بالله ولو بمقدار ذرة فإنهم يوضعون في الطبقة الاولى من جهنم وهي سجن مؤقت الى أن يتم اخراجهم بعد انقضاء المدة المقررة لهم ، أما أولئك الذين ليس في قلوبهم ذرة من الايمان فإنهم يوضعون في الطبقات السفلى والسجن المؤبد والأبدي ، وهي ست طبقات وكلما كان شقاء أحدهم أشد كانت دركته دون غيره وأسفل إلى أن يصل الأمر الى أسفل السافلين الذي هو مكان المنافقين . . وبعد ان يوضع كل شخص في طبقته المناسبة تغلق ابواب الطبقات السبع وتقفل وينادى بحيث يسمع الجميع هنا الحبس الابدي ولا يخرج احد ابداً والامر الآخر ـ من انواع العذاب النفسي ـ التضاد والتناكر (التخاصم) بين اهل النار أي انهم جميعاً بعضهم لبعض اعداء . . . وعندما يلاقي بعضهم الآخر يواجهه بالشتم والسب واللوم والتقريع وما اشد جراحات اللسان التي يسمعونها من الشياطين ومالك النار ومساعديه . . إنها تبلغ حداً بحيث أنهم لا يصرخون من العذاب والصعوبات . . . بل يصرخون من خوف الشماتة التي يفوق أثرها اثر العذاب .

وأمر آخر : حسرة اهل النار عندما يرون أهل الجنة ودرجاتهم ويدركون حرمانهم هم . . . عندما تحرق نار الحسرة قلوبهم وتطغى على كل ألوان العذاب التي يرزحون تحت وطأتها .

قد يقال : إن الاعتقاد بالامور الاعتقادية المذكورة في غاية الصعوبة ومشكل جداً بحيث أنه قل أن يصل انسان الى مرتبة اليقين بها . . . فالمؤمنون الذين لم يصلوا الى مرحلة اليقين . . . ما هو حالهم في الآخرة؟ ونقول في الجواب : الأمور الاعتقادية التي يجب اليقين بها والتي ذكرت تحت أربعة عشر عنواناً ذكرت الأدلة والبراهين العقلية والنقلية عليها في هذا الكتاب كما ذكر أيضاً

طريق الوصول الى مقام اليقين بها بحيث لو أن شخصاً وفق بين طريقته ومسلكه وبين ما هو في هذا الكتاب مما أخذ من القرآن والأخبار فإنه سيصل قطعاً الى مقام اليقين . . وطبعاً فإن العمل بهذه التعاليم مكلف وهو الجهاد الأكبر كما عبر رسول الله (ص) ويجب أن يعلم القارىء :

بدون المشقة لا سبيل الى الكنز ويفوز بالاجرة من قد عمل[٤٣] .

إن التدين وعبادة الهوى لا يجتمعان

تريد الحصول على الدنيا وتريد الدين الصحيح فلن تحصل على أي منهما والفلك ليس عبداً لك[٤٤] .

وبمقدار ما وفق الله فقد بذل الجهد أن تكتب هذه المطالب ببيان سهل ليتمكن الجميع من فهمها وعلى القارىء العزيز أن يقرأ ما تقدم وما سيأتي بدقة ويكرر قراءتها ويسأل أهل العلم عن كل جملة لا يفهمها ليهتدي الى طريق سعادته ونجاته . . . عندها يطبق بين طريقته ومسلكه ويكيف نفسه مع المشقة والتعب وعدم الراحة وعدم الأنس على أمل الوصول الى الاستقرار الابدي بالتفصيل الذي مر .

« صبروا أياماً قليلة اعقبتهم راحة طويلة » (نهج البلاغة) أي أن اهل الايمان يصبرون في أيامهم التي يقضونها في الدنيا على مشقة مخالفة النفس فيعوضون عن ذلك براحة لا تنتهي .

أما السؤال عن حال أولئك الذين لم يصلوا الى مقام اليقين ، في عالم ما بعد الموت . . . فبالرغم من أن جوابه قد اتضح مما تقدم إلا أنه نظراً لأهمية

---

(٤٣) مضمون بيت شعر تقدم ذكره .

(٤٤) مضمون بيت شعر فارسي .

السؤال ينبغي بيان ذلك هنا بشكل أوضح .

ثلاثة أمور قبل الإجابة :

١ ـ للنجاة من العذاب والمشاق في الآخرة مراتب :

النجاة من الخلود في النار (الحبس المؤبد) .

النجاة من الدخول في الطبقة الأولى (الحبس المؤقت) .

النجاة من الأهوال والتقصير والانقطاع في مواقف القيامة.

النجاة من الآلام وأنواع العذاب في البرزخ.

النجاة من كل المزعجات منذ ساعة الموت والى الأبد .

٢ ـ ثواب الانسان وعقابه في عالم ما بعد الموت من ثلاث جهات :

الأولى : عقائده أي الأشياء التي اقتنع بها وعقد قلبه عليها ومال اليها وارتبط بها .

الثانية : اخلاقه وطباعه وعاداته والامور الحسنة التي محلها القلب بالتفصيل الوارد في هذا الكتاب .

الثالثة : أقواله وأفعاله اليومية التي يؤديها ببدنه .

٣ ـ بشكل عام فإن العذاب والمشقات تواجه الإنسان في عالم ما بعد الموت إذا كان مقصراً لا قاصراً .

بعد العلم بهذه الأمور الثلاثة نقول :

النجاة من الخلود في النار ، هي للشخص الذي عرف في الدنيا الله خالق العالم وجزم بهذه المعرفة وأحلها مكاناً في قلبه ومال إليها . . ثم مات على

ايمانه القلبي بالله . . . والخلاصة أن لا يكون مضطرباً ومتردداً بالنسبة للاعتقاد بالله بل يكون جازماً مطمئناً بأن له رباً هو خالقه وخالق جميع المخلوقات . . ويموت على العلاقة القلبية به مثل هذا الشخص إذا ابتلي بالعذاب الكثير وألقي في جهنم بسبب تقصيراته في العقائد الأخرى وأخلاقه وأفعاله فإنه لن يخلد في النار وقد صرح القرآن الكريم في عدة مواضع بأن الخلود في النار هو لصاحب التقصير في الايمان بالله (لا لصاحب القصور الناتج عن ضعف عقلي فإن هذا لا يعذب) الذي ضيع فطرته التي وهبها الله له وهي الايمان بالله وأصبح منكراً لله وطغى وتمرد . . والواقع أن القصور لا يتصور في منكر الله بل إن كل شخص منكر لله هو مقصر لأنه لا شيء يحجبه عن ادراك أنه مخلوق لله وعبد وعاجز أمامه إلا طغيان النفس والتمرد فإن الايمان بالله فطري لكل إنسان وأما بالنسبة الى سائر العقائد التي تقدم ذكرها والتي يجب اليقين بها كما مر فإن المكلف معذب إذا قصر في الوصول فيها الى درجة اليقين أما إذا كان قاصراً فإنه لا يعذب ومثال القاصرين في هذا المجال أولئك الذين يعيشون خارج البلاد الإسلامية ولا يسمعون طيلة عمرهم اسم محمد (ص) والقرآن وسائر العقائد المذكورة . . . أو أنهم إذا سمعوها لا يستطيعون البحث عنها والوصول الى درجة اليقين أو انهم باستطاعتهم ذلك إلا أنهم ماتوا قبل الوصول الى نتيجة . . . هؤلاء جميعاً لا يعذبون لأجل عدم اعتقادهم بالمعتقد الصحيح .

أما العذاب على الطبائع المنافية والحيوانية فحيث أن هذه الأمور لا يتصور القصور فيها كما لا يتصور في الايمان بالله فإنهم يعذبون لأجلها ، وذلك لأن وجود كل طبع غير سليم في الانسان سببه تكرار الاعمال غير السليمة وباستطاعة الانسان أن يقضي على هذه الطبائع عن طريق ترك الاعمال القبيحة مثلاً الحسد وجوده في الانسان ورسوخه سببه تكرار الحسد ولو أنه ترك الحسد نهائياً لزال منه ذلك الطبع الشيطاني .

وأما العذاب على الأقوال والافعال المنافية . . فكل ما كان الانسان مقصراً فيه فإنه يعذب لأجله وكل ما كان قاصراً فيه فلا يعذب لأجله توضيح ذلك ان كثيراً من الأقوال والافعال حرام وكل إنسان ليس مبتلى بضعف عقلي يدرك قبحها مثل الزنا ، اللواط ، السرقة ، الظلم ، الخيانة والجناية . . . وهذه الأمور يعذب الانسان لأجلها حتى إذا كان لم يسمع بحرمة ذلك في الدين .

وأما الأعمال المنافية التي لا يدرك العقل البشري ضررها وفسادها فإذا كان الإنسان لم يسمع بحرمتها في الدين ولم يكن سبب عدم سماعه هو التقصير فإنه لا يعذب لأجلها لأنه بمقتضى العدل الإلهي لا يعذب شخص ما لم تتم الحجة عليه .

ومن الجدير بالذكر ان ما ذكر حول ان القاصرين لا يعذبون لعدم اعتقادهم بالعقائد الصحيحة إنما هو خاص بما إذا لم يعتقدوا بالعقائد الباطلة عن تقصير وإلا فإنهم معذبون(٤٥) ثم إنهم محرومون من الدرجات والآثار المترتبة على العقائد الصحيحة . . . وكذلك بالنسبة لأفعالهم فإنهم لا يعذبون إذا تركوا الأفعال الحسنة عن تقصير ولكنهم أيضاً لا يثابون وطبعاً هذه القاعدة مطابقة للعدل ولكن لله الكريم أفضالاً . . .

وقد يشمل بفضله القاصرين فيمن عليهم ببعض مراتب الثواب كما أن له أفضالاً على أهل الايمان منها أنه كلما قرر مؤمن القيام بعمل خير ثم منعه من ذلك مانع فإن الله الكريم يتفضل عليه بثواب ذلك العمل الذي لم يعمله .

﴿ **واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما** ﴾ النساء ٣٢ .

---

(٤٥) أي لو أن شخصاً لم يبلغه الإسلام ولم يكن باستطاعته معرفة شيء عنه ولكنه وبسبب تقصيره أصبح شيوعياً فإنه لا يعذب لعدم اعتقاده بالله تعالى والاسلام إلا أنه يعذب لعقيدته الباطلة التي اعتقد بها عن تقصير (المترجم).

اللهم عاملنا بفضلك .

كونوا مع الصادقين :

حيث أن كل خير ورحمة وفيض من المبدأ الفياض جل جلاله يصل الى أي شخص فهو بواسطة الأئمة المعصومين من آل محمد عليهم السلام وهذا عند الإمامية من المسلمات ويتضح تفصيله جيداً بالرجوع الى فقرات الزيارة الجامعة .. بناءً عليه فإن على الشخص الذي يريد نور اليقين أن يزيد من القرب المعنوي والإتصال الروحي والإرتباط القلبي بآل محمد عليهم السلام .

وإذا حاذى قلبه المزكى تلك الأنوار الإلهية سيصبح قطعاً محلاً لهذه الأنوار كانعكاس الشمس في المرآة المصقولة التي تقع في مقابلها من هنا جاء في القرآن الكريم الأمر بالارتباط المعنوي بعظماء الدين قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ التوبة ١١٩ .

الصدق في مراتبه الستة :

المراد من الكون مع الصادقين هو الموافقة والمتابعة والمراد من الصدق مراتبه الستة أي الصدق في القول ، الفعل ، العزم ، الوفاء بالعهد ، تساوي الظاهر والباطن ، والصدق في مقامات الدين بالتفصيل المذكور في سورة القمر[٤٦] .

إذن هم معصومون :

حيث أمر في هذه الآية الشريفة بالكون مع الصادقين فلا بد يقينا من أن يكونوا معصومين لأن العقلاء يرفضون الأمر بإطاعة الشخص الذي يجوز عليه

---

(٤٦) يراجع كتابي «حقائق من القرآن». حقائقي أزقرآن (فارسي) .

الخطأ (أي قد يخطىء) وقد تبنى هذا الرأي الفخر الرازي في تفسيره ، يقول :

من المسلم أن المراد بالصادقين هم المعصومون ، ومن المتيقن وجود معصوم في الامة دائما لتتبعه الأمة ، ولكن حيث أننا لا نعرف المعصوم فالمراد هنا بالصادقين جميع الأمة(٤٧) .

ونقول في الجواب أن الشيعة الإثني عشرية عرفت المعصوم بواسطة الروايات المتواترة عن رسول الله (ص) والأدلة العقلية والنقلية التي ذكرت في بحث الإمامة فإن المعصومين إثنا عشر أولهم الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي (ع) وهو حي غائب عن الأنظار بسبب بعض المصالح وسيأتي اليوم الذي يظهر فيه ويملأ ذلك العظيم الأرض عدلا .

النبي يعرفنا بالصادقين :

ذكرت في تفسير نور الثقلين وفي تفسير البرهان روايات تصرح بأن المراد بالصادقين هم المعصومون من جملة ذلك ما ورد في الصافي عن الإكمال :

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال في اثناء كلام له في حمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : أسألكم بالله اتعلمون أن الله عز وجل لما أنزل :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ فقال سلمان يا رسول الله عامة هذه الآية أم خاصة ، فقال (ع) : أما المأمورون فعامة المؤمنين

---

(٤٧) النص هنا مترجم عن الفارسية وتجد كلام الفخر الرازي مطولاً ورد العلامة المجلسي عليه في البحار ج٢٤/٣٣ ـ ٣٧ . ولم أورد النص بحرفيته لأنه طويل ولا حاجة إليه (المترجم) .

أمروا بذلك ، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي (ع) وأوصيائي من بعده الى يوم القيامة؟

قالوا : اللهم نعم[٤٨]

تمسكوا بسفينة النجاة :

من جملة الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها بين الشيعة والسنة قول رسول الله (ص) :

مثل أهل بيتي كسفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق .

ولا شك أن المراد بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام هو ذلك الاتصال الروحي الذي يحصل ببركة الموافقة والمتابعة والمحبة .

ومحبة آل محمد (ص) وقبول ولايتهم اللذين ورد وجوبهما في آيات القرآن المجيد والروايات المتواترة إنما هما لاستفادة الخلق من أولئك العظماء التي من أهمها إفاضة نور اليقين .

﴿ **قل ما سألتكم من أجر** (المودة في القربى) **فهو لكم** ﴾ سبأ ٤٧ .

﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ النساء ٦٩ .

يعلم من هذه الآية الشريفة بوضوح أن نتيجة حب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم والإلتزام بولايتهم هي الإتصال الروحي بعظماء الدين ، والأثر المهم لهذا الاتصال ، هو الوصول الى مقام اليقين .

---

(٤٨) نور الثقلين ج٢ / ٢٦٢ نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة للصدوق رحمه الله .

وفي زيارة عاشوراء نقرأ : فأسأل الله الذي اكرمني بمعرفتكم ومعرفة أوليائكم ورزقني البراءة من أعدائكم أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة .

وهذا المضمون« المعية » مع آل محمد (ص) (أي الكون معهم والاتصال الروحاني بهم كثير في الزيارات والادعية) .

مع كتاب شفاء الصدور

قال في كتاب « شفاء الصدور » في شرح هذه الجملة :(من زيارة عاشوراء) المعية (الكون مع) على ثلاثة أقسام :

الأول : المعية القيومية التي هي عبارة عن الاحاطة بوجود الشيء بحيث يكون الإنفكاك عنه محالاً بمعنى أن المقيم[٤٩] إذا رفع علاقة الاقامة عنه فإنه يفنى وينعدم وهذه هي معية الله مع الخلق « وهو معكم أينما كنتم» قال « نظامي »[٥٠] ونعم ما قال :

أحاط علمك بالكائنات ، نحن بك قائمون لأنك قائم بالذات .

الثاني : معية المصاحبة التي هي عبارة عن ترافق شيئين وانضمامهما الى بعضهما بحسب الجسمانية (ماديا) كاجتماع إنسان مع إنسان أو ضم خط الى خط .

الثالث : المعية الروحانية التي هي عبارة عن الموافقة في الاخلاق والأطوار والمشابهة في السلوك والافعال وعموم هذه المعية قليل الوقوع جداً[٥١]

---

(٤٩) المراد بالمقيم هنا ما تحققت به القيومية . . . أي قيام الإنسان وقوامه وقيوميته بالله تعالى فالله مقيم له .

(٥٠) اسم شاعر وما بعده مضمون شعره .

(٥١) أي نادراً ما يصبح الشخص مشابهاً لأهل البيت عليهم السلام في كل شيء .

وما هو مطلوب السائل هو أن يوصله الله تعالى الى معية أهل بيت النبي (ص) بالمعية الروحانية في الدنيا والآخرة وهذا المعنى لا يتحقق إلا بأن تترقى النفس في الكمالات ورفع الرذائل عنها وتزيل عن مرآة القلب صدأ الشقاء بمصقول العلم والعمل حتى تصبح متلألئة بحسب مرتبتها من الظلال المقدسة لتلك الأنوار وعندها تصل قهراً (حتماً) الى درجة المعية إذن روح هذه المعية هي تلك المعية الأولى وهي لا تتحقق بدون السنخية أبداً[٥٢] .

ولأن مقدمة هذا العمل هي ولاية تلك الذوات القدسية والأنوار الإلهية بحقيقة الولاية وتمام المتابعة كان من المناسب بعد اظهار تلك الدرجة أن يذكر الله الحق فإن هذا الذكر كرامة كبيرة ووسيلة عظيمة لنيل هذا المقام وصفة جمالية يوجب (ذكر الله) تحريك سلسلة الاجابة وأن يطلب من الله هذا المقام ولهذه الملاحظة استعمل فاء التفريع بعد ذكر الولاية والبراءة وأثبت لله تعالى صفة الإكرام بالمعرفة لتكون موهبة لجلب امثال ذلك الشرف وإعطاء أشباه تلك الكرامة[٥٣] .

---

(٥٢) أي أن المعية التي يطلبها قارىء زيارة عاشوراء عندما يقول : « . . . أن يجعلني معكم . . . » هي معية روحانية ، وروح هذه نفس تلك المعية القيومية الأولى لأن هذه المعية الروحانية لا تتحقق إلا بالمعية القيومية ومن هنا كانت القيومية روح الروحانية ، لأن ما يصل الى الموالي لأهل البيت عليهم السلام حق الولاء لا يصله منهم وإنما يصله من الله تعالى بواسطتهم فهم عباد الله المخلصون ، المكرمون ثم إن المعية الروحانية هذه لا تتحقق إلا بوجود سنخية أي تشابه في السنخ (بضم السين وهو الأصل) أي أن يكون الموالي مشابهاً لأهل البيت عليهم السلام في أصل كل شيء مثلاً في أصل التوحيد ، في أصل عبادة الله تعالى ، في أصل حسن الخلق وهكذا . . . وطبيعي أن المقصود بالمشابهة في الأصل هو أن يتحلى بدرجة تتناسب معه وإلا فإن الوصول الى مرتبتهم عليهم السلام ليس في مستطاع غيرهم من البشر ولذلك كانت مودتهم دليل الإلتزام بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (المترجم) .

(٥٣) المقصود بهذه الفقرة كما يلي : ولأن مقدمة هذا العمل أي مقدمة تطهير النفس (رفع

انتهى ما نقل من كتاب شفاء الصدور

هذه آثار المعية ولوازمها :

ما ذكره المحقق المذكور هو بعض لوازم المعية الروحانية وآثارها ، أما حقيقة ذلك المقام وأما حقيقة سائر آثاره فهي فوق إدراك من لم يصل الى هذه المرتبة وأيضاً فإن الوصول الى مثل هذه المرتبة ليس أمراً كسبياً (اكتسابياً) بل هو موهبة إلهية وما على العبد القيام به هو أن يهيء نفسه بالتزكية أي التخلية والتحلية والفكر والذكر بالتفصيل الذي مر وبشدة الطلب ودوام الالتجاء بالتفصيل الذي سيأتي .

ولاية المؤمن الكامل:

كذلك ورد في بعض الآيات والروايات الأمر بمودة المؤمن الكامل والشيعي الخالص وولايته[٥٤] وذلك للإستفادة من نور يقينه لأن المؤمن الكامل

= الرذائل الخ) هي ولاية أهل البيت عليهم السلام ، ثم متابعتهم (اتباعهم) بعد موالاتهم . . . لأجل ذلك كان من المناسب لزائر الامام الحسين عليه السلام بزيارة عاشوراء بعد أن عبر عن ولايته ومتابعته (أظهر هذه الدرجة) أن يذكر الله تعالى فيقول : فاسأل الله الذي أكرمني بموالاتكم الخ لأن هذا الذكر كرامة كبيرة ووسيلة لنيل هذا المقام (المعية الروحانية) أي أن الله تعالى هو مصدر التوفيق وذكره يوجب تحريك سلسلة الإجابة لأنه المصدر والمبدأ ومنه يطلب الزائر أن يسلكه في منظومة أوليائه الذين يصلون الى مرتبة المعية الروحانية مع اعاظم أوليائه من ذرية المصطفى الذين هم الطريق الى الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذه الخصوصية في ذكر الله تعالى استعملت فاء التفريع «فاسأل الله» بعد ذكر الولاية والمتابعة بقوله : إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم الخ ، فهو عبر عن ولايته ومتابعته ثم ذكر الله تعالى وأثبت له صفة الإكرام بالمعرفة «أكرمني بمعرفتكم» ليكون ذلك منطلقاً لطلب نعم مشابهة (المترجم) .

(٥٤) من جملة ذلك ما في عيون أخبار الرضا (ع) باب ما كتب للمأمون من محض الإيمان ص١٢١ وفي «الخصال» نظير ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام كما في البحار

في منتهى الاتصال بآل محمد (ص) والمتصل بالمؤمن يصبح بنتيجة صحبته وعلاقة المحبة به وأداء حقوق الاخوة الايمانية مرتبطاً به ارتباطاً روحيا والمتصل بالمتصل هو أيضاً متصل . . . إذن يوفق للاتصال .

حديث الإمام الصادق مع غلامه :

« إن ابا عبد الله (ع) كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجد فبينما هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان فقال له رجل من الرفقة : هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك وأكون له مملوكاً وأجعل لك مالي كله فإني كثير المال من جميع الصنوف إذهب فاقبضه وأنا اقيم معه مكانك فقال : أسأله ذلك .

فدخل على أبي عبد الله فقال : جعلت فداك تعرف خدمتي وطول صحبتي فإن ساق الله إلي خيراً تمنعنيه؟ قال اعطيك من عندي وأمنعك من غيري ، فحكى له قول الرجل فقال : إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا قبلناه وأرسلناك فلما ولى عنه دعاه فقال له : انصحك بطول الصحبة ولك الخيار فإن كان يوم القيامة كان رسول الله (ص) متعلقاً بنور الله وكان أمير المؤمنين (ع) متعلقاً برسول الله وكان الأئمة متعلقين بأمير المؤمنين وكان شيعتنا متعلقين بنا

= (الطبعة القديمة) ج٦٨/٧ : ويجب الولاية لأولياء آل محمد (ص) الذين مضوا على منهاج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة ابن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري وأمثالهم رضي الله عنهم والولاية لأتباعهم وأشياعهم والمهتدين بهداهم السالكين مناهجهم رضوان الله عليهم ورحمته : أقول : تجد الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام في البحار الطبعة الجديدة ج٥٢/٢٧ وتجد حديث الإمام الرضا (ع) فى الجزء ٣٥٨/١٠ ، وفي سفينة البحار (ولي) ج٦٩١/٢ باختلاف يسير .

يدخلون مدخلنا ويردون موردنا .

فقال الغلام : بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا وخرج الغلام الى الرجل فقال له الرجل : خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به فحكى له قوله وأدخله على أبي عبد الله (ع) فقبل ولاءه وأمر للغلام بألف دينار [٥٥] فعُلم إذن أن المتصل متصل .

الاعراض عن الكفار ابتعاد عن ظلامهم :

وهناك آيات وروايات ورد فيها النهي عن صداقة اهل الشك والنفاق والجهل والعناء والعلاقة بهم . بل ورد الأمر بالاعراض عنهم لكي يبقى المؤمن محفوظاً من ظلمتهم وكدورتهم الباطنية . . . وخلاصة القول إذا وفق الإنسان لمصاحبة اهل وصداقتهم والعلاقة القلبية بهم فإنه يؤمل من ذلك كل خير ويصل في النتيجة الى مقام اليقين .

ومن المسلم به ـ وهو أمر وجداني ـ أن النفس الإنسانية تأخذ عادات المصاحب والرفيق وصفاته مثلاً :

إذا رأيت أن رفيق سفرك وهو صديق حميم ، مضطرب شديد الاهتمام

(٥٥) منتهى الآمال (فارسي) ج٢ / ٣٣١ آخر سيرة الإمام الصادق عليه السلام والنص هنا منقول من البحار ٤٧ / ٥٠ ١٥ عن الامام الجواد عليه السلام ، وقد قال المحدث الجليل الشيخ عباس القمي رحمه الله بعد إيراده هذه القصة في منتهى الآمال ما ترجمته : « هذا الفقير (عباس القمي) يعرض لحضرة الإمام الصادق عليه السلام : يا سيدي ، انا مذ عرفت نفسي رأيتها على بابكم وقد نبت لحمي وجلدي على نعمتكم ورجائي الواثق وأملي الصادق أن تحفظوني (وتحتفظوا بي) في آخر عمري هذا! ولا تبعدوني عن باب داركم وإني دائماً أردد بلسان الذل والانكسار :

عن حماكم كيف أنصرف وهواكم لي به شرف
سيدي لا عشت يوم أرى في سوى ابوابكم أقف

(بتصرف)

بالسفر الذي عزمتما عليه وهو دائماً يفكر فيه ، منصرف الى اعداد الزاد وكل اللوازم . . حتى السلاح الذي قد تحتاجانه لمواجهة اللصوص . . إذا رأيته كذلك ، فإن حالته سوف تؤثر فيك قطعاً . . وينبعث الخوف في نفسك وتمضي معه جنباً الى جنب لتهيئة كل ما يلزم وكذلك إذا كان لك رفيق شديد الخوف من سفر الآخرة وهو دائم التفكير بزاد هذا السفر المرعب وتهيئة زاده . . وهكذا إذا كان رفيقك صاحب توكل أو سائر الصفات الكمالية فإنك أنت ايضاً ستستفيد من هذه الصفات كما أنه إذا كان لك بدلاً منه رفيق من أهل الغفلة فإنه سيجعلك من الغافلين وإذا كان بخيلاً وحريصاً فسيجعلك أيضاً مثله(٥٦) .

مجالسة أصحاب العقل والدين :

ولتأكيد تأثير الرفيق يشار الى بعض الآيات والروايات :

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ الكهف ٢٨ .

وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية بقوله : « ومن خير حظ المرء قرين صالح ، جالس اهل الخير تكن منهم »(٥٧) .

وقال (ع) : « إن لقمان قال لابنه يا بني صاحب العلماء وأجلسهم وزرهم في بيوتهم لعلك إن تشبههم فتكون منهم »(٥٨) .

---

(٥٦) ذات يوم وقعت في يدي وردة عطرة في الحمام قلت امسك أنت ام عبير فإني سكرت من عطرك السحري قالت كنت وردة لا قيمة لها إلا أنني جلست مدة مع الورد وأثّر بي كمال الجليس ، ولولا ذلك لكنت التراب الذي كنت
(مضامين أبيات من الشعر الفارسي)

(٥٧) من لا يحضره الفقيه .

(٥٨) كنز الفوائد للكراجكي ، أقول ولعل الصواب «وجالسهم» .

وقال (ع) : « جالس العلماء تسعد ، جالس العلماء تزدد علماً ، جالس الحكماء تزدد حلماً جالس الفقراء تزدد شكراً »[٥٩] .

وقال (ع) : « صحبة الأخيار تكسب الخير كالريح إذا مرت على الطيب حملت طيباً » .

عليك بمقاربة ذي العقل والدين . معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب . ليس ادعى لخير وانجى من شر من صحبة الاخيار وعن الإمام الصادق (ع) : « واطلب مؤاخاة الاتقياء ولو في ظلمات الأرض وإن أفنيت عمرك في طلبهم » .

ويقول الإمام السجاد (ع) : في دعاء أبي حمزة : « أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني» .

ويفهم من هذه الجملة أن التوفيقات وتمام السعادة في مجالسة أهل اليقين .

والروايات في هذا المجال كثيرة وفي ما ذكر كفاية . المهم هو معرفة علامات اهل اليقين لتهتدي إليهم بها وتنعم بفيض مجالستهم لأن مدعي مرتبة العلم واليقين كثيرون . . . وما اكثر الاشخاص الذين هم غرقى في ظلام الجهل والعجب وهم مع ذلك يدعون الهداية والإرشاد .

علامات اهل اليقين :

قال رسول الله (ص) : « لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس الى الخمس :

١ ـ من الشك الى اليقين .

---

(٥٩) غرر الحكم .

٢ ـ ومن الكبر الى التواضع .

٣ ـ ومن الرياء الى الاخلاص .

٤ ـ ومن العداوة الى النصيحة .

٥ ـ ومن الرغبة الى الزهد »[٦٠] .

ومن الجدير بالذكر أن المراد بالدعوة الى اليقين والتواضع والاخلاص والزهد والنصيحة ليس مجرد الدعوة باللسان لأن الدعوة باللسان فقط لا فائدة منها بل تعطي نتيجة معكوسة لأن الشخص الذي يدعو غيره باللسان الى اليقين والتواضع والإخلاص إلا أنه بحسب الفعل والحال يكون من أهل الشك والرياء والكبر والعداوة وحب الدنيا . . . فإن هذه المفاسد ستزيد في ذلك الشخص الآخر بنسبة اكبر وسيقول : لو كان هذا صحيحاً لالتزم هو بها .

وإذا لم يعرف بأن من وعظه لا يلتزم بمواعظه فإن ظلمة شك الواعظ ورياءه وتكبره ستترك أثرها في من وعظه . . فالمراد بالدعوة إذاً الدعوة الى المحاسن المذكورة بواسطة القول والعمل وببركة نورانية باطنه أي قلبه ليتأثر جليسه ومحدثه بتلك الآثار المذكورة كما وردت الإشارة الى ذلك في حديث آخر .

قال الحواريون لعيسى بن مريم (ع) : من نجالس قال(ع) من يذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله[٦١] .

يقول الإمام الباقر (ع) : لمجلس أجلسه الى من أثق به أوثق في نفسي من

(٦٠) الإختصاص للشيخ المفيد .

(٦١) أصول الكافي باب مجالسة العلماء حديث٣ .

عمل سنة[٦٢] .

ويقول أمير المؤمنين (ع): إعلموا أن صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعةٌ فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم[٦٣] قال في الوافي: المراد بالعالم هنا الإمام المعصوم أو أي عالم يعمل بعلمه[٦٤] .

وكما تقدم فإن العالم الذي يعمل بعلمه ويتجاوز هوى نفسه يحصل على اتصال بالأئمة المعصومين وتصبح صحبته صحبة للإمام (ع) .

صورة الاصدقاء عند الموت:

يقول أمير المؤمنين (ع) أن رسول الله (ص) قال: انظروا من تحادثون فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلا مثل له اصحابه في الله إن كانوا أخياراً فخياراً وإن كانوا اشراراً فشراراً وليس احد يموت إلا تمثلت له عند موته[٦٥] .

وتؤيد هذا الحديث رواية عن أنس بن مالك قال:

جاء رجل من أهل البادية وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من اهل البادية ، يسأل النبي (ص) فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فحضرت الصلاة فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة قال انا يا رسول الله قال فما أعددت لها قال والله ما أعددت لها من كثير عمل صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله فقال له النبي (ص): المرء مع من أحب[٦٦] .

---

(٦٢) المصدر السابق حديث ٥ .

(٦٣) الكافي كتاب الحجة حديث ١٤ .

(٦٤) عبارة الوافي هنا بالمضمون .

(٦٥) الوافي عن الكافي باب من تجب مصادقته ومصاحبته .

(٦٦) سفينة البحار ج١ .

وفي حديث آخر: المرء محشور مع من أحب « من أحب شيئاً حشره الله معه ولو كان حجراً»[٦٧] .

حقاً إن اهل اليقين الذين تتوفر فيهم الاوصاف المذكورة يندر وجودهم خصوصاً في زماننا بالأمس كان شيخ يجول دائماً بالمصباح في المدينة ويقول : مللت الغول والوحش وأتمنى أن أجد إنساناً ، قلت له : ومن وجد . . ثم هل يوجد هذا؛ لقد فتشنا . . قال : من وجد أنه لا يوجد فهو أمنيتي[٦٨] .

عن الإمام الصادق (ع) : المؤمنة اعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن منكم رأى الكبريت الأحمر [٦٩]

يقول أبو بصير قال لي الإمام الصادق (ع) : يا أبا محمد الإسلام درجة ؟ قلت : نعم ، قال : والايمان على الإسلام درجة ؟ قلت : نعم ، قال : والتقوى على الايمان درجة ؟ قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة ؟ قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقل من اليقين وانما تمسكتم بأدنى الإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم[٧٠].

انتبه جيداً الى أن الإمام (ع) يقول لمثل أبي بصير : « احذر أن يفلت ايمانك المختصر من يدك » إذن أمثالنا نحن كم ينبغي أن نخاف ونحذر ونتضرع الى الله باستمرار ليثبتنا ويكون ورد لساننا دائماً دعاء الغريق :

يا الله يا رحمٰن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك [٧١].

---

(٦٧) المصدر السابق .

(٦٨) مضمون بيتين من الشعر الفارسي .

(٦٩) أصول الكافي باب قلة عدد المؤمنين .

(٧٠) المصدر السابق باب فضل الإيمان على الإسلام واليقين على الإيمان .

(٧١) من أدعية عصر الغيبة رواه الشيخ الصدوق في كمال الدين/٣٥٢ .

يقول علي بن جعفر : سمعت أبا الحسن (الإمام الرضا) (ع) يقول : ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً ولكن جعلوا انساً للمؤمنين(٧٢) .

كل الصحابة ما عدا ثلاثة ، وعظمة المقداد :

عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي جعفر (ع) : جعلت فداك ما أقلنا (أي الشيعة) لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها فقال ألا احدثك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ واشار بيده ـ ثلاثة قال حمران جعلت فداك ما حال عمار قال رحم الله عماراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً فقلت في نفسي : ما شيء أفضل من الشهادة فنظر إلي فقال لعلك ترى أنه مثل الثلاثة أيهات أيهات(٧٣) .

وفي رواية أخرى : قال : قال أبو جعفر (ع) : ارتد الناس إلا ثلاثة نفر سلمان وأبو ذر والمقداد قال فقلت عمار قال قد كان جاض جيضة ثم رجع ثم قال إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد ، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين (ع) اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا!! فلبب ووجئت عنقه حتى تركت كالسلقة فمر به أمير المؤمنين (ع) فقال له يا أبا عبد الله هذا من ذاك بايع ، فبايع وأما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين (ع) بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به ثم أناب الناس بعد فكان أول من أناب ابو ساسان الأنصاري وأبو عسرة وشتيرة وكانوا سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين (ع) إلا هؤلاء السبعة(٧٤) .

---

(٧٢) الكافي ـ باب قلة عدد المؤمنين .

(٧٣) المصدر السابق نفس الباب .

(٧٤) رجال الكشي في ترجمة سلمان (رض) ومعنى لبب أخذ بتلابيبه أي بخناقه ، ووجئت

أهل اليقين وإطاعة أمر الإمام (ع)

« عن مأمون الرقي قال : كنت عند سيدي الصادق (ع) إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له : يابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه ، وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف فقال له (ع) : اجلس يا خراساني رعى الله حقك ثم قال : يا حنيفة اسجري التنور فسجرته حتى صار كالجمرة وابيض علوه ثم قال يا خراساني قم فاجلس في التنور فقال الخراساني يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلني أقالك الله قال قد أقلتك فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله فقال له الصادق (ع) : ألق النعل من يدك واجلس في التنور قال فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها ثم قال قم يا خراساني وانظر ما في التنور قال فقمت إليه فرأيته متربعاً فخرج إلينا وسلم علينا فقال له الإمام (ع) : كم تجد بخراسان مثل هذا فقال لا والله ولا واحداً فقال (ع) : لا والله ولا واحداً فقال أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت »[٧٥]

علامات اخرى لاهل اليقين :

يجب أن تظهر من الموقن آثار اليقين بالأمور الاعتقادية ليعلم صدق يقينه وقذ تقدم في بحث مجاري اليقين ذكر آثار اليقين الصادق ويتم التذكير هنا

= عنقه : ضربت حتى صارت كالسلقة وفي رواية كالسلعة وهي كالدملة ، وجاض جيضة الواردة في عمار المشهور انها حاص حيصة بالحاء المهملة . (المترجم) .

(٧٥) بحار الأنوار ٤٧/١٢٣ ومناقب ابن شهرآشوب ٤/٢٣٧ .

بعضها باختصار .

١ ـ الاعتقاد بالتوحيد الافعالي واجب :

من جملة آثار اليقين التوحيد الافعالي أن يعتقد بأن جميع أجزاء عالم الوجود كما أنها من حيث أصل الوجود من الله فإن آثارها وخواصها هي أيضاً من الله والمراد بالخواص كالبرودة والنداوة في الماء ، والجفاف والحرارة في النار والضياء والحرارة في الشمس وهكذا سائر آثار المركبات .

بل إن جميع أفعال البشر الاختيارية حيث أنها متوقفة على إذن الله وارادته والقضاء الإلهي فهي من هذه الجهة تستند الى الله أي كما أنه لا تسقط ورقة من شجرة إلا بإذن ومشيئة وعلم الله تعالى فكذلك لا تخرج كلمة من فم انسان بدون علم الله وإذنه وقد تقدم شرح التوحيد الافعالي في بحث الشرك هنا ـ يجب العلم بأن اللازم تحصيل اليقين الصادق بهذا التوحيد وفي مئات الآيات في القرآن المجيد أمر بذلك وإذا توفر لشخص العلم بالتوحيد الافعالي حقاً وأضاء قلبه بنوره فيصبح توكله على الله ويرضى ـ إذن ـ بقضائه ويسلم لأمره ويتخلص ببركة ذلك النور من شر الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وينعم في مقابل ذلك بالطمأنينة والمحبة وحسن الخلق كما تقدم .

٢ ـ رزق كل مخلوق على الله :

ومن جملة آثار اليقين الصادق اليقين بأن الله تعالى تكفل برزق عباده **﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ هود ٦** .

يجب أن يكون صاحب اليقين الصادق موقناً بأن رزقه المقدر له سيصله ولا يستطيع مخلوق أن يحصل على اكثر مما قدر له وإذا صدق يقيناً في هذا

المجال أي استنار قلبه بنور اليقين حقاً وزال منه ظلام الوهم ينجو من شر الحرص ولا يأسف على شيء لم يصله ـ كما تقدم .

٣ ـ اليقين بالثواب والعقاب :

ومن جملة آثار اليقين الصادق اليقين بالثواب والعقاب أي اليقين بأن هناك جزاءً على العقائد والأقوال والأفعال جميعاً .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ الزلزلة ٧ ـ ٨ .

ويعلم بعلم اليقين أن نسبة الثواب الى الطاعات كنسبة الشبع الى الخبز أي كما أن الجائع يبحث عن الخبز ويحرص على العثور عليه وادخاره فإن طالب الثواب الإلهي حريص على الطاعات والالتزام بها ، ونسبة العقاب الى الذنوب كنسبة السموم الى الهلاك فكما يهرب الإنسان من كل سم وهامّة قاتلة (كالحية) ينبغي أن يحذر من كل ذنب وباختصار عندما يضيء القلب بنور اليقين يصبح حريصاً على الطاعات مجداً فيها كما أنه يصبح شديد الحذر من الذنوب مراقباً باستمرار لأقواله وأفعاله خوف الهلاك .

وكلما زاد نور اليقين هذا كلما زاد هذا الحرص وهذا الحذر . . .

٤ ـ الله العالم معنا :

ومن جملة آثار اليقين الصادق بأن الله مع العبد دائماً وفي كل مكان وفي كل حال ومحيط به .

﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ الحديد ٤ .

ولا يخفى عليه شيء من السر والعلن **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾** غافر ١٩ .

وهذا من المسلمات عند كل مسلم إلا أنه يجب تحصيل اليقين الصادق به بالتفصيل الذي تقدم .

ونتيجة اليقين بذلك أنه لا يبقى لديه فرق بين الخلوة والاجتماع (السر والعلن) ويصبح كلاهما لديه سواء فهو يرى نفسه دائماً في محضر السلطان الحقيقي .

والملك بحق العالم والناظر والقادر المطلق ولذا فهو يحذر في كل حال من أية حركة هي خلاف الادب ولأنه يعلم أن باطنه عند الله علنا فإنه يسعى في اصلاح باطنه اكثر من سعيه في إصلاح ظاهره للناس .

جاء في سيرة المحقق الاردبيلي[٧٦] أنه طيلة أربعين سنة في آخر عمره لم يمد رجليه سواء كان وحده أو مع الناس ، وحتى عند النوم وعندما سئل عن سبب ذلك كان يقول : أخجل من ذلك لأني في محضر الله . وقد ورد ذلك في

---

(٧٦) هو آية الله الشيخ أحمد بن محمد الاردبيلي الآذربيجاني لا تذكر المصادر سنة ولادته وتوفي في شهر صفر سنة ٩٩٣هـ وكان الشيخ البهائي معاصراً له ، قال عنه الشيخ عباس القمي رضوان الله عليه : أمره في الثقة والجلالة والفضل والنبالة والزهد والديانة والورع والأمانة اشهر من أن يحيط به قلم أو يحويه رقم ، كان متكلماً فقيهاً عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة أورع أهل زمانه وأعبدهم وأتقاهم وكفى في ذلك ما قاله العلامة المجلسي رحمه الله : والمحقق الأردبيلي في الورع والتقوى والزهد والفضل بلغ الغاية القصوى ولم أسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين جمع الله بينه وبين الأئمة الطاهرين : الكنى والألقاب ج٣/١٦٦

وفي عدة من أمهات المصادر بسند صحيح خبر تشرفه بخطاب أمير المؤمنين عليه السلام وسماعه جوابه . . . وتكرر ذلك وكذلك خبر تشرفه بلقاء صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف ، راجع في ذلك روضات الجنات ج١/٨٢ وبحار الأنوار ج٥٢/١٧٤ والأنوار النعمانية وقصص العلماء للتنكابني ، ولؤلؤة البحرين والنجم الثاقب (المترجم) .

سيرة عدة أشخاص آخرين وفي سيرة أحدهم أنه على فراش الموت لم يرض أن يمدوا رجليه وكان يقول : امضيت عمراً لم يصدر مني فيه سوء أدب في محضر ربي والآن وأنا مشرف على الموت كيف أسيء الأدب . . . وفي حال الاحتضار مدوا رجليه باتجاه القبلة فاعتذر قائلاً : إلهي لأنك أمرت بذلك فقد رضيت ونقل عن آخر أنه لم يكن يرفع صوته وكان يقول : الصوت المرتفع في محضر السلطان الحقيقي خلاف الأدب .

أيها القارىء العزيز : قارن بين أحوال هؤلاء العظماء وبين الاشخاص الذين ينطقون في محضر إله العالمين بالألفاظ القبيحة والمنافية والمشينة وافهم من هنا التفاوت بين اهل اليقين وغيرهم .

استغفار المعصومين سببه ترك الأدب :

ومما ذكر يتضح أمر آخر مهم نذكره هنا رغم انه خارج عن بحثنا من اجل التنوع في مضامين الكتاب وهو موضوع ذنب المعصومين وما وصلنا من تحرقهم واستغاثتهم واستغفارهم . . . مع أنهم قطعاً لم يصدر منهم أي ذنب ، إذن كان بعض بكائهم وتضرعهم بسبب انشغالهم بالأمور المباحة الضرورية كالأكل والنوم . . . وكانوا يرون الاشتغال بذلك في محضر رب العالمين خلاف الادب ولأنه لم يكن لهم بد منه بمقتضى جانب البشرية فيهم فإنهم كانوا يطلبون العذر كما يفهم ذلك من مناجاة أمير المؤمنين (ع) التي ينقلها أبو الدرداء وفيها :

« ليت شعري في غفلاتي وكثرة منامي كيف حالي أأنت معرض عني أم ناظر الي » .

وأيضاً فإن سبب بعض هذه التضرعات والاستغفارات هو الحالات التي لم يكن يحصل فيها الاستغراق التام أي التوجه المناسب لله تعالى بحيث يغفل الانسان عن نفسه مطلقاً ولا يكون له توجه إلا الى الله يقول سيد الشهداء عليه

السلام في دعاء عرفة : « من كانت محاسنه مساوىء فكيف لا تكون مساوئه مساوىء » .

ويقول ابنه الإمام السجاد (ع) :

زادي قـليـل لا اراه مـبـلغـي ألـلزاد ابكـي أم لبـعـد مسـافـتي

الأخلاق الحسنة اغصان شجرة اليقين :

وكل قلب أضاء بنور اليقين بحضور الحق تعالى فستوجد فيه الصفات الكمالية (الحياء ، الخوف ، الأمل ، انكسار القلب ، الخشوع) وهذه الأخلاق الفاضلة سبب لأنواع الطاعات والعبادات .

في الحقيقة أن اليقين في كل من الموارد المذكورة (تحت عنوان علامات اهل اليقين) كشجرة ، الاخلاق الحميدة أغصانها ، والطاعات والعبادات التي هي أثار تلك الاخلاق ، بمثابة الاوراق والثمر لتلك الشجرة .

وبهذا يتضح جيداً أن أساس جميع الخيرات والسعادات هو اليقين .

فمن وفق لمجالسة أهل اليقين فليعرف قدر ذلك وليغتنم فرصته . . . وشرط الاستفادة من مجالستهم الحذر من مصاحبة أهل الجهل والشك والوسوسة . . كما أن على من لم يوفق للحصول على أهل اليقين أن يهرب من مصاحبة ضدهم .

« إن لم توفق لصحبة الجيدين فاهرب من صحبة السيئين »[٧٧] .

لأن صحبتهم تزيد في مصاحبهم شكه وسائر عيوبه بل تنتقل إليه بعض

---

(٧٧) مضمون بيت شعر فارسي .

العيوب التي لم تكن فيه ومن هنا جاء النهي في الآيات والروايات عن مجالسة الاشرار .

﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفَّنَّك الذين لا يوقنون ﴾ الروم ٦٠ .

من هذه الآية يعلم بوضوح أن مجالسة من لا يقين عندهم سبب في حقارة الشخص وضعته وإنزاله في النتيجة من مقام الانسانية الشامخ ودرجات الروحانية الرفيعة وتبطل نفع آثار اليقين العظيمة فالصبر على الوحدة أفضل من مصاحبة من لا يقين له .

﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ الكهف ٢٨ .

﴿ فلا يصدَّنَّك عنها (القيامة) من لا يؤمن بها واتَّبع هواه فتردى ﴾ طه ١٦ .

﴿ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ الأنعام ٦٨ .

ابتعد عن الغافلين وإلا فأنت منهم :

في وصية أمير المؤمنين (ع) لابنه : « بائن أهل الشر ومن يصدك عن ذكر الله عز وجل وذكر الموت بالأباطيل المزخرفة والأراجيف الملفقة (وإلا) فأنت منهم »[٧٨]

ويقول الإمام الصادق (ع) : « انظر الى كل ما لا يعنيك منفعة فلا تعتدن به ولا ترغبن في صحبته فإن كل ما سوى الله مضمحل وخيم عاقبته »[٧٩] .

---

(٧٨) من لا يحضره الفقيه .

(٧٩) قرب الاسناد .

ومن كلام علي (ع) : « إيّاك ومعاشرة الاشرار فإنهم كالنار مباشرتها تحرق »[٨٠] « واياك ومعاشرة متتبع عيوب الناس فإنه لم يسلم مصاحبهم منهم » « إياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد القريب » « إياك ومصاحبة اهل الفسوق فإن الراضي بفعل قوم كالداخل معهم » « شر إخوانك واغشهم لك أغراك بالعاجلة وألهاك عن الآجلة » .

« صحبة الاشرار تكسب الشر كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتنا » « مجالسة أبناء الدنيا منسأة الايمان قائدة الى طاعة الشيطان » « مصاحبة الجاهل من أعظم البلاء » .

وقد قال الإمام السجاد (ع) لابنه الباقر (ع) : « يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق وهم الكذاب والفاسق والأحمق وقاطع الرحم والبخيل »[٨١] .

بدون تحمل المشقة لا سبيل الى الكنز :

كما أن المقامات والمراتب الدنيوية كلما كانت أكبر وأهم تستدعي مشقة اكبر ومعاناة اكبر مثلاً مشقة الوصول الى الرئاسة في قرية أو ناحية لا مجال الى مقارنتها بالمشقة للوصول الى رئاسة مدينة أو دولة .

كذلك من تكون همته متعلقة بالوصول الى مقام اليقين وسائر المقامات الروحية ومصاحبة آل محمد عليهم السلام يجب عليه أن يعلم انه بدون المشقة لا سبيل الى الكنز .

من الممكن أن يصل الإنسان الى مقام دنيوي بدون تعب اما مقامات

---

(٨٠) الغرر للآمدي .

(٨١) الكافي .

الآخرة فليست كذلك ولا يمكن ان تحصل بدون تعب ومشقة (إلا أن يشاء الله) كما قال تعالى﴿ **وأن ليس للانسان إلا ماسعى، وأنَّ سعيه سوف يرى** ﴾ النجم ٣٩ ـ ٤٠.

﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** ﴾ الاسراء ١٩ .

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهَّم سبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين** ﴾ العنكبوت ٦٩ .

والآيات والروايات في أنه لا يصل أحد الى درجات الآخرة بدون مجاهدة كثيرة .

إذن يجب جهاد النفس :

بناءً عليه يجب تأجيل السعادة والاستقرار الى العالم الباقي والصبر في هذه المدة القليلة في العالم الفاني على المشقة والمحنة ومخالفة النفس وأهوائها ويجب الابتعاد عن الشهوات الحيوانية واللذائذ النفسانية بل يجب صرف النظر عما يزيد عن المقدار اللازم من اللذائذ المباحة لأن الانغماس في ذلك موجب للأنس بالدنيا ونسيان الآخرة ونتيجة ذلك التقصير في تهيئة زاد الآخرة إلى أن يصل الأمر الى الرضا بالدنيا وكأنه ليس مسافراً . . . وكأنه لا وجود لعالم آخر له . . . ويصبح لا يصدق بعالم آخر ﴿ **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ براءة ٣٨ .

يقول سيد المجاهدين وإمام المتقين أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

ـ « أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وفطامها عن لذات الدنيا .

ـ أول الحكمة ترك اللذات وآخرها مقت الفانيات .

- حرام على كل قلب متوله بالدنيا أن تسكنه التقوى .

- رأس الآفات الوله باللذات .

- عجبت لمن عرف سوء عواقب اللذات كيف لا يعف .

وحقاً . . . إذا تدبر عاقل في العواقب الوخيمة لملذات الدنيا أي التخمة (كثرة الأكل) للمآكل اللذيذة والافراط في الامور الجنسية والحرص في جمع المال وطلب الرئاسة وحب الشهرة . . وتدبر في أحوال أولئك الذين كان هذا دأبهم والمصائب والنكبات التي نزلت بهم . . . إذا تدبر في ذلك جيداً فإنه يصرف النظر عن كل ذلك « ولقد كان (ص)(. . .) ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة لاحدى أزواجه غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها » . فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن عينيه لكيلا يتخذ منها رياشاً ولا يعتقدها قراراً »[٨٢] .

يهدم عقله بيده :

يقول الإمام الصادق (ع) : « من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله ، من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفى نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد دينه ودنياه » .[٨٣]

الهدف أن يتذكر القارىء أنه لا يصل الى هدفه عن طريق عبادة الهوى واتباع الأهواء النفسية وإذا تخيل أن باستطاعته الوصول الى المراتب الروحية في

---

(٨٢) نهج البلاغة خ١٦٠ .

(٨٣) الكافي .

الآخرة بدون جهاد النفس فإن ذلك خيال واهٍ وأمنية باطلة وهي بخلاف نص القرآن المجيد وحكم العقل لأن عبادة الله وعبادة الهوى ضدان لا يجتمعان .

لو كان عبداً لما كان هذا سلوكه :

جاء في كتاب مجالس المؤمنين وغيره في أحوال بشر الحافي أن الإمام موسى بن جعفر (ع) كان يسير في بغداد وعندما وصل الى باب بيت بشر كان صوت الغناء والطرب من بيته مرتفعاً . . . وفي هذه الأثناء خرجت جارية من المنزل فقال لها الإمام (ع) : صاحب هذا البيت حرٌ أم عبد قالت حرٌ وله غلمان وعبيد قال : بلى إنه حر(أي من عبوديته لله) ولو كان عبداً لما كان هكذا ، وعندما عادت الجارية الى المنزل سألها بشر : مع من كنت تتكلمين : فأخبرته بما قال الإمام فركض بشر حافياً ولحق بالإمام وتاب على يديه « واصبح من عباد الله »[٨٤] .

بالعبودية فقط رضا الله:

يقول أمير المؤمنين (ع) في خطبته تقدم ذكر بعض فقراتها : « أفبهذا (التحلل وعدم الورع والمعاصي) تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته(أي لن يدخل الجنة أحدٌ إلا بالتقوى الحقيقية) ولا تنال مرضاته إلا بطاعته »[٨٥] .

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ الجاثية ٢٣ .

عبادة الهوى هي أن تكون حركة الجوارح والأعضاء وسكونها وفق رغبة

---

(٨٤) مجالس المؤمنين ٢/ ١٢ وأعيان الشيعة ج٣/ ٥٧٩ ط. دار التعارف وليلاحظ ان النص هنا مترجم عن الفارسية وكذلك فعل في الأعيان حيث ترجم نص مجالس المؤمنين .

(٨٥) نهج البلاغة ١٢٩ .

النفس مثلاً بمجرد أن يرغب في النظر الى وجه ينظر إليه ولو كان ذلك حراماً وبمجرد أن يرغب في سماع صوت يصغي اليه فوراً دون التفكير في أن ذلك حلال أم حرام وبمجرد أن يريد شيئاً يمد يده إليه فوراً أو إذا اراد الذهاب الى مكان يذهب اليه بحيث أنه إذا قال له أحد لماذا فعلت الشيء الفلاني يقول : أحببت ذلك خطر ببالي أي انا مطيع هواي وعبد له وكل ما أراده هواي أردته .

وعبادة الله هي أن يكون الحاكم على وجوده هو الله فلا ينظر إلا إذا كان ذلك يرضي الله ولا يستمع الى كلام إلا إذا كان أذن الله به ولا يمد يده الى شيء إلا إذا كان الله يريد ولا يذهب الى مكان لا يرضى الله بالذهاب إليه بحيث إذا سئل لماذا فعلت الشيء الفلاني يقول : إنه امر الله وإذا سئل لماذا لم تفعل الشيء الفلاني يقول إنه نهي الله .

موانع تحصيل اليقين :

كما تقدم فإن مقام اليقين هدف عظيم وجليل جداً وعليه فإن موانع الوصول إليه كذلك صعبة وكثيرة وكيف يمكن الوصول الى الهدف بدون المجاهدة وإزالة هذه الموانع والقضاء عليها ولأجل معرفة هذه الموانع تذكر هنا هذه الأبيات الشعرية التي ذكرت فيها موانع تحصيل اليقين لتبقى في ذهن القارىء :

ما لم تبعد نفسك عن الموانع فلن يدخل النور الى داخل بيتك ولأن الموانع في هذا العالم أربعة فالطهارة منها أيضاً أربعة الأول الطهارة من الأحداث [٨٦] والانجاس [٨٧] والثاني الطهارة من

---

(٨٦) الأحداث : الحدث الأصغر الموجب للوضوء والأحداث الكبيرة الموجبة للغسل .

(٨٧) الأنجاس: النجاسات البول ، الغائط ، المني ، الدم ، الميتة ، الكلب ، الخنزير ، المسكر المائع ، الكافر ، عرق الإبل الجلالة .

المعصيــة[٨٨] وشــر الوسواس[٨٩] .

الثـالث الطهـارة من الاخلاق الـذميمة[٩٠] التي يصبـح معهـا الانسـان كالبهيمة .

الرابع طهارة السر[٩١] من الغير وهنا ينتهي بك السير كل من حصل على هذه الطهارات أصبح جديراً بالمناجاة عندما تصبح ذاتك طاهرة من كل هـذا الشين تصبح صلاتك عندها قرة العين[٩٢]

والخلاصة إن هذه الموانع جميعاً هي عبارة عن عبادة الهوى لا غير وقد تقدمت الإشارة الى ذلك في بحث الشرك في العبودية وتذكر هنا عدة روايات أخرى ، عن الإمام الصادق (ع) : « احذروا أهواءكم كما تحـذرون اعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد ألسنتهم »[٩٣] .

« لا تدع النفس وهواها فإن هواها في رداها وترك النفس وما تهوى داؤها

---

(٨٨) المراد بالمعصية ترك الواجب أو فعل الحرام بالتفصيل المذكور في الذنوب الكبيرة .
(٨٩) شر الوسواس : الخواطر الشيطانية السيئة التي تخطر في القلب سواء في أصول العقائد أو الفروع العملية كالوسوسة في الصلاة كلها يجب عدم الاعتناء بها لينجو من شرها وإذا اهتم بها وتابعها هلك .
(٩٠) بالتفصيل المذكور في كتب الأخلاق كمعراج السعادة أو المذكور في القسم الثاني من هذا الكتاب باختصار .
(٩١) أي أن لا يكون في القلب غير الحق تعالى ولا يتحقق ذلك إلا إذا أدرك أنه لا يستحق الحب إلا الله وما عداه باطل « كل شيء هالك إلا وجهه » وروي عن رسول الله (ص) أن أصدق شعر العرب في الجاهلية قول لبيد :

ألا كـل شيء مـا خـلا الله بـاطـل — وكـل نعيم لا محـالـة زائـل

(٩٢) إشارة الى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : ـ قرة عيني الصلاة ـ.
(٩٣) الوافي نقلاً عن الكافي باب اتباع الهوى .

وكف النفس عما تهوى دواؤها »[٩٤] .

« أبعد ما يكون العبد من الله إذا لم يهمه إلا بطنه وفرجه »[٩٥] من المحتم إذن على طالب السعادة أن يلقي في عنقه طوق العبودية لخالقه ويتحكم بنفسه ويضبط تصرفاتها أي يجعل جميع حركاته وسكناته طبق إرادة الله لينال « مقام » العبودية لله وإذا أصبح كذلك فقد وصل الى السلطنة الحقيقية أي « كل ما أراده فإنه يتحقق » .

والشخص الذي يهرب من العبودية لله ويريد واهماً ان يعيش حراً ويتصرف وفقاً لميوله . . . يجب ان يعلم أنه إذا هرب من عبودية الله فقد ابتلي بعبودية النفس والشيطان كما تقدم في بحث الشرك : « كل من يهرب من ضرائب الشاه فقد أصبح حمالاً لغول الصحراء »[٩٦] .

الفوز العظيم :

ونختم القسم الأول من هذا الكتاب بتلخيص نهائي لهذه الابحاث :

يجب أن لا يكون في القلب غير الله أي لا يخشى الانسان من أي موجود ولا يكون له أمل بأي موجود وأن لا يضطرب لأي زيادة أو نقيصة ، أن لا تكون له علاقة قلبية على نحو الاستقلال بغير محبته ولأي مخلوق كان ، أي أنه إذا كان يحب شيئاً فذلك من أجل حب الله وهذا يعني ترك كل شخص وكل شيء والانصراف عنه والتعلق بربه فقط وقد ورد التذكير به في عدة موارد من القرآن المجيد في سورة والمزمِّل ٧٣ يقول تعالى : ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ قال في تفسير المنهج : انقطع عن جميع الخلائق وتوجه نحو الله بالطاعة والعبادة وليكن

(٩٤/٩٥) المصدر السابق .

(٩٦) أي يحمل نفسه ليقدمها لغول الصحراء وهذا مضمون بيت من الشعر الفارسي .

انقطاعك كاملاً أي جرد نفسك من التفكير بما سواه وأقبل كلياً بقلبك عليه ومن هنا سميت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بالبتول لأنها كانت منقطعة كلياً عما سوى الله مشتغلة في جميع اوقات الليل والنهار بوظائف الطاعات والعبادات .

المراد من التبتيل الذي هو بمعنى الانقطاع كلياً الى الله هو أن لا يتعلق قلب الانسان بنفسه أو بأي شخص أو شيء أو مكان ويتعلق فقط بخالق العالم أي أولا يترك حظوظ نفسه(الميول والرغبات والمشتهيات) : ويفرح بما أعطاه الله ويعطيه .

وثانياً : إذا كان ما زال أسير النفس ولم يستطع أن يترك حظوظ نفسه فلا يكن له في طريق الوصول الى أهدافه طمع ولا أمل بأي مخلوق وليتذكر حالة الجميع الأولى حيث كانوا قبضة من تراب وحالتهم الاخيرة عندما يرجعون قبضة من تراب .

وليدرك عندها أن هذه الإستطاعة الجزئية المؤقتة التي هي في الأشياء ليست من ذواتها بل هي كلها من خالقها الذي منه أصل وجود هذه الاشياء وهي مرتبطة به وتابعة له ، والخلاصة : ليعتبر أن الجميع بلا فائدة ، ولا نفع ، ولا استقلال لهم . . . ثم يعلم موقناً أنه في مجال الوصول الى أية أمنية يجب ان يكون متوجهاً الى الخالق . . . إذا اراد هو فسيصل الى ما تمنى اما عن طريق ذلك السبب العادي أو بدون سبب وإذا لم يرد هو فلن يصل الى أمنيته ومهما تذلل لأي سبب يراه مؤثراً فإنه لن يحصل على نتيجة .

إذن في الوصول الى أي نفع يجب أن ينقطع عن كل سبب وينصرف عنه ويكون تعلق قلبه بالله ويطلب منه . . . وهكذا عند كل ضرر وشر لا يخاف من أي صاحب شر ويدرك أن الجميع مقهورون لرب الارباب جل شأنه فإذا أراد هو

أن يصل ضرر الى الشخص وصل وإذا لم يرد فلا يستطيع (صاحب الشر) ان يفعل شيئاً ومن هنا يقول أمير المؤمنين (ع) : « لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن أحد منكم إلا ذنبه » أي من خلاف الأدب وخلاف واجب العبودية لله الذي يصدر منكم . . . من ذلك خافوا فقد يكون سبباً لوصول الشر والضرر إليكم . والخلاصة معنى التبتيل قطع علاقة القلب عن غير الله وربط القلب وخشوعه فقط فقط لله وإذا اصبحت هذه الحالة من نصيب الشخص يستجاب دعاؤه ويقول الشاعر : « يا صاحب القلب الواحد الذي صار مائة واحد قلبك أخرج من قلبك حب الآخر .

قف لحظة باخلاص على بابنا وإذا لم يتحقق طلبك فلك أن تعتب » .

في كتاب لآلي الأخبار/ ١٤٩ : قال ابو عبد الله (ع) : إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا من عند الله فإن عرف الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وهذا الانقطاع الى الله هو الاضطرار إلى الله الذي جاء الوعد في القرآن المجيد باجابته قال تعالى : ﴿ **أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ النمل ٦٢ .

ومن الجدير بالذكر أن لحالة الانقطاع والاضطرار الى الله مراتب باعتبار الدرجات والمعرفة ومرتبتها العالية في المعصوم ومن هنا يعلم الوجه في أن من ألقاب صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه ، المضطر وفي دعاء الندبة « أين المضطر الذي يجاب إذا دعا » .

أي أين من هو منقطع عن الجميع وهو مضطر الى الله فقط وكلما دعاه أجابه ، ويقول الإمام السجاد (ع) : «نحن المضطرون الذين وعدت اجابتهم »

ويقول أمير المؤمنين (ع) في دعاء كميل : « من لي غيرك أسأله كشف ضري والنظر في أمري » .

وفي المناجاة الشعبانية :

« الهي هب لي كمال الانقطاع إليك » .

إلهنا بمقام محمد وآل محمد من علينا بنصيب من مقام الانقطاع .

ومن هنا يعلم أن أمثالنا المحرومين من الانقطاع الى الله المبتلين بالحجب الظلمانية إذا استجاب الله الكريم بعض أدعيتنا وأبلغنا آمالنا وطلباتنا فإن ذلك فضل كبير يمن الله به علينا ببركة التوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام وإلا فإن دعاءنا لا يستحق الاجابة .

جاء في كتاب گلزار أكبري/ ١٤٧ عن كتاب « رونق المجالس للنيشابوري » أن تاجراً في الكوفة كان عليه دين كبير . . . واختبأ في بيته خوفاً من مطالبة الدائنين . . . وذات يوم وعند منتصف الليل خرج من بيته متوجهاً الى مسجد في اطراف الكوفة وأخذ يصلي ويدعو ويتضرع الى الله الغني في أداء دينه . . وفي نفس الوقت «قالوا» لتاجر غني جداً آخر في النوم خارج بيتك شخص يشكو الى الله من دينه قم وأدِّ دينه استيقظ وتوضأ وصلى ركعتين ثم نام فسمع أيضاً النداء . . وهكذا في المرة الثالثة فقام وأخذ ألف درهم وركب ناقته وقال : من أمرني في النوم بهذا سيوصلني حتماً الى ذلك الشخص ومشى بناقته في أزقة الكوفة الى ان وصل الى باب ذلك المسجد فسمع صوت البكاء والاستغاثة ، دخل المسجد وقال للمدين : استجيب دعاؤك إرفع رأسك وأعطاه الألف درهم قائلاً : أدِّ دينك وأنفقها على عيالك وإذا نفذ هذا المبلغ فهذا اسمي وعنواني . . . قال المدين : أقبل هذا منك لأنه عطاء ربي . . . لكني اذا احتجت مجدداً فلن آتي اليك قال الى من تذهب . . . قال الى ذلك الذي

طلبت منه الليلة حاجتي وارسلك لقضائها . . . إذا احتجت أيضاً فسأطلب منه ليرسلك ويصلح امري .

الهدف من نقل هذه القصة بيان حالة الانقطاع الى الله التي تقضى عندها الحاجة .

في سورة فصلت يقول تعالى : ﴿ **إن الـذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة** (عند الموت) **ألّا تخافوا ولا تحزنوا** (فإن مستقبلكم مشرق) ﴿**وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أوليـاؤكم في الحياة الـدنيا وفي الآخـرة ، ولكم فيها مـا تشتهي أنفسـكم ولكم فيهـا مـا تـدعـون ، نـزلاً من غفـور رحيم**﴾ وقـد تقدم ذكـر بعض هذه الآيـات فـي بحث الـشرك والهـدف من تكرارهـا في هذا المقام تذكير القـارىء العزيـز بجملة ﴿ **ربنا الله ثم استقـاموا** ﴾ وأن المقصود ليس قول ﴿ **ربنا الله** ﴾ باللسان فقط بل المقصود التصديق بحقيقـة ومعنى هذا الكلام .

توضيح ذلك : أن رب بمعنى المربي وقوله تعـالى ﴿ **ربنا** ﴾ أي ليس مربي أنا فقط بل إن المربي لي ولجميع أجزاء عـالم الخلقة هـو الله ، ولأن الجملة اسمية وتقديم الخبر على المبتدأ يدل على الانحصار فيصبح المعنى هكذا :

وحده الله رب جميع المخلوقات الذي منه خلقنا وتربيتنا نحن وجميـع الأشياء ﴿ **ثم استقاموا** ﴾ أي ثبتوا وأقاموا على هذه الحقيقة التي علموها واهتدوا إليها وصدقوا بها ، وظلوا في كل وقت وفي كل مكان وحال الى ساعة الموت على هذه العقيدة القلبية ولم يخضعوا ويخشعوا إلا للرب تعالى ولم يمـرغوا أنوفهم عند أحد كائناً من كان ولم يمدوا أيديهم للتخلص من ضرر أو الوصول الى نفع إلا الى باب الغني جل جلاله ولم يتملقوا لأي مخلوق . . . واعتقدوا حقاً أن كل شيء يمتلك حظاً من كمال الوجود فانما امتلكه من الله ونسبوا ذلك

الى الله : خلقة العالم ، ورزق المرزوقين واحياؤهم وإماتتهم وشفاء المرضى والثروة والعزة وباختصار يعتقدون أن العطاء والمنع وكل شيء هو منه تعالى ... وفي النتيجة فإن (اعتمادهم واستنادهم) الى رب الارباب وخضوعهم وتذللهم لربهم لا غير ولا يتذللون لأي مخلوق بأي وجه من الوجوه ولا يأملون إلا رحمته ولا يخافون إلا غضبه ولا يطمعون إلا بما عنده ولا يمسحون رؤوسهم إلا على أعتابه وبكلمة يجعلون أنفسهم خالصة علماً وعملاً لله تعالى وهذا معنى ما قاله أمير المؤمنين (ع) : أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له.

يقول السيد ابن طاووس في فلاح السائل/٢٧٣ :

إن اعرابياً جاء الى باب المسجد الحرام فترك ناقته وقال ما معناه : اللهم هذه الناقة وما عليها في حفظك ووديعتك ودخل وطاف وخرج فلم يجد الناقة فوقف يقول ما معناه : يا رب ما سرق مني شيء وإنما سرق منك لأنني لولا ثقتي بك أنك تحفظ علي ناقتي ورحلي ما تركتها ويكرر امثال هذا والناس يتعجبون من حديثه مع الله عز وجل وإذا الناقة بيد رجل ويده الاخرى مقطوعة وقال للاعرابي : خذ ناقتك ما أصبت منها خيراً قال : كيف؟ قال تواريت بها وراء الجبل فإذا فارس قد نزل لا أدري من اين وصل فأزعجني وقطع يدي وأمرني باعادتها[٩٧] .

---

(٩٧) لا منافاة بين هذا وبين «اعقل وتوكل» فلعله عقل ناقته وربطها ومع ذلك سرقت ثم إن للموحدين الحقيقيين حالات لا نحتملها ومنشأ استغرابنا لها ليس «العقل» السليم بل العقل الصريع تحت بروق المطامع .
يقول السيد ابن طاووس بعد نقل قصة الاعرابي هذه : « ما أودعت الله جلّ جلاله شيئاً فضاع ولو كان قد ضاع شيء مما أودعته لأجل ذنب يكون قد جنيته فإني إذا طلبت من رحمته اعادة وديعته ردها علي . . . »(المترجم) .

الهدف من نقل هذه القصة بيان نموذج من الانقطاع الى الله والإستقامة على حقيقة ﴿ ربنا الله ﴾ وأنه يجب ان يكون الاعتماد في جميع الامور على الله . . . ومنه يطلب كل شيء[٩٨] .

ومن الجدير بالذكر أن الاستقامة في غاية الصعوبة إلا إذا من الله بها . . . وبناءً عليه يجب أن تُطلب هي أيضاً منه سبحانه وإذا انحرف الانسان عن صراط العبودية فعليه أن يرجع بالتوبة والإنابة الى صراط التوحيد والعبودية المستقيم .

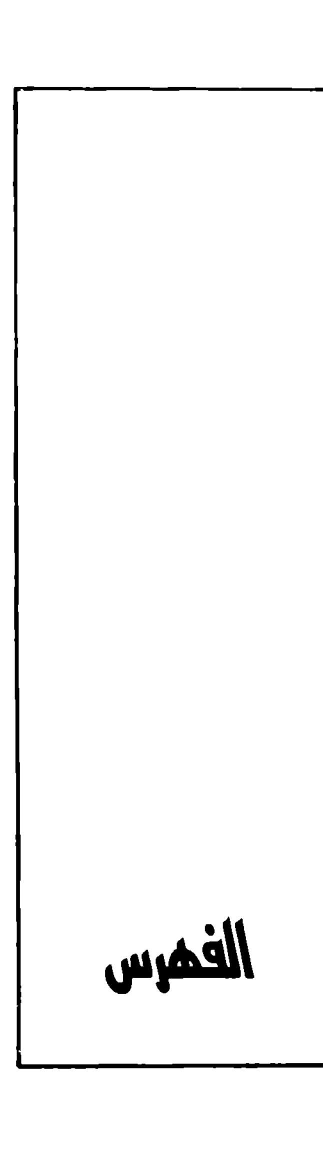
﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفواْ عن السيئات ﴾ الشورى ٢٥ .

نهاية القسم الأول العقائد

وقد وقع الفراغ من ترجمته

في بيروت صبيحة الاثنين بتاريخ ٢١ ذ . ح١٤٠٩ هـ على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام .

(٩٨) إذا مددت يد الحاجة فمدها إلى الله فإنه كريم ورحيم وغفور وودود ، الجميع من الثرى إلى الثريا منشغلون بعبادته بالذكر والمناجاة والقيام والقعود كرمه لا يتناهى نعمه لا تحصى ولا يرجع طالب عن هذا الباب دون حصول المقصود .
(ترجمة ثلاثة أبيات من الشعر الفارسي)



الفهرس

الموضوع	الصفحة

القسم الأول: العقائد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com